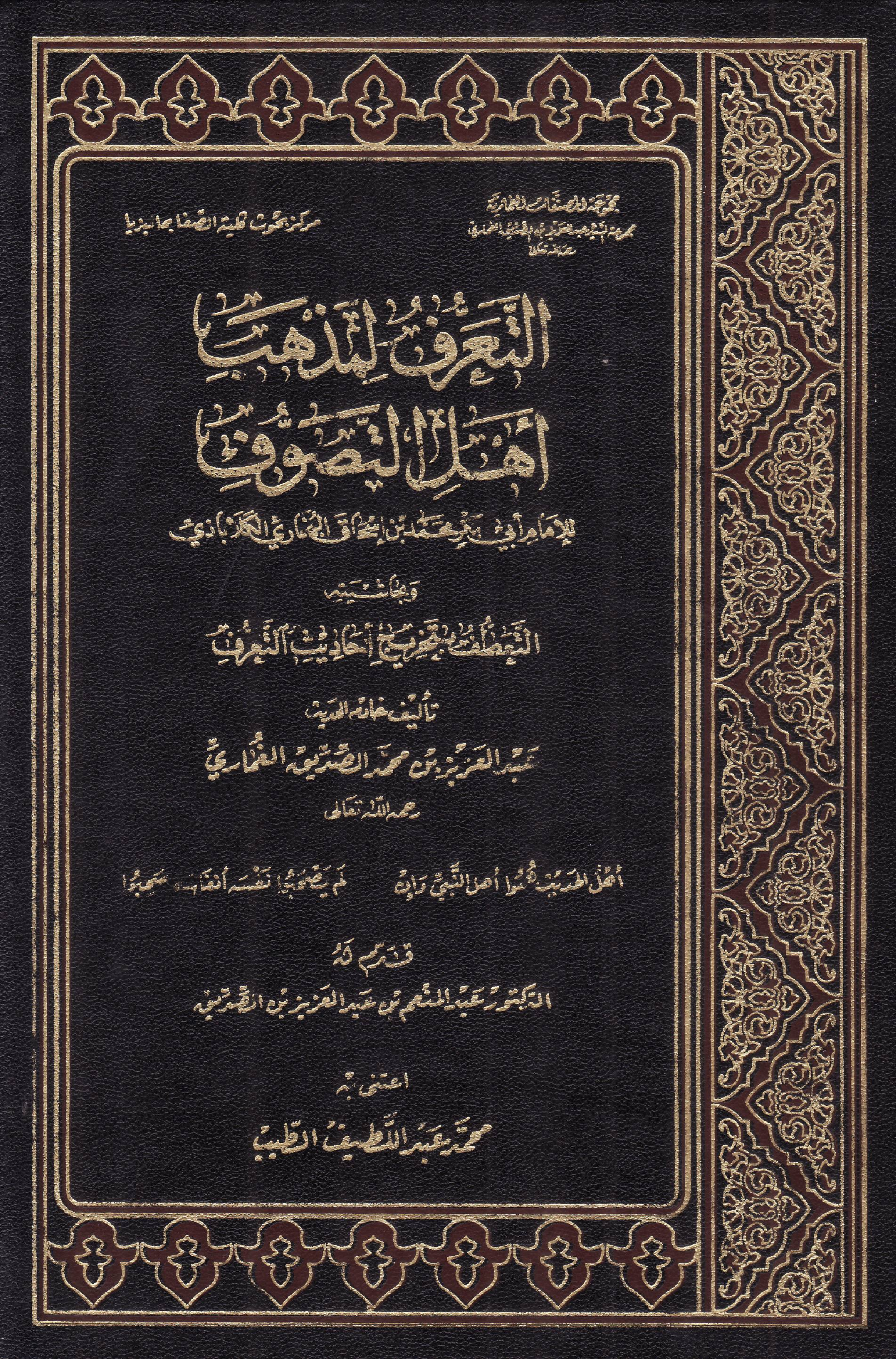

مجموعة المصنفات الغمارية
مجموعة الشيخ عبد العزيز بن الصديق الغماري
مركز بحوث كلية الصفا بماليزيا
التعرف لمذهب
أهل التصوف
للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي
وبحاشيته
التعطف بتخريج أحاديث التعرف
تأليف خادم الحديث
عبد العزيز بن محمد الصديق الغماري
رحمه الله تعالى
أهل الحديث هم أهل النبي وإن
لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا
قدم له
الدكتور عبد المنعم بن عبد العزيز ابن الصديق
اعتنى به
محمد عبد اللطيف الطيب

التعرف لمذهب أهل التصوف

الطبعة الأولى

بيروت - ١٤٣٤

مجموعة المصنفات الغمارية
مجموعة السيد عبد العزيز بن الصديق الغماري
رحمه الله تعالى

مركز بحوث كلية الصفا بماليزيا

التعرف لمذهب أهل التصوف

للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي

وبحاشيته

التعطف بتخريج أحاديث التعرف

تأليف خادم الحديث

عبد العزيز بن محمد الصديق الغماري
رحمه الله تعالى

أهل الحديث هموا أهل النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

قدم له
الدكتور عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

اعتنى به
محمد عبد اللطيف الطيب


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة سيدي الشريف الدكتور

عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق الغماري الحسني

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خير الورَى سيدِنا محمَّدٍ النبِيِّ الصادقِ الأمينِ، وعلى آلِه البررة الطاهرين، والرِّضا عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

إنَّ التصوُّفَ مذهبٌ مُستقلٌّ مثل سائر المذاهب الفقهية، له أصوله وفروعه، كما لأهل المذاهب الفقهية أصولٌ وفروعٌ، وهذا معلومٌ لا يحتاج إلى توضيحٍ وبيان، خصوصًا إذا اطَّلعنا على ما كتبه أئمَّة الصوفية -رضي الله تعالى عنهم- في كلِّ عصرٍ، مِنَ المؤلفات الكثيرة المتنوعة، والجامعة لأحكام طريق القوم، أصولًا وفروعًا، تمامًا كما فعل أهلُ الفقه مِنْ أصحابِ المذاهب الفقهية، مِن التأليف في أصول مذاهبهم وفروعها، في كلِّ وقتٍ وعصرٍ.

لِـيَدُلَّكَ هذا أنَّ التصوف هو مِنَ الدِّين الذي جاء به جبريلُ عليه السَّلام إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في الحديث الذي سأله فيه عن الإيمان والإسلام والإحسان، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا جبريلُ جاءكم يُعـلِّمكم دينكم**».

فالسعيدُ مَنْ حاز مقاماتِ الدِّين الإسلامي الثلاثةَ المذكورةَ في الحديث الشريف.

ذكرَ شيخُنا العلامة الصوفيُّ المُحدّث المحقِّق، عمِّي السيد عبدُالله بنُ محمدِ بنِ الصِّديق -المتوفى سنة ١٤١٣هـ- رضي الله تعالى عنه، في رسالته: "حُسن التلطُّف في

بيان وجوب سلوك التصوف" (ص٩، ١٠) فتوَى لِوالده -جدِّي- الإمامِ العارفِ بالله سيدي محمَّدِ بنِ الصِّديق -المتوفى ١٣٥٤هـ- رضي الله عنه في الموضوع، نصها: «وأمَّا أولُ مَنْ أسَّس الطريقة، وهل تأسيسها بوحيٍ؟ فلتعلم أنَّ الطريقة أسَّسها الوحيُ السماويُّ في جملة ما أسَّس مِنَ الدِّين المحمدي، إذْ هي بلا شكٍّ مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعدما بيَّنها واحدًا واحدًا دينًا، فقال: «**هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم**».

فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتُشير إليه هو مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان، لِيُحرز الداخلُ فيها والمدعُـوُّ إليها مقاماتِ الدِّين الثلاثةَ، الضامنة لُمحرزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، والضامنة أيضًا لمحرزها كمال الدين، فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة، فمَنْ أخلَّ بمقام الإحسان الذي هو الطريقة، فـدِينُـه ناقصٌ بلا شكٍّ، لِتَرْكِه ركنًا مِنْ أركانه.

ولهذا نصَّ المحقِّقون على وجوب الدخول في الطريقة، وسلوك طريق التصوف وجوبًا عينيا، واستدلوا على الوجوب بما هو ظاهرٌ عقلًا ونقلًا، ولسْنا الآن بصدد بيان ذلك.

وقد بيَّن القرآن العظيمُ مِنْ أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية، فتكلَّم على المراقبة والمحاسبة، والتوبة والإنابة، والذكر والفكر، والمحبَّة، والتوكُّل، والرِّضا والتَّسليم، والزُّهد والصَّبر، والإيثار والصِّدق، والُمجاهدة ومخالفة الهوى والنَّفس، وتكلَّم على النفس اللوامة والأمَّارة والمطمئنة، وعلى الأولياء والصالحين والصِّدِّيقين والمؤيَّدين، وغير هذا مما يتكلَّم فيه أهل التصوف والطريقة رضي الله عنهم، فاعرف وتأمَّلْ.. إلخ». وهذا كلامٌ نفيسٌ جدًّا. اهـ.

وبما أنَّ التصوف مذهبٌ كغيره من المذاهب الفقهية، فقد اعتنى الصوفية رضي الله تعالى عنهم بكلِّ ما اعتنى به أهلُ الفقه في المذاهب الأخرى مِن علوم وفنون، وما طرقوا بابَ فنٍّ وعِلـمٍ إلَّا ولَجوا ساحته، بالتأليف والتصنيف فيه، مساهمين مع غيرهم مِنْ أهل الفقه والرُّسوم في كشْفِ قواعده وضوابطه.

وأقدِّم للقارىء الكريم غيضًا مِنْ فيضِ جهود أئمَّة الصُّوفية -رضي الله تعالى عنهم- العلمية، التي خدموا بها مذهبهم الصوفي العرفاني، كما خدم أهل الرسوم مذاهبهم وفنونهم.

فقد ألَّف الفقهاءُ كتبًا في شرْحِ المفردات والغرائب، والمصطلحاتِ التي اتفقوا عليها بينهم، وكذلك لم يُهمل الصوفية -رضي الله تعالى عنهم- هذا البابَ، فألَّفوا كذلك كتبًا في شرح مصطلحاتهم، وما اتفقوا عليه بينهم مِنَ الألفاظ التي قد تكون غريبةً بعيدةً عن الفهم، والتي قد يسبق إلى ذهن قارئها غير المعنى الذي يُراد منها، مثل مصطلحات: الشطح، والغيبة، والحال، والوارد، والبقاء والفناء، والشُّرب والسُّكر.. إلى غيرها مِنَ الألفاظ التي يُبنى عليها النصُّ الصُّوفيُّ، وتكثرُ في مصطلحاتهم التي اتفقوا على التخاطب بينهم بها.

ومِمَّن ألف في هذا الباب، الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه، حيث كتب رسالةً سمَّاها "اصطلاح الصوفية"، وهي مفيدةٌ للغاية مع اختصارها، قال في مقدمتها: «فإنك أشرتَ إلينا بشرْحِ الألفاظ التي تداولَها الصوفيةُ المُحقِّقون مِنْ أهلِ الله بينهم، لَمَّا رأيتَ كثيرًا مِنْ علماء الرسومِ قد سألونا في مطالبة مصنفاتنا ومصنفاتِ أهل طريقِـنا، مع عدم معرفتِهم بما تَواطَأْنا عليه مِنَ الألفاظ التي بها نفهمُ بعضًا عن بعضٍ، كما جرت عادةُ أهل كلِّ فنٍّ مِن العلوم» اهـ.

وممَّن أَلَّف في ذلك العارفُ أحمدُ بنُ عجيبة رضي الله تعالى عنه، وكتابُه أوسع مِن كتاب الشيخ الأكبر، وقد سمَّاه: "معراجُ التشوُّف"، وهو جيدٌ مفيدٌ، وكلاهما مطبوعٌ.

وقد قام بعضُهم بِشرْحِها ضِمنَ ما كَتبه في بيان أصول الطريق، كالإمام القُشَيري في «الرسالة»، والسِّراج الطُّوسِّي في "اللُّـمَع"، وأبي بكر محمدُ بنُ إسحاقَ الكلاباذيِّ في "التعرف لمذهب أهل التصوف".

ولم يُهمِل الصوفية أيضًا التصنيفَ في بيان ما اتَّـفقوا عليه، وما اختلفوا فيه في طريق التصوف، وكذلك ما صحَّحوه مِنَ الأقوال فكان مقبولًا، وما ضعَّـفوه ولم يُعوِّلوا عليه، فكان مرفوضًا عندهم، وممن صنَّف في ذلك الإمامُ الكلاباذي في كتابه "التَّعرُّف لمذهب أهل التصوف"، حتى أنه لم يهمل ذكر المسائل التي وقع فيها الخلاف بينهم وبين أهل الظاهر، وما اتفقوا بينهم عليها، وسيأتي توضيح ذلك في آخر هذا التقديم.

وكما وقع الاتفاق بين أهل الفقه على وجوب الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية مِنْ أصلَيْها الكتابُ والسنَّة لِمَن كانت له الأهليةُ لذلك، فيَحرُم عليه التقليد، كما فصَّل ذلك الحافظُ جلالُ الدِّين السيوطيُّ رحمه الله في مؤَلَّفِه النفيس: "الرد على مَنْ أَخْلَدَ إلى الأرضِ وجَهِل أنَّ الاجتهادَ في كلِّ عصرٍ فرضٌ"، كذلك أجمَعَ الصوفية على تحريم التقليد في الأحكام لِمَنْ وصل لمقام الأخذ والتلقِّي لأحكام الشريعة مِنْ أصلها، قال الشعرانيُّ رضي الله تعالى عنه: «أجمَعوا على تحريم التقليد على الوليِّ الواصلِ، وأنه يجب عليه أَنْ يأخذَ الشريعةَ مِنْ أصلها»، وكذلك قال العارف سيدي أحمد بن عجيبة في "**شرح نونية الششتري**"، قال: «رأيتُ الشيخَ زرُّوق في رؤيا كاليقظة، أو يقظة كالرؤيا، لا أدري أيَّ ذلك؟ قال: فقلتُ له: لِمَ شدَدْتَ على الصوفية في كتابكَ «عدَّة المريد الصادق»؟ فقال: تقليدًا لِمالِك، فقلتُ له: الصوفيُّ الحقيقيُّ لا يُقلِّد مالكًا ولا غيره، وإنما

يأخذ الحقيقة مِنْ أصلِها كما يأخذ الشريعةَ مِنْ أصلها، قال: ثُمَّ غاب عنِّي، ولم يرُدَّ جوابًا...».

ونشير أيضًا، إلى أنَّ الصوفية -رضي الله تعالى عنهم- قاموا بالتأليف في التراجم، فجمعوا كتبًا في تراجم رجالِهم وأئمَّتهم، فمنهم مَن جمع تراجمهم على غير ترتيبٍ، ومنهم مَن راعىَ ترتيب الطبقات، كما فعل الإمامُ أبو عبدالرحمنِ السُّلَمي في "طبقات الصوفية"، والحافظُ الجليلُ أبو نُعَيم الأصبهاني في كتابه "حلية الأولياء"، والشعرانيُّ في "لواقح الأنوار في طبقات الأخيار"، وعبدالرؤوف المناويُّ في "الكواكب الدُّريَّة".

وألَّف أهلُ الفقه وغيرهم في أدلة مذهبهم، كذلك ألف الصوفية كتبًا عديدة في تحرير أدلة ما ذهبوا إليه، واختاروه في سيرهم وسلوكهم، ولعلَّ كتاب "صفوة التصوف" لابن طاهر المقدسيِّ رحمه الله تعالى أوسع ما في الباب وأكثر فائدة، وألَّف أبو عبدِالرحمن السُّلمي كتاب "سنن الصوفية"، وتعرَّض القشيري في "الرسالة" للاستدلال لمسائلهم.

وصنَّف الصوفية كتبًا في قواعد أصول مذهبهم وفروعه، مثل كتاب "قواعد الحقائق وضوابط الدقائق في التصوف" لشيخ الإسلام في وقته تاج الدين بهرام بن يعقوب -المتوفَّى سنة ٧٨١هـ-، و"قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة" للشيخ زروق رحمه الله تعالى، وقد شرحه العلامة ابن زِكْرِي رحمه الله تعالى.

وألَّف الشيخُ الأكبرُ رضي الله عنه رسالةً لطيفةً مفيدةً في تبيينِ قواعدِ الطريـق، سمَّاها "ما لا يُعوَّلُ عليه".

وعملُهم هذا يشبه عَمَـلَ الفقهاء في تأليفهم في القواعد، إمَّا في الأصول أو الفروع، كقواعد القاضي عياض رحمه الله تعالى، الذي جمع فيه بين الأصول في العقيدة والفروع في الأحكام الخمسة.

وأمَّا في قواعد العقائد خاصةً، فكما فعل الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتاب "القواعد في العقائد"، وأمَّا في الفروع خاصة كقواعد في الفروع الشافعية لِمُعين الدِّين أَبِي حامدٍ الجَاجرْمِيِّ، مُفتِي نيسابور -المتوفَّى سنة ٦١٣هـ-، وقواعد الزركشيِّ في الفروع، وقواعد العزِّ بنِ عبدِالسلام، وغيرهم كثيرٌ.

وعندما تكلَّم الفقهاء على أدب طالب العلم والفقه والمُفتِي، وشروط الاجتهاد، وصفة المجتهد؛ فانَّ الصوفية ألَّفوا في أدب المريد، والشيخ الواصل، والمربِّي وشروطه، وبينوا ما يجب على المريد أن يكون عليه أثناء سلوكه، والشيخ في تربيته، والشروط التي يجب أن تتوفر في الشيخ المربِّي على الخصوص "كأدب الصحبة" لأبي عبدالرحمن السلمي، و"الإنالة العلمية" للششتري، و"أدب المريد" للعارف البوزيدي -شيخ الإمام أحمد بن عجيبة المفسِّر- رضي الله تعالى عنهما، و"أدب المريد" أيضًا لجدِّنا العارف الكبير سيدي الحاج أحمد رضي الله تعالى عنه، وغير هذا يطول تتبعه.

وقد نظَم ابنُ البنَّا السرقسطيُّ ما يتعلق بآداب الطريق في منظومةٍ مفيدةٍ، سمَّاها "المباحث الأصلية"، وقد شرحها ابنُ عجيبة شرحًا قيِّمًا سمَّاه "الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية". وأشير إلى أنَّ الإمام القشيري تكلَّم عن ذلك فصلًا، فصلاً، في آخر رسالته، وكذلك الغزالي في "الإحياء"، والسهرورديُّ في "عوارف المعارف" وغيرهم.

وكما اعتنى الفقهاء بتصنيف الكتب الموجزة في تقريب فهم الفقه، وحفظ قواعده للمبتدئين، كذلك ألَّف الصوفية كتبًا في التصوف موجزةً في تقريب أصوله وفروعه على السواء، تُغني عن الشيخ، كما فعل الشيخُ الأكبرُ رضي الله تعالى عنه في كتابه "مواقع النجوم ومَطالِع أهلَّة الأسرار والعلوم"، قال عنه في "الفتوحات": إنه يُغني عن الشيخ في الطريق، وقد سلكَ فيه مسلكًا لطيفًا يذكر المَقام مِن مقامات الطريق، ويذكر طريق الوصول إليه، وما ينتج مِنَ الكرامات المعنوية والحسِّية عند التحقق به، وللمتَّقي الهندي كتاب "هداية ربِّي عند فـقْـدِ المربِّي".

وأيضًا نجدُ أنه كما اعتنَى أهلُ المذاهب الفقهية وغيرهم بجمع الأحاديث التي وقعت لهم مِن طريق أهل مذهبهم: كالشافعية، والحنابلة، والمالكية، وأيضًا فعل أهلُ اللغة والنحو، كما فعل الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في آخر "بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنُّحاة".

كذلك فعل الصوفية، فجمع أبو عبدِالرحمن السُّلمي أربعين حديثًا مِنْ طريق الصوفية، وجمع كذلك أبو عليٍّ الماليني أربعين حديثًا مِنْ طريقهم.

وعندما نجد أنَّ المحدِّثين الذين ألَّفوا في طبقات الحُفاظ والمحدِّثين اعتنوا بإسناد الحديث مِن طريق الحافظ المترْجَمِ له آخر ترجمته، كما فعل الحافظ الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، والسيوطيُّ في "الذيل" عليها، وابنُ فهد، وأبو المحاسن الحسيني، فكذلك نجد الصنيعَ نفسه عند الصوفية، في الكُتب التي جمعوها في طبقات رجالهم، كـ"طبقات الصوفية" للسُّلمي، و"الحلية" لأبي نعيم.

وصنَّف الفقهاء مصنفاتٍ في أحكام القرآن، والكلام على الآيات التي استدل بها أهل المذاهب، واستنباط الأدلة مِنَ الآيات التي قد تكون دلالتها على الأحكام خفيةً،

كما فعل الجصَّاصُ الحنفي في "أحكام القرآن"، وأبو بكرٍ بنُ العربي المالكي في أحكامه أيضًا.

وقبْلَهما الإمامُ الشافعي رضي الله تعالى عنه، ولعله أول مَن صنف في أحكام القرآن، وألف في ذلك أيضًا أبو الحسن علي بن حجر السعدي -المتوفى سنة ٢٤٤هـ-، والقاضي إسماعيل بنُ إسحاق -المتوفى سنة ٢٨٢هـ-، وغيرُهم كثير.

وكذلك ألف الصوفية في تفسير الآيات القرآنية بالإشارة وأخْذِ ما يدلُّ منها على الحقيقة وأصول الطريقة، كما فعل الشيخ الأكبر رضي الله عنه في "الفتوحات المكية"، وطُبع له تفسير منسوبٌ خطأً إليه، ولأبي عبدالرحمن السلمي كتاب "حقائق التفسير".

وللإمام أحمدَ بنِ عجيبة تفسير إشاري حافل ومفيد للغاية، سمَّاه "البحر المديد"، وكذلك فعل الألوسي في تفسيره "روح المعاني".

وإذا وقف القاريءُ المُنصِف المبتعد عن التعصُّب على كلامهم في بعض الآيات عن طريق الإشارة يكاد يَجزم بأنَّ دلالة الآية على ذلك تكاد تكون مِن صريح العبارة التي لا تتحمَّل الآية غير ما أشاروا إليه، وكذلك شرحوا بعض الأحاديث عن طريق الإشارة وأخْذِ أحكام الحقيقة منها، كما صنع العارف سيدي محمد وفا في شرحه لحديث أمِّ زرعٍ، فقد شرحه بطريق الإشارة في جزء لطيفٍ.

وقد شرَحَ والدي -رحمه الله تعالى- كثيرًا مِنَ الآيات والأحاديث بطريق الإشارة في كتابه "السَّوانح".

ونجد الفقهاء قاموا بِنَظم المنظومات في الفقه، كما فعل ابنُ الورديُّ الشافعيُّ في "البهجة"، فقد نظم فيها كتابَ "الحاوي"، ونظَم غيرُه مِنْ أهل المذاهب الأخرى منظوماتٍ كثيرة في الفقه باختلاف مذاهب أصحابها، وكذا فعل أهل العقيدة،

والأصول، والمصطلح، والسيرة.. إلخ، كذلك نظَمَ الصوفيةُ المنظومات الطويلة في طريق القوم، وأصولها، وآدابها، وأسرار الحقيقة، والمجاهدة إلى غير ذلك مما يلزم السالك، بحيث يستغني الباحثُ بها عن سائر الكتب المصنَّفةِ في علومهم، كما هو الشأن في المنظومات الفقهية وغيرها.

ولعلَّ نَظْمَ الإمامِ الشهير أستاذ العاشقين أَبِي حفصٍ ابنِ الفارِضِ رضي الله تعالى عنه، المسمَّى "نَظْم السلوك"، هو مِن أنفس بل مِنْ أجمَعِ المنظومات في هذا الباب، جمع فيه ابنُ الفارض أصول الطريق وفروعها، وما ترك شيئًا يُحتاج إليه مِن أمور الطريقة والحقيقة، وإلَّا وبيَّنه بأمثلتِه وشواهده، وبأسلوب شعريٍ رائق، في منتهى البلاغة والعذوبة وزاد النظمَ جمالًا وجلالًا، وعُـذوبةً، ومطلع "نظم السلوك":

سـقَتْني حُمَيَّـا الحُــبِّ راحــة مُقلتِــي وكـأسِي مُحَيَّـا مَـنْ عَـنِ الحُسـنِ جَــلَّتِ

ويَكفِي في الإشادة بِشأنِ نظمِه هذا، أنهم ذكروا أنَّ الشيخَ الأكبرَ رضي الله تعالى عنه استأذنَ ابنَ الفارض رضي الله تعالى عنه في شرْحِها، فقال له: «كتابُ "الفتوحات" شرحٌ لها».

وقد نظم كثير مِن أئمة القوم قصائد «تائية» على نسق نظم ابن الفارض، لكن يبقى لِـ"نظم السلوك" مرتبة فاقت بها كل القصائد الأخرى.

كذلك اعـتنى العلماء مِن جميع المذاهب على اختلاف مشاربِهم، بالتأليف في قواعد العقائد وأصول الإيمان والتوحيد، ونَجِدُ الصوفيةَ رضي الله تعالى عنهم لم يُهمِلوا هذا النوع مِنَ التأليف والتصنيف، ولم يقتصروا على ذِكر بعضِ أبوابِه في كُتبهم وضِمنَ أبوابها وفصولها، بل جمعوا لذلك مصنفاتٍ مستقلةٍ، ما بين صغيرة وكبيرة، ويُعتبر كتاب "الحِكَم" للعارف ابنِ عطاءِ اللهِ السَّكنْدَري رضي الله تعالى عنه، مِنْ أجمع وأوضحِ وأنفعِ

ما كُتِب في هذا الباب، حيث يجدُ فيه المرءُ الكفايةَ في بيانِ توحيد أهل الشهودِ والعيان، وفيه ما لا يَجده في غيره إلا بعد طولِ بحثٍ وقراءة.

ومِنْ هنا يَبرز سبب عناية رجال الطريقِ به قراءةً وشرحًا ومطالعةً، فلا يُدرَى كم مِنْ شرحٍ كبيرٍ وصغيرٍ وُضع عليه، وللشيخ أحمد زرُّوق رحمه الله تعالى وحده ما يزيد على عشرين شرحًا، وقد ذكر في مقدمة بعض شروحه المطبوعة أنه لم يكن يفارقه كتاب "الحِكم" في حِلِّه وترحاله، ولهذا شرَحَه في عدة بلدان كفاس وتونس ومصر وغيرها، وقد ذكر أيضًا مَنْ شرَحَه مِن عَصرِيِّيه وقَبلَهم، ومدحَ شرحَ ابنِ عَبّاد النِّفزيِّ الرُّندي - المتوفَّى سنة ٧٩٢هـ -، وهو جديرٌ بالمدح لإفادته، وتقريبه لمعاني الحِكم بأسلوبٍ في غاية البساطة والوضوح.

ويَبقَى أكبرُ شرحٍ على كتاب "الحِكم" هو شرحُ العارف سيدي أحمدَ بنِ عجيبة رضي الله تعالى عنه، المُسمَّى "إيـقاظ الهِمَمِ"، فهو مفيدٌ للغاية، قرَّب فيه المؤلف رحمه الله تعالى المعنَى بعبارة سهلةٍ بعيدةٍ عن التعقيد، ومجلِيًّا فيه جواهر حِكمٍ مكنونةٍ وأسرار مصونةٍ توضح طريق العارفين والموحدين، رضي الله تعالى عنهم جميعًا، وقد خرَّج والدي رحمه الله تعالى أحاديثه في مجلدٍ لطيف سمَّاه "رفْعُ العَلَم بتخريج أحاديث إيقاظ الهِمَم في شرْح الحِكَم".

وقد نظم "الحِكَم" غيرُ واحدٍ، قديمًا وحديثًا، ولعلَّ آخرَهم الحافظُ السيدُ أحمدُ بنُ الصِّديق رحمه الله تعالى في منظومةٍ طويلةٍ سمَّاها: "لَثْمُ النِّعَمِ في نَظْمِ الحِكَمِ"، جاءت في سبعمائة وسبعة وسِتين بيتًا، ومطلعها:

الحمـــــد لله العـظيـــــم وكـفـــــى	ثُــمَّ صــلاته عـــلَى مَــنِ اصــطفَى
وبَعـــدُ فَالمقصـــودُ نظـــمُ الحِكَـــم	لِابْـــنِ عَـــطاءِ الله عـــالِي الهِـــمَم
وهـــو الـــذي سمَّـــيتُه لَـــثْمَ الـــنِّعَم	بِـنَظمِ مـا نُثـر مِـن لفْـظِ الحِكــم

كذلك مِن كُـتبهم في أصول العقيدة وقواعد توحيدهم، رسالة الشيخ رسْلانَ بنِ سِيبَـوَيْه بنِ عبدِالله بنِ عبدِالرحمن الدِّمشقي، وهي على اختصارها لا تخلو مِن فوائد كثيرة، وقد اعتنى بها الصوفية وشرحوها بشروحٍ مختلفةٍ، فقد شرحها محمدُ بنُ محمدِ بنِ سعدِ الكاشف، وسمَّى شرحَه: "الوحيدُ في خالص التوحيد"، وشرَحَها العارفُ الجليل الشيخ زكريا الأنصاري شرحًا ممزوجًا سمَّاه: "فتحُ الرحمن في شرح رسالة الشيخ رسلان"، وشرحها محمدُ الشهير بالخطيب الوزيري المالكي، وسمَّاه: "الفتوحات الربانية في شرح الرسالة الرسلانية"، وشرحها الشيخ عبدالغني النابلسي -رحمه الله تعالى- بشرح مبسَّط سماه "خَمْرة الحَانِ وَرَنَّة الألحان في شرْحِ رِسالة الشيخِ رسْلان"، كذلك شرحها والدي رحمه الله تعالى وسمَّى شرْحَه "فتْح الرحمن في شرح رسالة الشيخ رسلان".

هذا بالإضافة إلى كَمٍّ كبيرٍ لا يُحصر مِنَ الرسائل والأجزاء، أُلِّفَتْ قديمًا وحديثًا، والتي تكلم فيها أصحابها على جزئيات متعلقة بأمور الطريق، وقع الطعن والاعتراضُ عليهم فيها، فحرَّروا الكلامَ عليها، تمامًا كما فعل أهل المذاهب والفنون الأخرى في تحرير الرسائل الخاصة فيما أشكل مِنْ مسائل مذهبِهِـم وَفـنِّهِم.

والحافظُ جلالُ الدِّين السيوطي رحمه الله تعالى، وحدَه أَلَّف رسائل كثيرة في الانتصار للصوفية والدفاع عن طريقهم، في مسائل وقع الاعتراضُ عليهم بسببها، فأفردَ لكلِّ مسألةٍ رسالةً خاصةً، مثل: "الخبرُ الدَّالُّ على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال"، ورسالة "المِنحة فيما ورد في السبحة"، و"نتيجة الفكر في الجهر بالذكر"، و"إتحاف الفرقة بِرفوِ الخِرقه"، و"تشييد الأركان في قول الغزالي ليس بالإمكان"، و"المُنْجلي في تطور الوليِّ" و"تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية"

ذكر فيه جملة من المسائل التي وقع الاعتراض بها على الصوفية، وبيَّن فسادَ الاعتراض عليهم بها.

وألَّف أبو الفضل ابنُ مغيزيل الشاذلي كتابًا مفيدًا سمَّاه "الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة".

وكتب سيدي عبدالوهاب الشعرانيُّ رسائل كثيرة في هذا، بل ألف مجلدًا ضخمًا في الردِّ على ما ذكره ابنُ الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه "تلبيس إبليس" مِن الأباطيل التي لبَّسها عليه إبليس اللعين ورمى بها السَّادة الصُّوفية، وسمَّى ردَّه "الأقوال المرضية في الدفاع عن الصوفية".

وللعلَّامة الصوفي محدِّث الهند الشيخ عبدالحي اللكنوي "نزهة الفكر في سبحة الذِّكر"، جمع فيه أدلَّة اتخاذ السبحة، وقد أفاد فيه -رحمه الله- وأجاد، كذلك ألَّف العلامة المحقق محدِّث مِصرَ بل والمشرقين، الشيخ محمود سعيد ممدوح -حفظه الله ونفع به- رسالةً جامعةً في إثبات سنية السُّبحة.

وللشيخ عبدالحي اللكنويِّ المذكور رسالة سمَّاها "إقامة الحُجة على أنَّ الإكثار في التعبد ليس ببدعة"، ردَّ فيها عمن زعم أن الإكثار من العبادة والمجاهدة بدعة، وقد أجاد فيها أيضًا، كعادته في كلِّ كتبه.

وللحافظ السيد أحمد بن الصِّدِّيق -رحمه الله تعالى- "البرهان الجلِيُّ في تحقيق انتساب الصوفية إلى عليٍّ"، وهو مِن أنفس الكتب وأجلِّها نفعًا وفائدةً، حيث دافع عن أسانيد الصوفية واتصالها بسيدنا عليٍّ عليه السَّلام، منتقدًا الطاعنين في اتصالها، أمثال ابن تيمية وابنِ خلدون اللذين طعنا في خرقة التصوف المتصلة بسيدنا عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السَّلام، فتكلَّم فيه عن سند الطريقة الشاذلية وحقَّق اتصالها بأبي الحسن الشاذلي -

رضي الله تعالى عنه-، ثُمَّ اتصال أبي الحسن الشاذلي بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن الطريقين: طريق التحكيم والإرادة المتصل بعليٍّ مِنْ جهة ابنه الحسن عليهما السَّلام، ومِنْ طريق الخِرقة والتبرك المتصل بعليٍّ عليه السَّلام مِنْ جهة الحسن البصري رحمه الله تعالى.

وله أجزاء أخرى في الموضوع تنضاف لهذا الباب.

ولوالدي رحمه الله تعالى جزء "**إظهار ما كان خَفيًّا مِنْ كلام الذهبي في حديث مَنْ عادَى لي وليًّا**"، حيث ردَّ على الذهبي -رحمه الله تعالى- في كلامه الذي ذكره في ترجمة خالدِ بنِ مَخْلد القَطوَاني، مِنَ "**الميزان**"، حيث قال في شأن الحديث القدسيِّ الذي رواه البخاريُّ في صحيحه: «**لايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه...**» **الحديث**. قال: «لولا هيبة الجامع الصحيح لعددتُه مِن منكرات خالد...»، فبيَّن والدي -رحمه الله تعالى- في كتابه هذا أنَّ الحديث غير منكرٍ وأنه ورد مِن طرق عشرةٍ مِن الصحابة مما يبعد عنه النكارة التي زعمها الذهبي كما هو مقرَّرٌ في علم الحديث، وقد بيَّن في مقدمة الكتاب السبب الحامل للذهبي -رحمه الله- على هذه الدعوى، وهو كون الحديث القدسي المذكور حُجَّة للصوفية في مسألة الفناء، وأنَّ العبدَ يفنى عن نفسه ببقاء صفات ربِّه؛ ولأنَّ الذهبيَّ نشأ في مدرسةٍ منحرفةٍ عن الصوفية، وأُشْرِبَ منذ صغره الاعتراض والانتقاد لقولهم وفعلهم، فصار يُضَعِّف كلَّ حديثٍ يروى في تأييد مذهبهم، إمَّا مِن جهة لفظه ومعناه، وإمَّا مِن جهة راويه، ولو كان مِنْ رجال الصحيح، كما وقع له في هذا الحديث.

وهذا بابٌ يطول ذِكره، وإنما مثَّلْنا بهذه الأمثلَةِ للتوضيح لا لِلحَصْرِ.

وقد ألَّف أهلُ العلوم والفُنون والمذاهب كُتبًا في الدفاع عن رجالِ مذهبِهم، ومَنْ طُعن فيه منهم كما فعل الحافظ ابن ناصر في الدفاع عن ابنِ تيمية في كتابه "الرد الوافر". وكما صنف قبله كثيرٌ منهم في الدفاع عن أبي حنيفة وغيره مِنْ رجال الفقه، وكذلك فعل الصوفيةُ في الدفاع والردِّ على مَنْ طعن في أئمة الطريق، كما فعلَ الحافظ جلال الدين السيوطي في تأليفه في الدفاع عن ابنِ الفارض رضي الله تعالى عنه، وسمَّاه "قمْعُ المُعارض"، وألَّف النابلسي "تنبيه الغبي على تبرئة ابنِ عربي"، وسبقه في الدفاع عنه الإمامُ الشعراني رضي الله تعالى عنه.

وحتى علم الجرح لم يغفل عنه الصوفية ولم يهملوه، فقد وقع منهم تجريحُ مَنْ رأوا مِن المصلحة مِن ناحية الشريعة جرحَه، وعدم الرضا عنه لِما ظهر منه مِنْ أمور تُخلُّ بآداب الشرع، كان يجب سترُها، كما وقع مِنَ الحسينِ بنِ منصورٍ الحلَّاج، فلذلك جرحه عددٌ كبيرٌ منهم، قال السُّلمي في طبقاته: «والمشايخ في أمرِه مختلفون، ردَّه أكثر المشايخ ونفوه وأبوا أن يكون له قدمٌ في التصوف، وقَبِلَه مِنْ جملتهم أبو العباس ابنُ عطاء، وأبو عبدِالله محمدُ بنُ خفيف، وأبو القاسم إبراهيمُ بنُ محمد النصرآبادي، وأثنوا عليه وصحَّحوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحدَ المحقِّقين حتى قال محمدُ بنُ خفيف: الحسينُ بنُ منصور عالمٌ ربانيٌّ».

قال والدي العلامة العارف سيدي عبدُالعزيز بن الصديق رضي الله تعالى عنه مُعقِّبًا على هذا الثناء في حقِّ الحلاج: «وهذا هو الحقُّ في أمره، فإنه كان عالمًا ربَّانيًّا، وكلامه يدلُّ على ذلك، وإنما قال فيه المشايخ ما قالوا: لأجل المحافظة على ظاهر الشريعة، ولذلك قال له بعضُهُم مِمَّن وافق على قتله رضي الله تعالى عنه: فتحتَ ثغرةً في الإسلام لا تُغلق إلَّا برأسك، وقد ذكر بعضَ كلامه القشيريُّ في رسالته، مما يدلُّ على أنه صحيح الحال،

والششتري في نونيته، وأثنى عليه الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه في "الفتوحات المكية" في غير موضع منها، واستدلَّ بكلامه وبحاله...».

ومن قبيل هذا ما تكلَّم به القطب الأشهر مولاي العربي الدرقاويُّ رضي الله تعالى عنه في حقِّ الشيخ أحمد زروق، فقال: إنه عند الناس صوفيٌّ كبيرٌ، وعندنا صوفيٌّ صغيرٌ، كما نقل ذلك عنه ابنُ عجيبة في شرح نونية الششتري، وقال فيه أيضًا: إنه لم يُفتح عليه إلّا في آخر أيامه.

قال والدي عن ذلك في سوانحه: «وإنما تكلَّم فيه مولاي العربيُّ رضي الله تعالى عنه للتحذير من كلامه في شأن السلوك وأنه انقرض وانتهى، ولم يبقَ إلَّا التَّخلُّق، ولا شكَّ أنَّ هذا القولَ جاء على غير الحقيقة، وفيه ضررٌ على المُسلِمين؛ لأنَّ مَنْ سمِعَ به وكان يعتـقـدُ في زرُّوق الكمالَ، يتقاعس ويتباطأُ عن الدُّخول في طريق الإحسان لأجله، ويُبطل بسببه فرضٌ مِنَ الفروض العينية، فلذلك صرَّح القطب مولاي العربي بضعفه في الطريق، وأنه ليس ممن يُعتمد فيها حتى يكون حكمه فيها مسلَّمًا صحيحًا؛ ولهذا قال رضي الله عنه في بعض كلامه: ما حصل الفتحُ الكبير للناس إلَّا بعدَ الشيخ زرُّوق، وهذا مِن الأسباب التي تُجيز الجرحَ كما هو معلومٌ».

وكما ترى، فليس هناك بابٌ خصه العلماء وأصحاب المذاهب والنِّحَل والفنون بالتأليف والكتابة في مواضيعِه، إلا وتجد الصوفية -رضي الله تعالى عنهم- قد شاركوا معهم التأليف بمؤلفاتهم وبحوثاتهم وتحريراتهم.

وهذا زيادة في البرهان على أن التصوف هو مذهبٌ مؤسسٌ بالوحي، كما أُسِّس الفقه، والإيمان، فمن شرح الله تعالى صدرَه وسلكَ به طريق الحقِّ والصواب علِمَ هذا وتحقق به.

نسأل الله تعالى أن يمنَّ علينا بإتقانه والتحقق به وبكلِّ مقاماتِ الدِّين الإسلامي، وأنْ لا يجعلنا مِنْ أهل النقص الجاحدين لمقام الإحسان، الذين جهلوا أمر التصوف واعتبروه بعيدًا عن الوحي، فحُرِموا بسبب ذلك مِن خيرٍ كثيرٍ.

وبعد هذا التوضيح المختصر لجهود الصوفية -رضوان الله عليهم- في خدمة مذهب التصوف الشريف، والذي يوضح لك أنه مذهبٌ مستقلٌّ كغيره من مذاهب الفقه، كما مرَّ بك، لا زالت هذه الجهود مستمرةً بفضل الله تعالى، بفضل ما يهيِّؤه الله تعالى مِن رجالٍ اصطفاهم سبحانه وتعالى وسخرهم لخدمة الدين الإسلامي، والعمل على الدعوة إلى التمسك والدخول في كلِّ مقاماته. نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم.

كلمة عن كتاب "التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف".

إنَّ كتاب "**التعطف في تخريج أحاديث التعرُّف لِمذهب أهل التصوف**" هو مِن هذه الجهود المستمرة لخدمة طريق التصوف، مع ما فيه أيضًا مِنْ فائدةٍ لأهل الحديث عامَّة، وقد جاد به يَراعُ والِدِي العلَّامة المجتهد، المحدِّث الناقد العارفِ، الجامعِ بين الشريعة والحقيقة، الإمام سيدي عبدِالعزيز بنِ محمد بن الصِّديق -رحمه الله تعالى ورضي عنه-، وهو مِنْ مصنفاته في فنِّ التخريج التي صنَّفها دفاعًا عن طريق التصوف وخدمة أهلِه، مع ما له مِن مصنفاتٍ أخرى في علم التخريج، خرَّج بها أحاديث مصنفات في التصوف جليلة.

وذلك أنَّه لَمَّا كان كـتاب "**التعرف**" للكلاباذيِّ مِن أهمِّ الكتب المعتمدة في طريق القـومِ، وأجلِّها نفعًا لِمَن يَنشد الاطلاعَ على موارد الصوفية -رضي الله تعالى عنهم- التي

أصَّلوا منها أصولَ ومسائل طريقهم، إذ أنه يُحقِّق لمن يَطلب علم التصوف بُغيته ومَرامه؛ لِما فيه مِن الأدلة لمسائله.

فحازَ عند أهلِه، قديمًا وحديثًا، المرتبة المتقدِّمة، لكونه يُعرِّف للطريق الصوفي، ولأدلة مسائل التصوف، وما اتفقوا عليه في الطريق وما اختلفوا فيه، فهو مِثلُ كُتب الخلاف العالي في الفقه؛ فاعتنى به الأئمَّة والمشايخ، وقالوا فيه:«لولا «**التعرف**» لَمَا عُرِف التصوف».

فالكتاب صورةٌ صادقةٌ لاسْمِه، في التعريف بطريق أهل الصوفية الأخيار، والتأصيل لأمورِ وأحوالِ ومسائل مذهبِهم الشريفِ المُنيف، وبالتالي تمييز الدخيل فيه، الذي لا انتساب له بمذهبهم، مما يدسُّه الجهلةُ والأدعياءُ في الطريق بتصرفاتهم وأعمالهم، فيحسبه الحاقدون على التصوف وأهله أنه منه، والتصوف منه بريءٌ، ولهذا ألَّفَ «**التعرف**»، يقول الكلاباذيُّ -رحمه الله تعالى- في مقدِّمة الكتاب:

«فدعاني ذلك إلى أنْ رسمتُ في كتابي هذا وصْفَ طريقتِهم- أي طريق أهل التصوف- وبيانَ نِحلتِهم وسيرتهم، مِنَ القول في التوحيد والصفات، وسائر ما يتصل به مما وقعتْ فيه الشبهةُ عند مَنْ لم يَعرِفْ مذاهبَهم، ولم يَخدم مشايخهم، وكشفتُ بلسان العِلم ما أمكن كشفُه، ووصفتُ بظاهر البيان ما صلح وصفُه، لِيفهَمه مَنْ يَفهم إشاراتِهم ويُدركه مَنْ لم يُدرك عباراتِهم، وينتفي عنهم خرصَ المتخرِّصِين وسُوءَ تأويل الجاهلين، ويكون بيانًا لِمن أراد سلوك طريقه، مُفتقرًا إلى الله في بلوغ تحقيقه، بعد أنْ تصفحتُ كُتب الحُذَّاق فيه، وتتبعتُ حكاياتِ المتحققين له بعد العِشْرَةِ لهم والسؤال عنهم..».

ونظرًا لموقع هذا الكتاب بين كتب مذهب التصوف، اعتنَى به القومُ اعتناءً بالغًا، قديمًا وحديثًا، لتعريفه بطريقهم ومذهبهم، فدرَّسوه وشرحوه، فقد قام مصنِّفُه الكلاباذي رضي الله عنه بشرْحِه، كما شرَحَه شيخُ الإسلام عبدُالله بنُ محمدِ الأنصاريُّ الهرويُّ -المتوفَّى سنة ٤٨١هـ-، وكذلك شرَحَه الشيخُ علاء الدين القونويُّ المتوفَّى سنة ٧٢٩هـ، وغيرهم.

فهو يضمُّ بين أبوابه بحوثًا قيِّمةً، لا يُمكن الاستغناء عنها لمريد طريق القوم، وطالِبِ علومهم والمتشوِّفِ لِمعرفةِ أصول مذهبهم، وأدلة مسائلهم.

فقد عَـقد فيه مؤلِّفُـه خمسًا وسبعينَ بابًا، ذَكَر في كلِّ بابٍ ما أجمعوا عليه مِنَ المسائلِ، وما اختلفوا فيه، حتى أنه لم يُهمل ذِكرَ المسائل التي وقع الخلافُ بينهم وبين أهل الظاهر فيها، والتي لم يختلفوا فيها، فيَذكر مذهبَهم وقولهم فيها.

كقوله مثلاً: البابُ السادسُ: شرْحُ قولِهم في الصِّفاتِ، والبابُ الثامنُ: في اختلافهم في الأسماء... وهكذا.

فعـقَـد لكلِّ قولٍ وقع فيه الكلامُ والخلافُ بين أهل الظاهر بابًا بيَّنَ فيه قولَهم ردًّا وقبولًا، كاختلافهم في الكلام ما هو؟، وقولهم في الرؤية، واختلاف قولهم في رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقولهم في: القَدَرِ وخلْق الأفعال، وقولهم في: الاستطاعة، وقولهم في: الجَبْرِ، وقولهم في: الأصلح،.. وغير هذا، ممَّا هو محلُّ نزاعٍ وخلافٍ بين أهل الكلام مِنْ سائر المذاهب والطوائف، فبيَّن الكلاباذيُّ -رحمه الله تعالى- قولَ الصوفية في ذلك، مع بيان أدلَّتِهم فيما ذهبوا إليه، مسنِدًا في بعض الأحيان الأحاديث الواردة في ذلك.

ومِنْ عنايتِهم بِهِ أيضًا، هذا التخريج الذي -يُصدَرُ لأوَّلِ مرةٍ- الذي صنَّفه والدِي العلَّامة المحدِّثُ السيدُ عبدُالعزيز بنُ الصدِّيق -رضي الله تعالى عنه-، حيث خرَّج أحاديثَ الكتابَ تخريجًا وافيًا شافيًا، كافيًا لأهل طريقِ التصوف في دعْمِ مسائلهم

بالدليلِ الناصع الذي يَقطع اللجَاجَة، ويزيدُ حُجَّتهم قوةً وإفْحامًا للمُعانِدين، والجاحدين لِطَرِيقِ القوم وأهله.

وهذا التخريجُ ليس الوحيد للمؤلف -رحمه الله تعالى- في خدمة مصنفات التصوف، بل له تخريجٌ لأحاديثِ كتاب: "إيقاظ الهِمم في شرْح الحِكَم" للعارف أحمد بن عجيبة -رحمه الله تعالى- صاحبِ التفسير الإشاري، وله مستخرَجٌ على أحاديث "الرسالة القشيرية"، وشرحٌ حافلٌ لِنونية أبي الحسن الشُّشترِي -رضي الله تعالى عنه- التي مطلعها:

أَرَى طالبًــا مِنَّــا الزيــادةَ لا الحُســنَى بِفِكْرٍ رَمَـى سـهْمًا فعَـدَّى بـه عَـدْنَا

وله شرحٌ لبعض مقطعاته وأزجاله.

وله أيضًا شرحٌ لأبيات الإمام الجنيد: «توضَّأ بماء الغيب.. »، وتفسيرٌ لبعض سور القرآن الكريم، ولكثير مِن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة بطريق الإشارة، ضمَّنها في مجلدٍ ضخْمٍ سمَّاه "السوانِح"، وله تخريجٌ لأحاديث كتاب "الفتوحات المكية" للشيخ الأكبر -رضي الله عنه- إلَّا أنه لم يُكْمِله.

وهذه الكتب سنعملُ إنْ شاء الله تعالى على إصدارها تِباعًا، لتعمَّ بها الاستفادة، ويتحقق قصدُ مؤلِّفها -رحمه الله تعالى- في خدمة طريق القوم، والدفاع عن مذهبهم وعلومهم وأحوالهم رضي الله عنهم جميعاً.

و«**التعطف**» تخريجٌ رامَ فيه صاحبه الاختصارَ وعدم التطويل، حتى يسهل الانتفاع به مِن المختصين وغيرِهم، فيخرِّج الحديث، ويذكر ما في الباب ولو كانوا كُثرًا، وما يتعلَّق بكلِّ طريق مِن طرق الإسناد.

يقول مؤلفه -رحمه الله تعالى- في ترجمته التي كتبها لنفسه، والموسومة "بتعريف المؤتسي لأحوال نفسي": «وكما هو معلومٌ، فالعلم عمومًا وعلمُ الحديث خصوصًا لا يمكن التفوق فيه والتحقق بقواعده المقرَّرة إلَّا عن طريق التطبيق، وذلك لا يتيسَّر إلَّا

بقراءة كتب الحُفَّاظ المعتنين بنقد الرجال، وبيان العلل لحال أسانيد الحديث، وبصفة خاصة كتب التخريج؛ لأنَّ مهمتها هي بيان حال الحديث المذكور في الكتاب الذي وقع عليه التخريج مِنْ غير ذِكر راويه، فيحتاج المخَرِّجُ إلى أن يذكر الحديث، ومَن رواه مِن الصحابة، وبيان عِلَّة طريق كل صحابيٍّ ومَن رواها؛ ولأجل هذا وُضعت كتب التخريج، وكتاب التخريج إذا خلا عن هذه الصفة فيكون كالعدم، فلهذا ينبغي لطالب الحديث أن يكون اعتناؤه بكتب التخريج في الدرجة الأولى مما يشتغل به في علم الحديث...».

وقد وفَّى المؤلفُ -رحمه الله تعالى- بما عرَّف به التخريج وما شرَطوه في كتب التخريج، فكان "**التعطف**" إذ جاء جامعًا لهذه الأوصاف وللشروط التي ينبغي أن تكون مستوفاة في مصنفات التخريج.

وقد عرض المؤلف الكتاب على شيخه وشقيقه الأكبر الحافظ السيد أحمد بن الصديق -رضي الله تعالى عنهما-، فأعجب به وأثنى عليه، وزاد فيه تخريجات أخرى لبعض الأحاديث، وفوائد جليلة، فتتميمًا للفائدة، فإني ذكرتُها وجعلت اسم (أحمد بن الصديق) -هكذا بين معقوفتين- نهايتَها، عند الإحالات، كما فعل هو -رحمه الله تعالى ورضي عنه- عندما أضافها على هامش النسخة الأصلية للمؤلف.

فجزى الله تعالى المصنفَ -رحمه الله تعالى- عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأثابه عظيم الثواب، ونوَّر ضريحه، ورفع مقامه في أعلى الدرجات. آمين.

طنجة في ٢٩ ذي الحجة ١٤٣٤

د عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدَّيق

مسرد حياة السيد عبدالعزيز بن الصِّدِّيق[1]

هو العلَّامةُ الإمام، المحدِّث، الحُجَّة، المحقِّق، الناقد، المجتهد، الصوفيُّ العارف بالله، جمالُ الدِّين أبُو اليُسر، السيد عبدُالعزيز بنُ الإمامِ العارفِ بالله القُطبِ الشهير، سيدي محمَّد بنِ الصِّدِّيق الحَسني.

ولد بثغر طَنْجة في شهر جمادى الأولى ١٣٣٨هـ، في بيت عِلمٍ ومعرفةٍ، وولايةٍ وتصوُّفٍ وشرفٍ، بيتٌ جمع فيه أهلُه بين الشرف الروحي والشرف الطيني،

---

(١) اعتمدت في كتابة هذه الترجمة على:
- ترجمة المؤلف لنفسه والمسمَّاة: "تعريف المؤتسي لأحوال نفسي". سيصدر قريبًا.
- "نجمٌ مِنْ أعلام السلف في علماء الخلف في ترجمة محدِّثِ المغرب فضيلة الشيخ السيد عبدالعزيز بن الصِّدِّيق" للعلامة عبداللطيف جسوس. سيصدر قريبًا بإذن الله تعالى.
- "مشيخة خادم الحديث عبدالعزيز بن محمد بن الصِّدِّيق الغماري" للمترجَم له (مخطوط).
- "فتْحُ العزيز بأسانيد السيد عبدالعزيز" للعلامة المحدِّث الدكتور محمود سعيد ممدوح.

مع إضافات شخصية بِحُكم علاقة الأبوة التي تجمعني بالمؤلف رحمه الله تعالى.

وأشير أنَّ هناك ثلَّةٌ مِنَ العلماء والفضلاء ترجموا للسيد عبدالعزيز رحمه الله تعالى، وفي مقدمتهم أخوه الأصغر العلامة المحدِّث الدكتور السيد إبراهيم بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالى، فقد أفرد له ترجمةً سمَّاها: "القول الوجيز في ترجمة أخي السيد عبدالعزيز"؛ والأستاذ محمَّد الفاطمي الشهير بابنِ الحاجِّ السُّلَمِيِّ في كتابه "إسعاف الإخوان الراغبين بِتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين"؛ و الأديب الأستاذ المختار التمسماني، في كتابه "صِدِّيقون"، حيث ترجم فيه له ولوالده، ولأشقَّائه الأربعة.

كما أنَّ هناك أبحاثًا وأطروحاتٍ جامعيةً كثيرةً، تناولت أبحاث ومؤلفات المترجَم له بالدِّراسة والتحقيق، وفيها قام أصحابها بالترجمة له.

فـوالده رضي الله عنه كان إمامًا في سائر العلوم، محقِّـقًا للمنطوق منها والمفهوم، حافظًا متقنًا، واسعَ الاطِّلاع، مَديدَ الباعِ، قـويَّ الحُجَّة والعارضة، فصيحًا فَـطِنًا ذكيًّا، غايةً في الاستحضار، بل آيةً وأعجوبةً مِنْ عجائِب الدهر فيه.

ووالـدتُه: هي العابدةُ الزاهِـدةُ صاحبة المناقب المحمَّدية والكرامات الشهيرة، فاطمةُ الزهراء بنتُ الشيخ الجليل العابِدِ الزاهِدِ عبدِالحفيظِ بنِ الشيخ الإمام العلَّامة أحمدَ بنِ عجِيبة، دفينِ طنجة، ابنِ الإمام الشهير العارف بالله تعالى سيدي أحمدَ بنِ عجيبة، صاحِبِ «التفسير»، وغيره مِنَ المؤلفات. كانت صاحبة أحوالٍ شريفةٍ وسيرةٍ مُنيفةٍ، أثبتت لها مزيَّـتَها وخصوصيتَها مع الولاية والمعرفة الربَّانية.

نَسَـبٌ كـأنَّ عليـه مِـنْ شـمْسِ الضُّـحَى ... نـورًا ومـن فَـلَقِ الصَّـباحِ عَـمودَا

تُوفِّـيَتْ والدته وهو ابنُ سنتين أو ثلاث، فـتربَّى في كَنَفِ والدِه قدَّس الله روحَه، يتـزوَّد مِنْ مختلف العلوم والمعارف والفنون، ويشربُ مِنْ مَعِين التَّصوُّف، النابع مِنْ صدر والده الإمام وأحوالِه عذْبًا زُلالًا؛ تصوف الإرشاد والعمل والسُّلوك كان أو تصوف العِلم بالله وأهلِ الفناء في وحدة الوجود، فنشأ نشأةً ربَّانيةً في ظلِّ والده الإمام الذي أحْيَى الله تعالى به سُوقَ العلم والتَّصوُّف في مدينة طَنجة.

دخل الكُـتَّاب لحفظ القرآن الكريم وهو ابنُ خمس سنواتٍ، فقرأه على الفقيه السيد محمَّدٍ الأندلسيِّ، وأثناء اشتغاله بحِفظ القرآن الكريم، قرأ على بعض أصحاب والده بعضَ الدُّروس في «الأجرومية» و«ألفية ابنِ مالِك»، غـير أنَّه لم ينتـفع بها لِانْـشغال بالِـه بِحِـفـظ القـرآن الكـريم.

ومع ذلك كان والـدُه رضي الله عنه يتعاهده بِإرشاداتٍ وتوجـيهاتٍ عـلمـيةٍ أضاءت له طريـق التَّلـقِّي والأخذ، وسهَّـلت له الأخـذَ بـمفاتيح العلوم والفنون، قال

رحمه الله تعالى في «تعريف المؤتسي بأحوال نفسي» الذي ترجمَ فيه لنفسه: «وقد كان والدي رضي الله عنه يتعاهدني في أثناء ذلك بالنصائح والإرشادات، التي كانت تضيء أمامي الطريق، وتكشف لي عن سبيل السير فيما ينفعني في ديني، ويُقرِّب لي طريق التعلم...، فلم يكن يَمرُّ عليَّ يومٌ بدون أنْ أذاكره وأسأله في شتَّى العلوم والفنون المختلفة، فكان يعطيني رحمه الله ورضي عنه في كلِّ موضوعٍ أسأله عنه قواعدَ عامةً، تَكفيني وتُغْنيني عن كثيرٍ مِنَ البحث والمطالعة، فنفعني ذلك جدًّا، وكان رحمه الله يُسرُّ بذلك ويَحثُّني على الاستزادة مِنَ البحثِ والمعرفة...».

وقد كان لهذه الرعاية الأبوية كبير الأثر في بِناء وتكوين شخصية السيد عبدالعزيز العلمية، حيث استفاد كثيرًا منها، ووجد فيها عند الحاجة ما كان عونًا له على فهْمِ العلوم والفنون، مع تشجيعه الدائم له على مطالعة كُتب العلم ومذاكرته له فيها وفي فنِّها، مما سهَّل له فهمَها والإحاطةَ بها، ثُمَّ شجَّعه على اقتحام ميدان الكتابة والتأليف، حيث كان يحثُّه على البحث والكتابة ويبيِّن له الفائدة العظيمة في الكتابة، قال رحمه الله تعالى في «تعريف المُؤتَسي»: «ومع كوني كنتُ مشتغلًا بحِفظ القرآن، أصرفُ النهار كلَّه في المكتب، فقد كان يأمرني بالاشتغال بالكتابة في المسائل العلمية التي لا خبرة لي بها حينئذٍ، ويؤكِّد عليَّ في ذلك كثيرًا، وكلَّما جاءت المناسبة أكَّد عليَّ في الكتابة والتأليف، ويقول لي: اكتُبْ فإنَّ فائدة الكتابة عظيمةٌ غير محدودة النَّفع، وقد امتثلتُ أمْرَه بذلك، فكنتُ إذا فرغتُ مِنَ المكتب شرعتُ في الكتابة وجمْعِ المسائل، هذا وأنا لم أقرأ كتابًا قطُّ، ولا قرأتُ على شيخٍ بالمرَّة.. وإنما جميعُ ما عِندي مِنْ معلوماتٍ مما آخذُه منه ساعة المذاكرة والسؤال لا غير، وقد كان ذلك عظيمًا

حـقًّا أحسن مِنْ مائة درسٍ لِمَا خصَّـه الله بِه مِن حُسنِ البيان وجمالِ التعبيـر، ودِقَّــةِ الشـرحِ...»

وبعد إكماله حِفـظَ القرآن الكريم، شرع في قراءة "مقـدِّمة ابنِ أَجرُّوم"، و"رسالة ابنِ أَبِي زيدٍ القيرواني"، و"ألفية ابنِ مالكٍ"، على بعض أصحاب والده بالزاوية الصِّـدِّيـقـيَّـةِ، وكانت هذه الدروس لا تكـتمل فائـدتُـها عـنده إلَّا بمذاكـرة والـده له فيها حين عـودتِـه مِن الدرس، مع تـشجيعه المتواصل له على البحث والمطالعة، ومذاكرة ما يقرأ ويُطالع معه.

ولا يخـفَى على مُطَّلعٍ ما في هذا المنهج التعليمي الذي سلكه الشيخ الإمام رضي الله عنه مع ولـده مِنْ فائـدةٍ عـظيمة ونفـعٍ كـبيرٍ، تـتجلَّى ثـمرتُه في توسيع مداركِ الابنِ المعـرفـية، وجعْـلِه يُـلِـمُّ بنصيبٍ وافرٍ مِنَ الفـنون والعلوم في وقـتٍ وجـيزٍ، ودون مُجالسة الشيوخ. وهذا المنهج لِمَن أراد أن ينتهجه يحتاج طبعًا لإمامٍ طويـل الباع في العلوم المختـلفة، يكون في مرتـبةِ الإمام الشيخ سيدي محمَّد بن الصِّـدِّيـق رضي الله عنه.

ولَمَّا أراد والده الإمام رضي الله عنه اختـبار ما وصل إليه الابنُ في تحصـيله العِـلمـي، ومدَى مطاوعة الكـتابة له، أعـطاه ذات يومٍ رسالة «المقاصد» المنسوبة للإمام النوويِّ رحمه الله تعالى، وهي تشتمل على قواعدِ الإسلام الخمسِ، وبيانِ فـروضِها وسننِها، وأمره بشرحها ودلَّه على الكُـتب التي يراجعها أثناء كتابة الشَّرح، فشرع في شرحها وكـتب منه عـدَّةَ كراريس، وكان كلما فـرغَ مِنْ كُـرَّاسٍ أطلعه عليه، فَـيُـسرُّ به والده غايةَ السرور، غـيرَ أنه لم يُـكمله لِانْـشغاله بمصيبة فـقْـدِ والده الإمام رضي الله عنه، الذي تُوفِّي عشيَّة يوم الأربعاء السادس مِنْ شوال مِن عام ١٣٥٤هـ، الموافـق لسنة ١٩٣٦م.

وقد ترجم السيد عبدالعزيز رحمه الله في "تعـريف المـؤتسي" لوالده السيد الإمام ولوالدته، وذكر أنَّ والدَه رضي الله عنه كانَ يُـكِنُّ له معـزَّةً كبيرةً، ويُـوليه عنايةً خاصَّةً، فكان لا يُناديه إذا أقبَـلَ عـليه إلَّا باسم مولاي عـبدِالعـزيـز التَّـبّاع، أو مـولاي عـبدِالـعـزيـز الـدّبَّاغ، وهُما مَن هُـما في سماء الولاية والقطبانية.

وما أحسبُ هذا التـقـديـر والتـبجـيل منَ الأب للابنِ إلَّا مِن باب المكاشفة والكشف لدَى والده الإمام رضي الله عنه، فـقـد أصبحَ السيد عبدالعزيز رحمه الله كذلك، عارفًا محيطًا بإشارات الـقـوم، وأذواقِهم وعـلومهم، ومدافعًا عن أصول طريقهم، ومُنافحًا عن أئمَّـتهم ورجالِ الطريـق عامةً، وكُـتـبُه في التَّصوُّف التي شرح فيها إشارات أهـل الحقائـق دالّةٌ بحـقٍّ على عُـمقِ غَـوصِـه في هذا العِـلم الشريف، فكلامه في الحقائق والإشارات شبيهٌ بكلام مولاي عبدالعزيز الدَّبَّاغ في «الإبـريـز»، بل كان يستشهد به، ويوضح كلامه توضيحًا كأنه جالسٌ معه يستـفسره عنه.

وأمَّا مَن اطَّلع على سيـرته رضي الله تعالى عنه وأحـواله، وزهـده وحبِّه للخمول وعدم الظهور، وسخائه وجُـوده، وإقباله الشديد على العبادة والـذكـر، وشاهَـدَ فناءَه الكامل في الله تعالى، يتحـقَّـق أنه ممن اصطفاهم الله تعالى لحضرته وقُـربِـه، كما اصطفى سلفه الصالح منَ الأئـمَّة الأخيار، والأقـطاب الكِـبار، كمولاي عبدالعزيز التّبّاع، والجَـزولي، وغيرهما مِنْ كُمَّـل الرجال رضي الله عنهم جميعًا ونفعنا بهم وبعلومهم في الدنيا والآخرة.

رحلته إلى مِصر:

وبعد وفاة والده الإمام رضي الله عنه، سافـر إلى الـقاهـرة بمعِـيَّـةِ شقـيـقِه العلَّامة الأُصولي الفَـذِّ السيـد عـبـدِالحيِّ بن الـصِّـدِّيـق، وذلك سنة ١٣٥٥هـ، فأخـذ عن

كِبار عُلماء العصر، كالشيخ عبدِالمُعطِي الشّرشِيمِي، وهو أحدُ علماء الهيئة بالأزهر، والشيخ محمَّد عِزَّت، والشيخ محمود إمام المنصوريِّ، والشيخ عوض الصَّعِيديِّ، والشيخ عبدالسلام غُنيم الدِّمياطيِّ الضَّرير، المُتوفَّى سنة ١٣٧٨هـ، والذي كان يقرأ عليه في داره، إذ لزمه مدَّة أربع سنواتٍ، وكان معجبًا بدروسه، قال عنه في "تعريف المؤتسي"»: «بدأتُ القِراءةَ عليه قبلَ ذهابي إلى الأزهر، وكان يُعجبني تقريرُه وشرْحُه لأنه كان ضريرًا، وكان يُملِي شرْحَ المتن الذي أقرأه بما يَظهر له، ثُمَّ أقرأُ عليه الشرحَ فآخُذُ منه معنى المتن اجمالًا، ثُمَّ يُفصِّلُ ويُبيِّنُ مع قراءة الشرح، ولم أنتفع بأحدٍ كما انتفعتُ به».

وقرأ عليه أيضًا «متن أبي شجاع» بِشرح تَقِيِّ الدِّين الحصنِي، و«ألفية ابنِ مالكٍ» بِشرْحِ ابنِ عَقِيل، و«الجوهرة» بشرْحِ اللَّقانِي.

كما أخذ عن شيوخٍ آخرين أدركوا كبار شيوخ الأزهر، ودرس على شقِيقِه العلَّامة المحدِّث الجامع بين المعقول والمنقول السيد عبدِالله بنِ الصِّدِّيق، بِالرِّواق العَبَّاسي بالأزهر: «جَمْع الجَوامع» بِشرْحِ الجَلال المَحلي، كما قرأ عليه أبوابًا مِنْ «ألفية العِراقي» في المصطلح بِشَرح المصنِّف.

واستفادَ خاصَّةً مِنْ شقِيقِه الأكبر، أعجوبة عصره في الاطِّلاع، حافظ العصر الإمام الجهبذ السيد أحمد بن الصِّدِّيق في علومٍ شتَّى، وخاصَّةً عِلم الحديث الذي كان يُتقِنه اتْقانًا تامًّا عَجِيبًا، وله في صِناعتِه وفُنونِه اليَدَ الطُّولَى والدِّراية التَّامة، وقد ترجم له في "تعريف المؤتسي بأحوال نفسي"، ترجمةً مُوسَّعةً، وهو الذي لقَّبه بِجَمال الدِّين، وكنَّاه بِأَبي اليُسر.

وكانت له معه مراسلاتٌ ومكاتباتٌ كثيرةٌ جدًّا، منذ أن كان رحمه الله يَدرسُ في مصرَ، كان يكتب إليه في طنجة يسأله عن مسائل علمية، فيُجيبه السيد أحمد بتفصيلٍ وبيانٍ كبيرينِ، وبقِيتْ تلك الرسائل العلمية الهائلة في مكتبته يحتفظ بها ذكرى مِنْ شيخه وشقيقه الأكبر، ولِما فيها مِن علوم وأسرار خصَّه بها دون غيره من الأصحاب والأقارب، وخصوصًا تلك الرسائل التي كان السيد أحمد يوجِّهها إليه مِن معتقله بمدينة آزُمُّور، وتضمُّ أخبارًا عجيبةً، وتحليلاتٍ لأحداث سياسية وآراءه في بعض الشخصيات العلمية والسياسية، وشخصياتٍ أخرى، وقد انتخب منها فوائد عظيمة دوَّنها في مجلَّدٍ حافلٍ سمَّاه «شُعلةُ نارٍ»، جعله رحمه الله تعالى ذيلًا على «جؤنة العطَّار» لشقيقه السيد أحمد، وسيُطبع مع «منتخب جؤنة العَطار» لأبِي الفيض رحمه الله.

وقد عاد السيد عبدالعزيز رحمه الله إلى موطنه طنجة قادمًا مِن رحلته العلمية لمصر، سنة ١٣٦٦هـ الموافق سنة ١٩٤٦م، بعد مدَّة إقامةٍ نحو اثني عشر عامًا.

مؤلفاته:

أَلَّف السيد عبدالعزيز رحمه الله تعالى مؤلفاتٍ كثيرةً، في الحديث وعلومِه، والفِقه، والتفسير، والتاريخ، والتصوف، فاقت المائة مؤلَّفٍ، ومصنَّفاته كلها ناطقة بتفوقه وتمكُّنه، فهو في الحديث متضلِّعٌ في سائر فنونه، تَشهد له أبحاثُه فيه على قَدَمِه الراسخة في صناعته، وقد أثنى على مؤلفاته الحديثية أصحاب الشأن منها، ومنهم شيوخه وفي مقدمتهم شيخه وشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصِّدِّيق.

ومِن بين كُتبه الحديثية التي تدلُّ على رسوخ قَدمِه في هذا الفنِّ، والتي أثنَى عليها كلُّ مَنْ قرأها من العلماء، على سبيل المثال لا الحصر:

- **"الإفادةُ بِطرق حديث النظر إلى عـليٍّ عبادة"**، وهو أولُ كتابٍ ألَّفه في تصحيح الأحاديث التي اختلف أهلُ الحديث فيها، حتى قال بعضهم إنها موضوعةٌ، وقد كَـتبه أيام إقامته بمِـصر للتعـلم، تكلَّم فيه على طرق هذا الحديث الذي ينصُّ على فضيلةٍ مِن فضائل الإمام عليٍّ عليه السَّلام، وخاصيَّةٍ من خصائصه، فصحَّحَ بعض طرق هذا الحديث، وحسَّن البعضَ الآخرَ، على طريق أهل الحفظِ والإتـقانِ مِنْ أهل الحديث. وسلك فيه رحمه الله مسلك الاجتهاد في نقْـدِ الرجال، وأتى في الكلام على كلِّ طريقٍ من الدلائل الحديثية ما لا يبقَى معه مجالٌ للشكِّ في صحَّة الحديثِ، رغم كون ابنِ الجوزي ذَكَـره بجميع طُـرقِـه في «الموضوعات»، وقد ضمَّ إليه قواعـدَ في عِـلم الحديث نفيسةً للغاية، وجميعُ مَنْ قرأه أُعجِبَ به لِما اشتمل عليه مِن القواعد والفوائد في علم الحديث.

- **"الباحثُ عن علل الطعن في الحارث"**، ردَّ فيه طعنَ أهل الجَـرحِ في الحارثِ بنِ عبدِالله الهمدانيِّ، صاحِبِ سيدنا عليِّ بنِ أبي طالبٍ عليه السَّلام. وبيَّن خطأهـم في تجريحهم له، وذَكر أنه في الدرجة العليا مِن العدالة، بل ربما كان أعلى درجة مِنْ كثيرٍ مِن رجال الصحيح، وقد أيَّد ذلك بالأدلَّة والقواعد الحديثية، بحيث كل مَنْ رآه اعـترف بإتقانه الكلام فيه، وردَّ ذلك الجرحَ مِنْ غير تعنُّتٍ ولا سلوك لطريق الشُّذوذ عن القواعـد، بل بتطبيق القـواعـد المعـروفة التي لا يمكن ردُّها ولا نكرانها، وقـد طبع الكتاب بمصر، بتـقـريـظٍ لشقيقه الأكبر السيد أحمد بن الصِّدِّيق رحمهما الله تعالى.

ثُمَّ بعد فـترةٍ طويلةٍ مِن طبعه كتبَ ذيلًا عليه، ردَّ فيه على الألباني الذي عرَّض بالمترجَم له في بعض كُـتبه، وزعم أنَّ توثيقَ الحارث شـذَّ به صاحب الترجمة، متَّـهمًا له بالتـشيُّع، فردَّ عليه هذه الجهالة بحقيقة الحارث، وبيَّن جهله في ذلك وعدمَ اطِّـلاعه على أقوال العلماء الأئمَّة الذين عـدَّلوا الحارث ووثَّـقـوه، وبيَّن بُـعدَه عمَّا رُمِـيَ به مِن

الكذب والجرحِ مِن بعض أهل التجريح، مع ذِكر قواعد أخرى تتعلَّق بعلم الجرح غفل عنها الألبانيُّ أو جهلها، وقد سمَّى هذا الردَّ:

- "**بيانُ نَكْثِ الناكثِ المتعدِّي بتضعيف الحارث**"، وهو مطبوعٌ.

- "**بلوغُ الأماني من موضوعات الصغاني**"، تتبَّع فيه ما أورده الصغانيُّ في رسالته في الموضوعات، ونقَدَ كلامَه نقدًا حسنًا، وهو أول كتابٍ كتبه في التعقب على مَن تكلَّم في الأحاديث الموضوعة، اطَّلع عليه شقيقه الحافظ أبو الفيض فكتب إليه قائلًا: كان المفروض أن تسميه بهزيج الأغاني، لأنه يطرب بفوائده قارئه.

وقد اختصره في:

- "**التهاني في التعقب على موضوعات الصَّغاني**"، وهو مطبوعٌ، بينما الأصل لازال مخطوطًا.

- "**إتحافُ ذَوي الفضائل المشتهرة بما وقع مِنَ الزيادات في نظْمِ المتَناثر على الأزهار المتناثرة**"، وهو كتابٌ ذكر فيه الزيادات التي زادها أبو عبدِالله محمدُ بنُ جعفر الكتاني رحمه الله في كتابه «نظم المتناثر في الحديث المتواتر» على كتاب «الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتناثرة» للحافظ السيوطي. وقد طُبع مراتٍ.

- "**إظهارُ ما كان خفيًّا مِنْ كلام الذهبي في حديث: مَنْ عادَى لي وليًّا**"، وهو ردٌّ على الذهبيِّ في كلامه الذي ذكره في "ميزان الاعتدال" في ترجمة الراوي خالد بن مخلدٍ القطوانيِّ، حيث قال في شأن الحديث القدسيِّ الذي رواه البخاريُّ: «**لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه...**»، لولا هيبةُ الجامع الصحيح لعددتُه مِنْ منكرات خالد. فبيَّن في هذا التأليف أنَّ الحديثَ غيرُ منكرٍ وأنه ورَدَ مِن

طرق عشرةٍ من الصحابة، مما يبعد عنه النكارة التي زعمها الذهبيُّ، كما هو مقررٌ في علم الحديث.

وقد بين في مقدَّمةٍ نفيسةٍ لهذا الكتاب السبب الحاملَ للذهبيِّ رحمه الله على هذه الدعوى، وهو كونُ هذا الحديث حُـجَّـة للصوفية في مسألة الفناء، وأنَّ العبدَ يفـنَى عن نفسه ببقاء صفاتِ ربِّـه؛ لأنَّ الذهبي نشأ في مدرسةٍ منحرفةٍ عن الصوفية، فأُشْرِبَ الانتقاد والاعتراضَ على أقوالهم وأفعالهم، فصار كلُّ حديثٍ يُـروى فيه تأييـد لهم يُـضَعِّـفه إمَّا مِن جهة لفظه ومعناه، وإما مِنْ جهة راويه ولو كان مِنْ رجال الصحيح، كما وقع منه في هذا الحديث. وكذلك أفاض في هذه المقدَّمة في شرح معنى وحدة الوجود عند الصوفية، ببيان واضحٍ سهلٍ، بعيد عن التعقيد، بحيث يفهم معناها كلُّ مَن قرأ بيانه فيها.

وفي فـنِّ التخريج نجد له مؤلفاتٍ منها:

- "**التعطُّف في تخريج أحاديث التعرف للكلاباذيِّ**"، بدأ بكتابته بمصر، وأتمه بعد عودته لمسقط رأسه طنجة.

- "**رفْـعُ العَـلَم بتخريج أحاديث إيـقاظِ الهِمَمِ في شرح الحِـكَمِ**"، وهو أول كتابٍ كتبه في تخريج الأحاديث، خرَّج فيه أحاديث شرْحِ الحِكم لجدِّه ابنِ عجيبة رضي الله عنه. وهو مفـيدٌ في بابه لأنَّ أحاديثه تروجُ بكثرة في كتب الصوفية مِنْ غير عزوٍ ولا بيانٍ لحِالها.

وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة، ممَّا خدم به السيد عبدُالعزيز رحمه الله تعالى طـريـق التـصـوف، ونافح فيها على أصوله، مع أنَّ موضوع المؤلفات هو جمْعُ طـرق الحديث، وفنُّ التخريج الحديثـيِّ.

وله كتبٌ أخرى كثيرة جدًّا يضيق المقام عن ذكرِها كلِّها، وجميعها تشهد له بالبراعة والإتـقان للصِّـناعة الحديثية، التي لا تؤتى إلَّا لمن تمكَّن مِن علوم الحديث تمكُّنًا شديدًا.

وكذلك كـتبه في الفروع الفقهية، تدل على اجتهاده وعدم ميله للتـقليد، والتعصُّب للرأي المجرَّد، مِنْ إمامِ مذهبٍ أو غـيره، فلا يُسلم لأحـدٍ قـولًا، ولا يتَّبع أحدًا فيما ذهب إليه إلَّا بعد البحث في الأدلة ومعرفة السالم من المردود منها.

ومِن كتبه في هذا الباب:

- **"القولُ المأثورُ في جواز إمامة المرأة بربَّات الخدور"**، وهو أول كتابٍ ألفه في المسائل المتعلقة بالفروع الفقهية، أيَّـد فيه القولَ بجوازِ إمامة المرأة في الصلاةِ بالدليلِ الثابت، وحرَّر فيه مذاهب العلماء في ذلك. وقد طبع بمصر سنة ١٣٦٨هـ، وبعد مرور ما يقرب مِن أربعين سنة ألَّف كتابًا آخر في الموضوع سمَّاه:
- **"حُـسْنُ الأسوة في جواز إمامة المرأة بالنِّسوة"**، زاد فيه زياداتٍ أخرى على الكتاب الأول.
- **"الجوابُ المُطرب لِمَن سأل عن أدلَّة استحباب الركعتين قبل صلاة المغرب"**. وقد طبع بمدينة تِطْـوان.
- **"حسْنُ السُّمعة في إبطال ما اشترطه الفقهاء في صلاة الجمعة"**، وهي رسالة بيَّن فيها بطلان ما يشترطه الفقهاء مِنْ كون الجمعة لا تصحُّ إلَّا في مسجدٍ مبنيٍّ على هيئة خاصةٍ، وفي مكان خاصٍّ، وبعددٍ خاصٍّ، بحيث إذا لم تجتمع هذه الشروط لا تصحُّ الجمعة ويُـصلَّى الظهرُ أربعًا. وهو مطبوعٌ.

- **"الإنارة بما وَرَدَ في تحريك المصلِّي أصبعه عند الإشارة"**، أثبت فيه أنَّ تحريك الأصبع في الصلاة سنةٌ ثابتة، خلاف ما ذهب إليه مَنْ يقولُ بعدم تحريكها وفي مقدَّمتهم أبو بكر ابنُ العربي المالكي. وقد طبع بطنجة.
- **"محاضرة النشوان في الجواب عن سؤال عالم تطوان"**، وهو بحثٌ في موضوع صلاة الجمعة ركعتين مِنْ غير خطبةٍ ولا جماعةٍ، مُبيِّنًا فيه أنَّ اشتراط الخطبة والجماعة لصلاة الجمعة ركعتين لا دليل عليه. وقد طبع بمدينة تِطوان.
- **"إتحاف ذوي الهِمَمِ العالية بشرح متنِ العشماوية"**، شرح فيه متن العشماوية في فقه مالكٍ، مقتصرًا فيه على ذكر دليل المسألة مِن الحديث والآثار.

وهناك مؤلفاتٌ أخرى كثيرةٌ له في هذا الباب، وفي أبواب علمية أخرى، تركتُ ذِكرها لمناسبة أخرى.

وفي التصوف، كَتب رحمه الله تعالى مؤلفاتٍ تـفرَّدَ بها دون إخوانه، وخصوصًا فيما يتعلَّق بكلام أهل الأذواق والإشارات الصوفية. فقد شرَحَ نُونِيَةَ الإمام أبِي الحسن الشُّشْتري رضي الله عنه في مجلدٍ حافلٍ سمَّاه:

- **"طَلعةُ المشتري بِشرح نونية الششتري"**، وهو في مجلدٍ، وشَرْحُه أكبر بكثيرٍ من الشروح الموضوعة عليها كشرح الشيخ زروق، وشرح ابن عجيبة وغيرهما، وقد توسَّع فيه رحمه الله تعالى توسُّعًا عجيبًا، لا أظنُّ أنَّ هناك مَن يكتب مثله في هذا الوقت.
- **"السَّوانح"**، وهومجلدٌ ضخمٌ، ذكر فيه ما سَنَحَ به الخاطرُ من فوائد جمَّةٍ تتعلَّق بمختلف الموضوعات العلمية، مِن تفسيرٍ وحديثٍ، وفقهٍ، وتصوُّفٍ، وتاريخٍ، ومسائل أخرى، وإن كان الغالب على الكتاب موضوع التصوف، ففيه تفسيرٌ لبعض

آيات القرآن العظيم وسوره القصيرة بطريق الإشارة الصوفية، وكذلك شرحه لبعض الأحاديث بها.

وفيه ذِكرٌ لبعض علوم القوم، وآداب طريقهم، وشرحٌ لبعض إشاراتهم واصطلاحاتهم، وكلُّ ذلك بأسلوبٍ صوفيٍّ عالٍ جدًّا، مع الاستشهاد بأشعارهم، وأزجالهم، ونظمهم.

- **"الأنوار القدسية في شرح الوصية الصِّدِّيقية"**، وهو الشرح الصغير لوصية والده الإمام رضي الله عنه التي بعثها لمريديه. وهذا الشرح مطبوعٌ وهو مختصرٌ من الشرح الكبير المسمَّى:
- **"النفحات الإلهية في شرح الوصيَّة الصِّدِّيقية"**.
- **"كشفُ الريب عن أبيات الجنيد: توضَّـأْ بماء الغَـيْب"**، وهو شرحٌ للأبيات المنسوبة للإمام الجُنيد والتي مطلعها: توضَّـأْ بماء الغيب...، وسببُ تأليفه كما عاينته، أنَّ بعض علماء مدينة سلا والرباط، تذاكروا فيما بينهم أمرَ هذه الأبيات فلم يهتدوا لبيانها، فأرسلوا رسالةً إلى شقيق المترجم له، العلَّامة الأصولي الفذِّ السيد عبدِالحيِّ بن الصِّدِّيق رحمه الله، فأحال هو بدوره الرسالة على مولاي الوالدِ رحمه الله تعالى، إذ كان السيد عبدالحي رحمه الله تعالى يدري أنَّ اقتحام ميدان إشارات القوم واصطلاحاتهم بالشرح والتوضيح يحتاج إلى مَن له أهلية ذلك، وليست متوفَّرة كما رآها إلَّا في شقيقه الأصغر السيد عبدالعزيز، رحمهما الله. وقد شرح هذه الأبيات بشرحٍ مبسطٍ واضحٍ، وشرحُه هذا أكبر مِن شرْحِ العارف الحراق وابن عجيبة عليها.

- **"تزيين العبارة بتفسير سورة الكوثر بطريق الإشارة"**، وهو تفسير إشاريٌّ لهذه السورة، جاء في جزءٍ صغيرٍ.
- **"شرح مقطعة الششتري: بدأتُ بِذِكرِ الحبيب، وهِمتُ وعَـيشِي يطيب"**، وهو شرحٌ موسَّعٌ على هذه المقطعة مع استدلالات شعرية أخرى مِن كلام الششتري، وغيره مِن أهل الحقائق والأذواق، وقد اطلع الحافظ السيد أحمد بن الصديق على الشرح فأُعجِبَ به غايةً وسماه: «فتحُ القريب المجيب»، وقد طبع في مصر بهذا الاسم.

مذهبه في الاعتـقاد:

وعن مذهـبه في الاعـتـقاد، فـقد كان على مذهب السلف الصالح، الصافي مِنْ كـلِّ ما يَـشوبُـه مِنْ ظُـنونٍ وتخمِيـنات، وإقـحـامٍ لِلآراء في فـهْـمِ ما وَرَدَ في صِـفات الله تعالى مِنَ الآيات والأحاديث، مِمَّا يــؤدِّي إلى الوقـوع في الزلل، والخروج عـن صـفاءِ العـقـيدة والدخول بها في متاهات الرأي والرَّجْـمِ بالغـيب، وهذا يُـوقِـعُ فِـيما هـو محظورٌ كالتجسيم والتشبيه، وجعْلِ الآراء العقلية عـقيدةً، قال رحمه الله تعالى في "تَعريف المؤتسي": «ومذهبي في الاعـتـقاد هو مذهب السلف، السالمُ مِنَ الشكوك والأوهام، ومن القول في ذات الله وصفاته بالظنِّ وضروبٍ من الآراء والتخمينات، كما هو مذهب المتأخرين الذين أدخلوا على الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله تعالى تأويلاتٍ يأباها المؤمنُ الصادقُ، ويَمُجُّـها طبْعُ المسلم؛ لأنها كـلَّها ضلالٌ مِنْ غير شكٍّ، ورجـمٌ بالغيب، وحكمٌ على الله وصفاته بالـرأي المحـض، وتحـريفٌ بل تـكذيبٌ لله ورسوله بالمرة، نعوذ بالله مِنْ كلِّ سوءٍ. بل أعـتـقــد أَنَّ اللهَ سبحانه وتعالى واحدٌ لا شريك له، وأنه منـزَّهٌ عن كلِّ ما يُـماثـل الحوادثَ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وأُومِنُ بما أخـبَـرَ في كِـتابه وعلى لسانِ رسولِه

صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ صفاته مِنْ غيرِ تأويلٍ ولا تبديلٍ ولا تحريفٍ، مع تنزيهِه سبحانه وتعالى عن التَّجسيم والتشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]».

مذهبه في حبِّ آل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

للسيد عبدالعزيز رحمه الله تعالى محبةٌ عظيمةٌ في أهل بيت رسول الله عليهم الصَّلاة والسَّلام، وفي المنتسبين إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وقد أعرب عن مذهبه في حبِّهم واعتقاده فيهم في ترجمته "تعريف المؤتسي"، قال رحمه الله تعالى: «وأما أهل البيت والمنتسبون إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلي فيهم اعتقادٌ خاصٌّ ورأيٌ لا يوجدُ في هذا العصر ولله الحمد، وهو القول الصحيح الذي يجب على كلِّ مؤمنٍ اعتقاده؛ لأنه مؤيَّد بالبرهان، ويشهد له العقل بالصحَّة والثبوت. وهو أنَّ أفضل الخلق بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ابنتُه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها الصَّلاة والسَّلام، وأولادها عليهم الصَّلاة والسَّلام، لا أحد يبلغ مرتبتهم ولا شخص يداني مقامهم ومكانتهم من البشر والملائكة، ويَحرم عندي أَن يُلتمَس طريق للتفضيل بينهم وبين غيرهم، بل يَبعد عندي غايةً أَن أتصوَّره وأتخيَّله؛ لأنَّ التفضيل بين الشيئين يحتاج إلى التساوي في الماهيَّة، وهو مفقودٌ هنا تمامًا؛ لأنَّ ماهيَّة سلالة الرسول نورانيةٌ محضةٌ، مِنْ شجرة الأصل النورانية، ولمعة القبضة الرحمانية التي تفتقت عنها العوالم وكان منها ما كان مِنْ إنسٍ وجانٍّ، وجمادٍ وحيوانٍ، وغيرهم مِنْ أصلٍ ترابيٍّ محضٍ، وإنما حصل له ما حصل بإشراق النور المحمديِّ عليه، عندما كان أصلُه منجَدلًا في طِينتِه، فكيف يُلتمس طريق للتفضيل بين التراب والنور؟!! هذا ما لا يقوله عاقلٌ نوَّر الله بصيرته...»، وقد اكتفيت باقتباس هذا الكلام، لأنه دالٌّ بوضوحٍ على اعتقادٍ

خاصٍّ له في آل البيتِ النبـويِّ الـطاهـر، وهكذا كان اعـتـقاد والده الإمام رضي الله عنه في آل البيت عمومًا، فكان كلما لـقيَ فـردًا منتسبًا إلَّا وقـبَّـل رأسه وعامله بتبجيلٍ وتوقـيـرٍ، كما بيَّنه مَن ترجم له، فلا عجب أنْ يرثَ الابنُ هذا الاعتـقادَ الخاصَّ في آلِ بيتِ رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام مِن والـدِه، وهو يراه كيف يتعاملُ معهم، ويُـلقِّـنه توقيرهم وتقديمهم.

وزاده اطِّلاعُه إلى الإحاطة بما ذكره الأئمة العارفون بالله في هذا الشأن الجليل، فقد دلَّل على ما ذهـب إليه فيما نقلتُه من كلامه سابقًا، بما ذكره الشيخُ الأكبر رضي الله عنه في "الفتوحات المكية" مِنْ كون فضلات أهل البيت طاهرة غير نجسةٍ مطلقًا، واستدل بقوله تعالى: ﴿لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فأكَّد الفعل بالمصدر ليدلَّ على حقيقة الطهارة.

يقول رحمه الله تعالى: «والسبب في ذلك ما أشرتُ إليه مِن نورانية الأصلِ، ولذلك لم يكن للرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ظِـلٌّ إذا مشَى في الشمسِ، لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نورانيٌّ، والنورُ لطيفٌ لا ظِـلَّ له، فهذه عقيدتي التي ألقى بها ربِّي في سلالة بيت نبيه المختار...». وقد جعل هذا الموضوع مِن موضوعات كتابه في الأولية المحمدية.

مذهبه في الفروع الفقهية:

أما عن مذهـبِه في الـفروع، فهـو ليس مقـيَّـدًا فِـيها بمذهبٍ من المذاهب الفقهية، ومقـلِّـدًا لإمامٍ، بل مذهبه في ذلك ما صحَّ عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن غير نظرٍ إلى موافـقٍ أو مخالِفٍ، وهذا ما نجده ينهجه في مؤلـفاتـه الفـقهـية، يُحرِّر الجواب بما يذهب إليه ويرجِّحه بالأدلة مِنْ غـير جنوحٍ إلى التـقـليدِ، أو التعصب

لمذهبٍ أو إمامٍ، وإنما انتصاره وتعصبُّه دائماً لِكتاب الله تعالى، ولِسنَّةِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وقد وضَّح رحمه الله تعالى مذهبه في «تعريف المؤتسي بأحوال نفسي»، وبيَّن لِمن أحبَّ أنْ يسلكَ مسلَكه، كيف يمكن له ذلك، فليراجع.

مذهبه في التصوف:

السيد عبدُالعزيز جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وبلغ فيهما مقامًا شامخا، انفرد بذلك دون باقي أشقَّائه، فكان رحمه الله تعالى يعزو ذلك إلى بركة والده رضي الله عنه، بعد فضل الله الوهاب، إذْ أنَّ والده لَمَّا تفرَّس فيه ما رآه أن يكون أهلًا لحملِ راية أهل الطريق، لقَّنه وِرْدَ الطريقة الشاذلية، وأهَّله بالإرشاد والتربية والرعاية حتى صار منذ صغره على مشرب أهل الصوفية، فيخبر في ترجمته أنه كان لا يلبس من الملابس إلَّا ما كان مِن الصوف، وأحيانًا يكون خشنًا، باختياره وليس بأمرٍ مِنْ والده الإمام، فكان والده يفرح به غاية الفرح، ويقول له: هذه كسوة العارفين.

وكان رحمه الله شغوفًا بحضور حَلَقات الذِّكر بزاوية والده، أو بِباب المنزل، حيث كان ثُلَّةٌ مِنَ المريدين يجلسون لقراءة وظيفة الطريقة الصِّدِّيقية؛ وبمداومة الجلوس معهم حفِظ رحمه الله وظيفة الطريقة، فما ترك قراءتها بعدَ ذلك أبدًا.

ثُمَّ وهو في سنِّ الرابعة عشر أذِنَ له والده في تلقين الطريق للمُريدين، ومع ذلك ما أفصَحَ رحمه الله تعالى بهذا لأحدٍ، ولا أخبر قريبًا ولا بعيدًا به؛ وَرَعًا وإيثارًا للخمول وعدم الظهور، بينما الكثيرون من أصحاب الدعاوى الذين يلهثون خلف الظهور والاشتهار، يتجرَّؤون بإعطاء الإذن في الطريق، وهُم غيرُ مأذونين في ذلك، ولا لهم حتَّى نِسبةٌ في طريق القوم!! والأمر لله.

وكان رحمه الله يعجبه مِنْ كُتب التصوف كما ذكر في ترجمته، ما كَتبه أصحاب الأذواق مثل مُحْيِي الدِّين بن عَربِي رضي الله عنه، وأمَّا التصوف الأخلاقي فليس في مرتبة الإقبال عليه عنده كالسابق؛ وقد جاءت جلُّ مؤلفاته في التصوف في شرح كلام أهل الأذواق وإشاراتهم، والدفاع عن أئمته والانتصار لهم، والردِّ على المنكرين الجاحِدين لطريق التصوف.

وكان رحمه الله تعالى يجلس مع المريدين وأصحابه في الزاوية الصِّدِّيقية، ويحضر معهم حلقة الذِّكر، التي يُنشد فيها كلامُ أهل الأذواق كالإمام الششتري، وابن الفارض، والحراق، وغيرهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وبما أنَّ التصوف في الزاوية الصِّدِّيقية هو العمل بالعلم على وجه الإخلاص، فقد كان يقرأ مع المريدين في الزاوية الصديقية كتبًا معتمدةً في التصوف، لِيُبيِّن لهم حقيقة الطريق، ويكشف لهم زيف مَنْ يسلك غير مسلك ما سلكه أهل الطريق، فقد قرأ معهم "الرسالة القشيرية"، وشرحَ جدِّه لِحِكَمِ ابنِ عَطاء الله، و"العهود المحمدية" لسيدي عبدالوهَّاب الشعراني، ورسائل القطب مولاي العربي الدرقاوي، و"الرعاية" للحارث المحاسبي، وقرأ شيئًا مِنْ شرحه لِنُونِيَة الشُّشتري، وشرحَه لوصية والِده الإمام رضي الله عنه، وكتبًا أخرى. وكانت طريقته في الدرس، أنه يَفتتح الدرس بقراءة شيءٍ يسيرٍ مِنَ الكتابِ ثُمَّ يتوقَّف لِشَرح ما قرأ، مبَسِّطًا لهم العبارةَ تبسيطًا يفهمه جميع الحاضرين، ولا يرَى أيَّ حرجٍ مِنْ ضرب الأمثلة بغرض ترسيخ المعنى في الأذهان، وكان لا يضجر أبدًا مِن سؤال السائلين أثناء الدرس، وعندما يُنهر سائلٌ في درسه يقول لِمن نَهَره: دَعْه، فإنما أُمِرنا أنْ نُخاطب الناس على قدر عُقولهم.

وحتى تتـنوع المعرفة التي يلقنها للمريدين، يقرأ أحيانًا في الزاوية عليهم بعض الكتب مثل "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذريِّ رحمه الله، وبعض كتب ورسائل الإمام جلال الدين السيوطيِّ، وافتتح مرَّةً كتاب "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للحافظ السخاوي، واستمر أسابيع طوال حتى كاد أن يختمه، فأتى رحمه الله تعالى بكل ما يتعلَّق بالصَّلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من فوائـد، وما لها مِن خيرات وبركاتٍ، وكيف تزيد في إيمان العبد، وفي محبَّته في سيدنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأتى في دروسه مِن أخبار السلف الصالح في هذا الباب أثناء الشرح، ما كان يأخذ بالألباب والقلوب، ويترك الأعين تَدْمعُ شوقًا وهيامًا برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومرةً، عندما كـتب أحدُ الزنادقة بأوربا قِـصةً مسَّ فيها بالجناب النبوي المقدَّسِ الطاهـر، وقامت بعض القنوات الإعلامية بالترويج لخبرها، افـتـتح كتابَ "الشِّفا" للقاضي عياض رحمه الله مع المريدين والعامَّة، مبيِّنًا للحاضرين عِظم قدر النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وما له من الحقوق على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وعـقـوبة مَن انتـقص مِن قدره العظيم أو آذاه... كما هو مبيَّـنٌ في "الشفا"، فاستمرَّ لشهور طويلة، يُـفـقِّه المريدين والناس، ويُعـرِّفـهم بِـقـدر نبيِّـهم المصطفى عليه الصَّلاة والسَّلام، فكان الحاضرون يستمعون لشرحه، وكأن على رؤوسهم الطير، إجلالًا لشخص رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الذي إنْ كانوا لم يروه بأعينهم، فإنما لا شكَّ لامسوا صورته الشريفة بقلوبهم التي وقر فيها ما سمعوه من الشيخ رحمه الله تعالى، فيما ألقى إليهم مما يتعلق بالجناب المحمديِّ الأفخم.

فالتصوف عند السيد عبدالعزيز رحمه الله تعالى مبنيٌّ بالعلم حتى يكونَ العملُ موافقًا للشريعة، ولا يضرُّ التصوف أنْ يوجد في ساحته مدَّعون مِنْ أهل الكذب، فالتصوف يبقى في منأى عن كذبهم وبطلانهم، كما الشأن في المذاهب الأخرى حيث ظهر في أهل الفقه مدعون، وعند أهل العقائد كذلك، ولكن ما أثر كذبهم بشيءٍ في كليهما، وحسابهم عند ربهم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

خُطبه:

وأمَّا خطبه فكانت في غاية البيان والفصاحة، والصَّدع بالحقِّ، لا يداهنُ أحدًا على حساب دين الله تعالى، ولو كان مَنْ كان. فكان رحمه الله تعالى يتناول موضوعَ الخطبة الذي غالبًا ما يكون يتناول المشاكل والمآسي التي يتخبَّط فيها المسلمون، أو الأحداث والنوازل التي تقع بساحتِهم، فيبيِّنُ حُكمَ الله تعالى فيها بشجاعةٍ نادرةٍ، غير هيّابٍ ولا ملتفِتٍ إلى أحدٍ مِنَ الناسِ، وبهذا يُعرف الصوفيُّ الصادق، فلا التفاتَ له عن الله تعالى في كلِّ أحواله وأموره، ولا عِبرة لِما سوى الله تعالى عنده، وقد جمعتُ عددًا كبيراً مِنْ خُطبه، قد تأتي في مجلدٍ، ارتأيتُ إخراجها حتى تعمَّ بها الفائدةُ، وتكون مصدراً للخطباءِ يستقون منها مواضيع خطبهم.

مقالاته:

كتب السيد عبدالعزيز رحمه الله مقالاتٍ كثيرةً جدًّا في مواضيع علميةٍ مختلفةٍ، نُشر بعضها وهو القديم منها، في مجلة "الإسلام" أثناء إقامته بالقاهرة، كما له مقالات أخرى ببعض المجلات المصرية كمجلة الخلود، والشفق.

وعند رجوعه إلى مسقط رأسه كتب الكثير من المقالات ضاع الكثير منها، لكن في السنوات الأخيرة قبل وفاته، كان يواظب على الكتابة في بعض الجرائد المحلية، فجُمع

بعضٌ منها في كتاب "ما يجوز وما لا يجوز في الحياة الزوجية"، والذي ترجم مؤخرًا إلى الفرنسية والإسبانية، كذلك جمع قسطٌ آخر في كتاب "الطغيان على العالم الإسلامي"، بحيث ضمَّ مقالات كتبها في انتقاد بعض مواقف المسؤولين وتصرفاتهم اللادينية، مما جعلها تعود على العالم الإسلامي بالويلات والمخازي والعار.

ولازال قسطٌ آخر، نرجو الله تعالى أن يكتب له الخروج، حتى ينتفع به، وقد كانت مقالاته أسبوعية، تنال إعجاب القراء ويقبلون عليها إقبالًا لا نظير له، لما يجدون فيها من شرح وتحليل يُشبع نهمهم الروحي والفكري.

شيوخه:

وهنا أذكر بعض شيُوخه في الرواية، ذكرهم رحمه الله تعالى في مشيخته:

١- أبو الفيض أحمد بن محمَّد بن الصِّدِّيق، المتوفَّى سنة ١٣٨٠هـ، قال عنه رحمه الله: «شقيقي الحافظ الحُجَّة الذي ألقت إليه علوم الرواية في هذا العصر بالمقاليد، وحاز قصب السبق في مضمارها، وأتقن فنونها، فلا يوجد له نظيرٌ في مشرق الأرض ومغربها في الإحاطة بأصولها وأقوال أئمتها، وبحق إنه ابنُ حجر هذا العصر مِن غير منازعٍ ولا مخالفٍ، وتآليفه شاهدةٌ بهذا لِمن قرأها وسَبر غورها...، وله المصنفات الجيدة والتآليف العجيبة الدالة على اطلاعه وتبحّره، وإتقانه لعلوم السنة والحديث، وهي تزيد على المائة...».

٢- أبو محمَّد عبدُالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق، المتوفَّى سنة ١٤١٣هـ، قال عنه رحمه الله تعالى: «شقيقي العلامة المُطَّلع المحدِّث، له معرفةٌ ودرايةٌ بالعلوم العقلية، وخبرة بعلم الحديث، قرأت عليه "جمع الجوامع" بشرح الجلال المحلي، وشيئًا مِنْ "ألفية العراقي" بشرح المصنِّف، بالجامع الأزهر، وسمعتُ منه مسلسل عاشوراء بحقِّ

سماعه مِن الشقيق أبي الفيض وهو يروي عن العزوزي، عن أبيه، عن جده، عن مرتضى الزبيدي، وهذا سندٌ عالٍ جدًّا بالنسبة إلى مُرتـضَى...».

٣- عبدُالله بنُ محمَّدٍ غازي الهنديُّ، المكيُّ، صاحب "تاريخ مكة"، والثبت وغيره. أرسل له بإجازةٍ عامَّةٍ مطولةٍ مِن مكَّة المكرمة، بيَّن فيها أسانيده.

٤- أبو عبدالله محمَّد بن عبداللطيف خضير، الدمـياطيُّ، الضَّـريـر، أرسل له بإجازةٍ عامَّةٍ مِن ثغر دمياط في شهر رجب ١٣٦٢هـ، وقد وقعت بينه وبين شيخه هذا مكاتبات منها كتاب سأله فيه عن حديث: «**خير النساء مَن بكَّرت ببنت**»، هل يوجد أم لا ؟ فأجابه عنه بما سرَّه.

٥- عبدالباقي بنُ مُلَّا عليِّ بن محمَّد بن مُلَّا معين بن مُلَّا مبين الأنصاريُّ، اللكنوي ثُمَّ المدنيُّ، الحنفيُّ، صاحب "الإسعاد بالإسناد"، و"نشر الغوالي من الأسانيد العوالي". أرسل له بالإجازة مِن المدينة المنورة ومعها كتابه "نشر الغوالي من الأسانيد العوالي".

٦- أبو الضياء خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل الخالدي المقدسي، الرحالة، الحنفي. قال عنه رحمه الله في "مشيخته": «اجتمعت به في القاهرة أيام إقامته بها، وبها كانت وفاته عن سنٍّ عالية، تولى القضاء ببلاد فلسطين، وديار بكر، وغيرها مِن بلاد العجم، ورحل وجال في البلاد شرقها وغربها، وكان له اطِّلاعٌ واسعٌ على الكتب وخبرة تامة بمكتبات البلاد التي دخلها...». كتب له بالإجازة في سادس وعشرين ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف.

٧- محمَّد راغب الطباخ، الحلبي. كتب إليه بالإجازة مِنْ مدينة حلب في شوال سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وألف.

٨- بدر الدين أبو التاج محمَّد بن يوسف البيبانيُّ، الدمشقيُّ، شيخ الإسلام بالديار الدمشقية والبلاد الشامية، الفقيه الشافعي. استجازه له شقيقه أبو الفيض في رحلته إلى الشام

٩- كمال الدين محمَّد بنُ أبي المحاسن محمَّد بن خليل بن إبراهيم بن محمَّد بن عليٍّ القصيباتيُّ القاوقجيُّ الطرابلسيُّ، ثُمَّ المصريُّ، الشريف المشيشيُّ، المتوفَّى سنة خمسٍ وأربعين وثلاثمائةٍ وألفٍ، قال رحمه الله في "مشيخته": «استجازه لي شقيقي أبو الفيض يوم الخميس عشرين جمادى الثانية سنة ثلاث وأربعين، فأجازني بجميع مروياته، كما أجاز له والده عن الشيخ عابد السندي، عن صالح الفلاني. ويروي والده أيضًا عن عبدالقادر الكوهن، عن حمدون بن عبدالرحمن المرداسي، عن أبي الفيض مرتضى الزبيدي...».

١٠- شمسُ الدين أبو عبدِالله محمَّد سعيد بن أحمد الفرا الدمشقي، الفقيه الحنفي، المتوفى ببيروت سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وألف.

١١- محمَّد الخضر بن الحسين، التونسيُّ، ثُمَّ المصريُّ، الأديب اللغويُّ. قال رحمه الله في «المشيخة»: «اجتمعت به في القاهرة مراتٍ، وهو على بصيرة مِن علوم الأدب خصوصًا اللغة...».

١٢- محمَّد زاهد بن الحسن بن علي الكوثريُّ القوقاسيُّ الحنفيُّ، وكيل المشيخة العثمانية سابقًا، اجتمع به في القاهرة مراتٍ كثيرة، وتذاكر معه في مسائل علمية مختلفة. قال عنه في مشيخته: «وهو على اطلاعٍ واسعٍ ودراية تامَّةٍ بأحوال الرجال، وقضايا التاريخ، وله خبرة بأقوال الفرق والنحل، ومعه تواضعٌ ومحبَّة لأهل البيت مع علمٍ بالفقه وأصوله، إلَّا أنه شديد التعصب لمذهبه، حتى صار يفقد صوابه ويفوه بما لا

يعقل ولا يقبل في حقٍّ من خالف مذهبه، أو رام انتقاده... سمعت منه الحديث المسلسل بالأولية بمنزله بالعباسية، بالقاهرة، ودعاء الفرج المسلسل بقولهم: وأخرجه من جيبه. وناولني ثبته المسمى: "التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز"، وقرأته عليه وأجازني بما فيه.. وكان ذلك في ليلة الجمعة ٢٧ من شهر ربيع الأول ١٣٦٢هـ».

١٣- محسن بن ناصر باحربه، أبو الثناء الحضرمي البيبرسي، الفقيه الشافعي. اجتمع به عام قدومه إلى القاهرة وهو سبع وخمسون وثلاثمائة وألف، وأجازه بسائر مروياته كما أجاز له السيد عيدروس بن عمر الحبشي، صاحب "عِقد اليواقيت الجوهرية"، بكل ما فيه، والسيد أحمد بن الحسن العطاس.

١٤- محمَّد بن إبراهيم الببلاويُّ الصوفيُّ الحسينيُّ. أجازه بمروياته وهو يروي عن شيخ الإسلام أبي الحسن علي الببلاوي، عن محمد بن أحمد عليش، عن الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير.

١٥- عليُّ بن الخوجة الحنفيُّ، التونسيُّ، مفتي الحنفية بها.

١٦- عبدالحي بن عبدالكبير بن محمَّد الحسنيُّ الإدريسيُّ، الكتانيُّ، الفاسي، صاحب "فهرس الفهارس"، وغيره. أجاز له بما له من مرويات، لما قـدِم لمدينة طنجة لزيارة والده الإمام قدس الله سره، ثم زاره بمدينة فاس سنة ١٣٦٧ه فطلب منه كتابه "فهرس الفهارس"، فأرسله إليه. قال عنه في المشيخة: «وهو كتاب مفيد في بابه لا بأس به، يقع في مجلدين. وقد أخبرني العلامة محمد زاهد الكوثري الحنفي المتقدم أنه رأى عبدالحي يذكر بعض كلامه في تراجم الرجال في تعليقه على ذيول «تذكرة

الحفاظ»، بالحرف الواحد مِن غير أنْ يعزوه إليه، بل ينسبه إلى نفسه، قال لي: ومع ذلك فالكتاب فيه فائدة».

١٧- عمر بن حمدان بن عمر بن حمدان المحرسيُّ التونسيُّ المدنيُّ العلامة المالكيُّ، الأثريُّ الصوفيُّ.

قال رحمه الله تعالى في "مشيخته": «أجاز لي بالنيابة عنه شقيقي أبو الفيض، فإنه أذن له في أن يجيز نيابةً عنه كل مَن أحبَّ الرواية عنه...».

١٨- أحمد بن محمَّد بن محمَّد الدلبشانيُّ الموصليُّ المصريُّ الضَّرير أبو الفتوح الفقيه الحنفيُّ، رحمه الله تعالى.

استجازه له شقيقه أبو الفيض سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف، وهو يروي عن أبي المحاسن القاوقجي بما في أثباته، والشيخ أحمد بن محجوب الفيومي الرفاعي، عن الشيخ إبراهيم السقا بأسانيده المعروفة.

١٩- يوسف بن إسماعيل النبهانيُّ، بوصيريُّ عصره، صاحب المؤلفات الكثيرة والمنظومات الشهيرة.

ذكر في "مشيخته": «أروي عنه بالإجازة العامة لِمن أدرك حياته، كما في ثبته المسمى "هادي المريد إلى طرق الأسانيد"، فقد قال في آخر هذا الثبت بعد أن ذكر قول العلماء في جواز العمل بالإجازة العامة لِمن أدرك عصر الراوي: وقد رأيتُ استناداً لما ذكر أَنْ أجيزَ بجميع مروياتي ومؤلفاتي كلَّ مَن شاء هذه الإجازة مِنْ أهل عصري، إجازة معلقة على قبوله ومشيئته.اهـ. وأنا قد أدركتُ عصر النبهاني رحمه الله تعالى، وكان سِنِّي عند وفاته أكثر مِن اثنتي عشرة سنة، لأنه توفي سنة خمسين أو إحدى وخمسين. وهو يروي عن عدة شيوخ ذكرهم في ثبته المذكور.

وفاته:

تُوفِّي السيد عبدالعزيز رحمه الله تعالى بعد ظهر يوم الجمعة سابع رجب الفرد مِن سنة ١٤١٨هـ الموافق ٦ نوفبر ١٩٩٧م. وصُلِّي عليه بسبع تكبيرات، ودُفن بجوار قبر والده الإمام رضي الله عنه، وقد حضر جنازته المهيبة أعدادٌ هائلةٌ من محبيه وتلامذته ومريديه، فلم تشهد مدينة طنجة جنازة مثلها، رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وألحقنا به على الإيمان والإسلام وجمعنا في مستقر رحمته، إنه سميع مجيب الدعاء.

وحرَّر هذه الترجمة:

عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق الحسنيُّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة كتاب

التُّعطُّف بتخريج أحاديث التعرف

للعلامة المحدِّث السيد عبدالعزيز بن الصِّدِّيق الغُماريِّ

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلَّا على الظالمين. والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعـد:

فهذا جزءٌ لطيفٌ، ومُختصرٌ شريفٌ، خرَّجتُ فيه أحاديث كتاب "**التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف**" للإمام أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ إسحاقَ البخاريِّ الكَلَاباذيِّ، المُتوفَّى سنة ثمانين وثلاثمائةٍ على طريق الاختصار؛ لِيسهُلَ الانتفاع به، وسمَّيته "**التَّعطُّف بتخريج أحاديث التَّعرُّف**".

وقد كنت بدأت في جَمْعه وأنا في القاهرة، حيث كانت الكتب مُتيسِّرةً، والمراجع كثيرةً، فلمَّا وصلتُ إلى نِصفه اتَّفق رجوعي إلى طَنْجَة، فأعرضتُ عن المُضيِّ في إتمامه لِعدم وجود الكتب التي أحتاج إليها، ومكثت مدَّةً طويلةً، تَقْرُب من العام، وأنا مُنصرفٌ عن الاشتغال بعلم الحديثِ لِلسبب الذي ذكرتُه، إلى أن كانت أوائل سنة سبعٍ وستين وثلاثمائةٍ وألفٍ رأى بعضُ الإخوان - أصلح الله لي وله الحال - رؤيا مناميَّة تدلُّ على أنَّه ينبغي لي الاشتغال بهذا العلم، والمُضيّ في الطريقة التي كنت عليها وأنا في القاهرة من تحقيق مسائله وتدوين فنونه، رغم هذه الصّعوبات وتلك العوائق؛ فاستخرت الله على إثْر ذلك في إتمام هذا التخريج على قدر ما تسمح به الموانع.

وقد جاء على الرغم من فراغ يدي من الكتب، التي لا يمكن لغيري أن يكتبَ مِثله بل أقلَّ منه بدونها، كافيًا لأهل الرغبة والإنصاف، مُفيدًا لمن سَلَك طريق الحقِّ وتَجنَّب سبيل الاعتساف.

واللهَ أسألُ أن يتقبَّله مِنِّي خالصًا، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ، وهو حسبي ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدَّمة كتاب

التعرُّف لمذهبِ أهلِ التَّصوُّفِ

للإمام أبي بكرٍ محمَّدِ بنِ إسحاقَ البخاريِّ الكَلَاباذيِّ

الحمد الله المُحتجِبِ بكبريائه عن دَرْكِ العيون، المُتعزِّز بجلاله وجَبَروته عن لَوَاحِق الظُّنون، المُتفرِّد بذاته عن شِبْه ذوات المخلوقين، المُتنزِّه بصفاته عن صفات المُحدَثين، القديمِ الذي لم يَزَل والباقي الذي لا يَزَال، المُتعالي عن الأَشْباهِ والأضدادِ والأَشْكال، الدَّال لخلقه على وحدانيته بأعلامه وآياته، المُتعرِّفِ إلى أوليائه بأسمائه ونُعوته وصِفاته، المُقرِّبِ أسْرارهم مِنه، والعاطفِ بقلوبهم عليه، المُقْبلِ عليهم بلُطْفِه، الجاذبِ لهم إليه بعَطْفِه، طَهَّر عن أدناس النُّفوس أسرارهم، وأجلَّ عن مُوافقة الرُّسوم أقدارهم، اصطفى مَنْ شاء منهم لرسالته، وانتخب من أراد لوَحْيه وسفارته، أنزل عليهم كتبًا أمر فيها ونهى، ووَعَدَ مَنْ أطاع وأَوْعَدَ مَنْ عصى، أَبَان فضلهم على جميع البشر، ورفع درجاتهم أن يبلغها قَدْرُ ذِي خَطَر، ختمهم بمحمَّدٍ عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام، وأمر بالإيمان به والإسلام، فدينه خير الأديان، وأمَّته خير الأُمَم، لا نَسْخ لشريعته، ولا أُمَّة بعد أُمَّته، جعل فيهم صَفْوةً وأخيارًا، ونُجَباء وأبرارًا، سبقت لهم من الله الحُسنى، وألزمهم كلمة التَّقوى، وعَزَف بنفوسهم عن الدنيا، صدقت مُجاهداتهم فنالوا علوم الدِّراسة، وخلصت عليها مُعاملاتهم فمُنحوا علوم الوِراثة، وصفت سرائرهم فأُكرموا بصدق الفِراسة، ثبتت أقدامهم وزكت أفهامهم، وأنارت أعلامهم. فَهِموا عن الله،

وساروا إلى الله، وأعرضوا عما سوى الله، خرقت الحجب أنوارهم، وجالت حول العرش أسرارهم، وجلَّت عند ذي العرش أخطارهم، وعميت عما دون العرش أبصارهم، فهم أجسام روحانيون، وفي الأرض سماويون، ومع الخلق ربَّانيون، سكوتٌ، نُظَّار، غُيَّبٌ حُضَّار، ملوكٌ تحت أطمار، أنزاع قبائل، وأصحاب فضائل، وأنوار دلائل، آذانهم واعيةٌ، وأسرارهم صافيةٌ، ونعوتهم خافيةٌ، صَفويَّةٌ صوفيَّة، نوريه صَفِيَّةٌ، ودائع الله بين خليقته، وصفوته في بريته، ووصاياه لنبيه، وخباياه عند صفيِّه، هم في حياته أهل صُفَّته، وبعد وفاته خِيار أُمَّته، لم يزل يدعو الأول الثاني والسابق التالي بلسان فعله، أغناه ذلك عن قوله.

حتى قلَّ الرَّغَبُ وفتَرَ الطلب، فصار الحال أجوبةً ومسائل، وكتبًا ورسائل، فالمعاني لأربابها قريبةٌ، والصدور لفهمها رَحيبةٌ.

إلى أن ذهب المعنى وبقي الاسم، وغابت الحقيقة وحصل الرَّسْم، فصار التحقيق حِلْيةً، والتصديق زينةً، وادَّعاه من لم يعرفه، وتحلَّى به من لم يصفه، وأنكره بفعله من أقرَّ به بلسانه، وكتمه بصدقه من أظهره ببيانه، وأَدخل فيه ما ليس منه، ونَسب إليه ما ليس فيه؛ فجعل حقَّه باطلًا، وسمَّى عالمه جاهلًا، وانفرد المتحقِّق فيه ضنًّا به، وسكت الواصف له غَيْرةً عليه؛ فنفرت القلوب منه، وانصرفت النفس عنه، فذهب العلم وأهله، والبيان وفعله، فصار الجُهَّال علماء، والعلماء أذِلَّاء..

فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وَصْف طريقتهم، وبيان نِحلتهم وسيرتهم، من القول في التوحيد والصِّفات، وسائر ما يتصل به، مما وقعت فيه الشُّبهة عند من لم يعرف مذاهبهم، ولم يخدم مشايخهم، وكشفت بلسان العلم ما أمكن كشفه،

ووصفتُ بظاهر البيان ما صلح وصفه، ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم، ويدركه من لم يدرك عباراتهم، وينتفي عنهم خَرْصُ المُتخرِّصين، وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بيانًا لمن أراد سلوك طريقه، مفتقرًا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه، بعد أن تصفَّحتُ كُتب الحُذَّاق فيه، وتتبَّعتُ حكايات المتحقِّقين له بعد العِشْرة لهم والسؤال عنهم. وسمَّيته بكتاب "**التعرُّف لمذهب أهل التصوف**" إخبارًا عن الغرض بما فيه.

وبالله أستعين وعليه أتوكَّل، وعلى نبيِّه أُصلِّي، وبه أتوسَّل، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

الباب الأول

قَوْلُهم في الصُّوفِيَّة: لِمَ سُمِّيت الصُّوفِيَّةُ صُوفيَّةً؟

قالت طائفةٌ: إنما سُمِّيت الصوفية صوفية؛ لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها.

وقال بشر بن الحارث: «الصوفيُّ من صفا قلبه لله».

وقال بعضهم: «الصوفيُّ من صَفَتْ لله مُعاملته، فصَفَتْ له من الله عزَّ وجلَّ كرامته».

وقال قومٌ: «إنما سمُّوا صوفيةً؛ لأنهم في الصفِّ الأوَّل بين يدي الله عزَّ وجلَّ، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه».

وقال قومٌ: «إنما سمُّوا صوفيةً؛ لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصُّفَّة، الذين كانوا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال قومٌ: «إنما سمُّوا صوفية؛ للبسهم الصُّوف».

وأمَّا من نسبهم إلى الصُّفَّة والصُّوف، فإنه عبَّر عن ظاهر أحوالهم؛ وذلك أنهم قومٌ قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلَّا مالا يجوز تركه، من سَتْر عَوْرةٍ، وسَدِّ جَوْعةٍ.

فلخروجهم عن الأوطان سُمُّوا: غرباء، ولكثرة أسفارهم سُمُّوا: سيَّاحين.

ومِن سياحتهم في البراري، وإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورات سمَّاهم بعض أهل الديار: «شَكْفَتيَّة»، والشَّكْفَتُ بلغتهم: الغار والكهف.

وأهل الشام سمُّوهم: «جُوعِيَّة»؛ لأنهم إنما ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصُّلب للضرورة، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بحَسْب ابن آدم أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**»[1].

---

(١) حديث: «**بحسب ابن آدم أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**».

الترمذيُّ من طريق عبدالله بن المبارك، عن إسماعيل بن عَيَّاشٍ، عن أبي سلمة الحمصيِّ، حَبِيب بن صَالِحٍ، عن يحيى بن جابرٍ الطَّائِيِّ، عن مِقدَامِ بن مَعْدِي كَرِبَ، قَال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما مَلأَ ابنُ آدم وِعَاءً شَرًّا مِنْ بطنِه، بِحَسب ابنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمنَ صُلبَهُ، فإن كان لا مَحَالة فثلُثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لِنَفَسه**».

ورواه من طريق الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عَيَّاشٍ، به.

قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ».

ورواه ابن ماجه من طريق هشام بن عبدالملك الحمصيِّ، عن محمَّد ابنِ حَرْبٍ، حدَّثتني أمِّي، عن أمِّها، أنَّها سمعت المِقْدامَ بنَ مَعْدِي كَرِب يقول: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول.. فَذَكَره، إلَّا أنَّه قال: «**فانْ غَلَبت الآدميَّ نفسُه فثلُثٌ...**» الحديث.

ورواه الحاكم في " المستدرك " مِنْ طريق محمَّد بن عوفٍ: ثنا أبو المغيرة: ثنا سليمان بن سليمٍ أبو سلمة الكنانيُّ: حدَّثني يحيى بن جابرٍ الطائيُّ قال: سمعتُ المِقْدامَ بنَ مَعْدِي كَرِب الكِندِيَّ رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما ملأ ابن آدم وِعَاءً شرًّا مِنْ بطنه؛ حَسْبُ ابن آدم ثلاث أُكُلاتٍ يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة؛ فثلثٌ طعامٌ، وثلثٌ شرابٌ، وثلثٌ لنَفَسِهِ**».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد ولم يُخرجاه».

وقال السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ ووصفهم فقال: «أكلهم أكل المَرْضى، ونومهم نوم الغَرْقى، وكلامهم كلام الخَرْقى».

ومِن تخلِّيهم عن الأملاك سُمُّوا: فقراء.

قيل لبعضهم: مَن الصوفيُّ؟ قال: «الذي لا يملِك ولا يُملَك»، يعني: لا يستَرِقُّه الطمع. وقال آخر: «هو الذي لا يَملِك شيئًا، وإن مَلَكه بَذَلَه».

ومِن لبسهم وزيِّهم سُمُّوا: «صوفية»؛ لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مَسُّه، وحَسُن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فتجزُّوا بالخَشِن من الشَّعَر، والغليظ من الصوف.

ثُمَّ هذه كلُّها أحوال أهل الصُّفَّة، الذين كانوا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين، أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، ووصفهم أبو هريرة وفَضَالة بن عُبيدٍ فقالا: «يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين»، وكان لباسهم الصوف حتى إن كان بعضهم يعرق فيه فيوجد منه ريح الضَّأن إذا أصابه المطر، هذا وصف بعضهم لهم، حتى قال عُيينة بن حصنٍ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّه ليؤذيني رِيح هؤلاء، أمَا يؤذيك ريحهم؟!»[١].

---

(١) قوله: قال عُيَيْنَةُ بنُ حِصن للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّه يؤذِيني ريحُ هؤلاء، أَمَا يُؤذِيك ريحُهم».

الواحِديُّ في " أسباب النزول " مِنْ طريق محمَّدِ بنِ إبراهيم البوشنجيِّ، قال: حدَّثنا الوليد بن عبدالملك بن مسرح الحرانيُّ: حدَّثنا سليمان بن عطاء الحرانيُّ، عن مسلمة بن عبدالله الجهنيِّ، عن عمِّه ابن مشجعة بن ربعيٍّ الجهنيِّ، عن سلمان الفارسيِّ، قال: جاءت المُؤلَّفَة القلوبِ إلى

ثُمَّ الصوف لباس الأنبياء، وزِيُّ الأولياء.

وقال أبو موسى الأشعري عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه مرَّ بالصَّخرة مِنَ الرَّوحاء سَبْعون نَبِيًّا، حُفاةً عليهم العَباءُ، يَأُمُّون البيتَ العتيق**»[1].

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عُيَيْنَةُ بنُ حِصن، والأَقْرَعُ بنُ حابِس، وذَوُوهم، فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّك لو جلستَ في صدر المجلس ونحَّيت عنَّا هؤلاء وأرواحَ جِبابِهم، يَعنُون: سلمان، وأبا ذرٍّ، وفقراءَ المسلمين، وكانت عليهم جبابُ الصُّوف لم يكن عليهم غيرُها. ورواه جماعةٌ مِنْ غير ذكر لفظ المؤلِّف.

(١) حديث أبي موسى: «**إنَّه مرَّ بالصَّخرة مِنَ الرَّوحاء سَبْعون نَبِيًّا، حُفاةً عليهم العَباء، يَأُمُّون البيتَ العتيق**».

الطبرانيُّ، وأبو نُعَيمٍ في " الحِلية "، والعُقَيلي[*] مِنْ طريق يزيد بنِ أبان الرقاشيِّ، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعريِّ، قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد مرَّ بالصَّخرة من الرَّوحاء سبعون نبيًّا، حفاةً عليهم العَباء**». قال العقيليُّ: «أبان لم يصح حديثه».

قُلت: ويزيدُ ابنُه ضُعِّف، وهو من رجال الترمذيِّ، وابن ماجه.

ورواه الأزرقيُّ في " تاريخ مكَّة " مِنْ طريق عثمانَ بنِ ساجٍ، عن محمَّد بنِ إسحاق، قال: حدَّثني مَنْ لا أتَّهِم، عن عبدِالله بنِ عبَّاسٍ، أنَّه كان يقول: «لقد سلك فَجَّ الرَّوْحاءِ سَبعونَ نَبِيًّا حُجَّاجًا، عليهم لِباسُ الصُّوف، مُخطِّمي إبلهم بِحِبالِ الليفِ».

قال عثمان: وأخبرني صادقٌ، أنَّه بلَغه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**لقد**

(*) وانظر: "الإيمان" لابن مَنده (٢/ ٧١٤). بخط المؤلِّف على حاشية الصفحة.

مرُّوا بفجِّ الرَّوحاء»، أو قال: «**لقد مرَّ بهذا الفجِّ سبعون نبيًّا، على نُوقٍ حُمْرٍ خَطَّمها الليف، ولُبوسُهم العَباء..**» الحديث.

ورواه من طريق عثمان أيضًا، قال: حدَّثني غالِبُ بن عُبيدِ الله، قال: سمعتُ مجاهدًا يذكر عن ابن عبَّاسٍ، قال: «مرَّ بِصِفاح الرَّوحاء ستون نبيًّا، إبلُهم مُخطَّمةٌ بالليف».

ورواه مِنْ طريق عثمانَ بنِ ساجٍ أيضًا عن خُصَيفٍ، عن مجاهدٍ، أنَّه قال: «حجَّ خمسةٌ وسبعون نبيًّا كلُّهم قد طاف بالبيت، وصَلَّى في مسجد مِنًى، فإنْ استطعت أن لا تفوتك الصَّلاة في مسجد مِنًى، فافعلْ».

ورواه مِنْ طريق مروانَ بنِ معاوية، عن الأشعث بن سَوَّارٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، قال: «صَلَّى فى مَسْجِدِ الخَيْفِ سبعون نَبيًّا، كلُّهم مُخطِّمون بالليف».

ورواه من طريق عثمان بن ساجٍ، عن خُصيفٍ، عن مجاهد، أنَّه قال: «حجَّ مُوسَى النَّبيُّ على جملٍ أحمرَ، فمرَّ بالرَّوحاء عليه عَبَاءَتَان قَطَوَانِيَّتَان مُتَّزِرٌ باحداهما، مُرتدي بالأخرى. فطاف بالبيت، ثُمَّ طاف بين الصَّفا والمروة، فبينا هو بين الصَّفا والمروة، إذ سمع صوتًا من السماء وهو يقول: لبَّيك عبدي أنا معك؛ فخرَّ ساجدًا».

ورواه أحمدُ في " الزهد " عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد قال: «حجَّ البيتَ سبعون نبيًّا منهم موسى بنُ عِمران عليه السلام، عليه عباءتان قَطْوانِيَّتان». قال: وفيهم يونسُ عليه السلام يقول: لبَّيكَ كاشِفَ الكربِ لَبَّيك ».

ورواه مِن طريق سفيانَ عن ابنِ جدعان وأسنده، قال: « مرَّ عيسَى مُلبيًّا: لبَّيك عبدك وابنُ أَمَتِك وابنةُ عبدِك؛ ومِن قبل ذلك سبعين نبيًّا خاطِمي ابلهمم بالليف. جتى صَـلّوا في مسجد الخيف ».

ورواه مِن طريق يحيى بنِ سعيدٍ، عن الأعمش، عن مجاهد قال: «حجَّ البيتَ سبعون نبيًّا منهم موسى بنُ عِمرانَ عليه السلام، عليه عِباءتان قَطْوانِيَّتان، فكان يُلبِّي والجبال تُجاوبُه.

وقال الحسن البصريُّ: «كان عيسى عليه السَّلام يلبس الشَّعر، ويأكل من الشجرة، ويبيت حيث أمسى».

وقال أبو موسى: «كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يلبس الصُّوف، ويركب الحمار، ويأتي مدعاة الضعيف»[1].

---

(١) حديث أبي موسى: «كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يلبس الصُّوف، ويركب الحمار، ويأتي مدْعاة الضَّعيف».

رواه الحاكم في " المستدرك " مِنْ طريق أبي بكر محمَّد بن الفَرَجِ الأزرق: ثنا هاشم بن القاسم: ثنا شيبان أبو معاوية، عن أشعث بن أبي الشَّعْثَاء، عن أبي بُردَة، عن أبي موسى، قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يركب الحمار، ويلبس الصُّوف، ويعتقل الشاة، ويأتي مُرَاعَاة الضعيف».

ورواه من طريق بشر بن خالدٍ العسكريِّ: ثنا أبو النَّضر هاشم بن القاسم: ثنا شيبان أبو معاوية، به. قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ؛ على شرط الشيخين».

ورواه الطبرانيُّ بلفظ: «كان يركب الحمار، ويلبس الصوفَ، ويعتقل الشاة، ويأتي مدْعاةَ الضعيف». قال الهيثميُّ في المَجْمَع: «ورجاله رجال الصَّحيح».

ورواه أبو نعيم في " الحِلية " مِنْ طريق الحسن بن عُمارَةَ، عن حَبيبِ بن أبي ثَابِتٍ، عن أنس بن مالكٍ قال: «كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَلبسُ الصُّوفَ، وينامُ على الأَرض، ويأْكُلُ من الأَرض، ويركبُ الحمار، ويُرْدِفُ خَلْفَهُ، ويَعْقِلُ العَنْزَ فيحتلِبُها، ويُجِيبُ دَعوَة العبد».

قال أبو نعيم: «غريبٌ من حديث حَبِيبٍ عن أَنسٍ؛ تفرَّدَ به الحسن».

ورواه الترمذيُّ، وابن ماجه من طريق مسلمٍ الأعور، عن أنسٍ بِلفظ: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَعودُ المريضَ، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويُجيب دعوة العبد، وكان يوم بَنِي قُرَيْظَةَ علَى حمارٍ مَخطُومٍ بحبلٍ مِنْ لِيفٍ عليه اكَاف».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ لا نعرفه إلَّا مِنْ حديث مسلمٍ، عن أنسٍ. ومسلمٌ الأعور يُضعَّف، وهو مسلِمُ بنُ كَيْسَان، تُكلِّم فيه. وقد روَى عنه شُعْبةُ، وسفيانُ المُلَائيُّ».

قلتُ: قد روَى هذا الخبرَ عن مسلمٍ الأعور جماعةٌ، فبعضُهم طَوَّله، وبعضهم اختصره. فرواه عنه عليُّ بن مُسْهِرٍ، وجريرٌ بلفظٍ واحدٍ.

فرواية عليٍّ بن مُسْهِرٍ، قال الترمذيُّ في " السُّنن "و" الشمائل " معًا: حدَّثنا عليُّ بن حُجْرٍ: أخبرنا عليُّ بن مُسْهِرٍ، عن مسلمٍ الأعور باللفظ الذي ذكرته.

وروايةُ جريرٍ، قال ابن ماجه في " السنن ": حدَّثنا عمرو بن رافع: ثنا جريرٌ، عن مسلمٍ باللفظ السَّابق.

ورواه سفيان بن عُيَيْنَةَ، وفضيل بن عياضٍ عنه مُختصرًا.

فرواية سفيان بن عيينة، قال أبو نعيمٍ في " الحلية ": حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عبدِالله بنِ إسحاق: ثنا محمَّد بن إسحاق: ثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ: ثنا سفيان بنُ عُيَينَة، عن مُسلمٍ الأعور، عن أنس بن مالكٍ، قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُجِيبُ دعوةَ المملوك، ويُرْدِفُ خَلْفه، ويُوضَعُ طعامُهُ بالأرض». قال هو أو غيره: «ويَلعَقُ أصابعه».

ورواية فُضَيلِ بنِ عِيَاضٍ، رواها عبدُالله بنُ أحمد في زيادات الزُّهد لأبيه: حدثنا عُبيدُ الله بنُ عمرَ القواريري: حدثنا فُضيلُ بنُ عياضٍ، عن مسلمٍ البزّاز، وهو الملائي، عن أنسٍ بنِ مالك قال: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيبُ العبدَ، ويعودُ المريضَ، ويركبُ الحمارَ».

وقال أبو نُعيمٍ في " الحِلية ": حدَّثنا محمَّدُ بن حُمَيدٍ: ثنا حامدُ بنُ شُعيبٍ، (ح) وحدَّثنا أبو محمَّد بنُ حَيَّانَ: ثنا أبو يَعلَى، قالا: ثنا عُبيدُ الله بنُ عُمَر القَوَارِيرِيُّ: حدَّثني فُضَيلُ بنُ عِيَاضٍ، عن مسلمٍ البَزَّاز، عن أنس بن مالكٍ، قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُجِيبُ العبد ويركبُ الحمار ويَعُودُ المريضَ».

قال أبو نعيمٍ: «مسلمٌ البَزَّازُ هو: مسلم بن كَيْسَانَ الأعور المُلَائِيُّ».

وقال الحسن البصريُّ: «لقد أدركت سبعين بدريًّا، ما كان لباسهم إلَّا الصُّوف».

فلما كانت هذه الطائفة بصفة أهل الصُّفَّة فيما ذكرنا، ولبسهم وزِيِّهم زيَّ أهلها، سُمُّوا صُفِّيَّة وصوفية.

ومن نسبهم إلى الصُّفَّة والصف الأول: فإنه عبَّر عن أسرارهم وبواطنهم؛ وذلك أنَّ من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها، صفَّى الله سِرَّه، ونوَّر قلبه، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دخل النُّورُ في القلب انشرح وانفسح**»، قيل: وما علامة ذلك يارسول الله؟ قال: «**التَّجافي عن دار الغُرُور، والإنابة إلى دار الخُلُود، والاستعداد للموت قبل نُزُوله**»[1]، فأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ من تجافى عن الدنيا نوَّر الله قلبه.

---

(١) حديث: «**إذا دخل النُّورُ في القلب انشرح وانفسح**»، قيل: وما علامة ذلك يارسول الله؟ قال: «**التَّجافي عن دار الغُرُور، والإنابة إلى دار الخُلُود، والاستعداد للموت قبل نُزُوله**».

الحاكم في " المستدرك " مِنْ طريق عديِّ بنِ الفَضلِ، عن عبدِالرحمن بنِ عبدِالله المسعوديِّ، عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: تَلا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ النَّورَ إذا دخل الصدرَ انفَسَح**»، قيل: يا رسول الله: هل لذلك مِنْ علمٍ يُعرف به؟ قال: «**نعم، التَّجافي عن دار الغُرُور، والإنابة إلى دار الخُلُود، والاستعداد للموت قبل نُزُوله**». قال الذهبيُّ في " تلخيصه ": «عديُّ بنُ الفضل: ساقطٌ».

ورواه ابنُ المبارك في " الزهد " عن المسعوديِّ، عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ، عن أَبي جعفرٍ رجلٌ مِنْ بَني هاشم.

ورواه أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِالعزيزِ ابنِ مردك، في الجزء الأول من "الفوائد " تخريج الدارقطني: حدثنا محمدُ بنُ مخلدٍ: حدثنا محمدُ بنُ سنان: ثنا محمدُ بنُ الحسنِ وهو محبوب: ثنا

يونسُ بنُ عُبيدٍ، عن عبدِالرحمن بنِ عُبيدِ الله بنِ عُتبة، عن أبيه، عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ يرد اللهُ أَنْ يهديه يشرح صدره للإسلام..». فذَكره. قال الدارقطني: «لا يُحْفَظ عن يونسَ، عن عبدِالرحمن غيرُ هذا».

ورواه البيهقيُّ في " الأسماء والصفات " مِنْ طريق أَبِي نصرِ بنِ قتادة: ثنا أبو منصور النضرويُّ: ثنا سعيدُ بنُ منصورٍ: ثنا سفيان، عن خالدِ ابنِ أبي كريمة، عن عبدالله بن المِسْوَرِ- وكان مِنْ ولد جعفر بن أبي طالب - قال: تلا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، فقالوا: فهل لذلك علمٌ يُعرف به؟ قال: «**نعم، إذا دخل النُّور القلبَ انفسحَ وانشرحَ**»، قالوا: فهل لذلك علمٌ يُعرف به؟ قال: «**نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتَّجافي عن دار الغُرُور، والاستعداد للموت قبل نُزُول الموت**».

قال البيهقيُّ: «هذا منقطعٌ».

قلتُ: وعبدُالله بنُ المِسْوَر: ليس بثقةٍ، قال أحمد وغيره: «أحاديثه موضوعةٌ»، وقال النَّسائيُّ، والدارقطني: «متروكٌ».

وقال البيهقيُّ في " الأسماء والصفات ": أخبرنا أبو بكر أحمدُ بنُ الحسن القاضي، وأبو سعيد محمَّدُ بنُ موسى بنِ الفضل، قالا: ثنا أبو العباس محمَّدُ بنُ يعقوب: ثنا محمَّدُ ابنُ إسحاق: ثنا أبو الجواب: ثنا سفيان الثوريُّ، عن عمرِو بنِ مُرَّة، عن أبي جعفر المدائنيِّ، أَنَّه سُئِل عن قول الله عز وجل: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، قال: «نورٌ يُقذف في الجَوف؛ فينشرح له الصدر، ويَنْفَسِحُ. قيل له: هل لذلك أمارةٌ يُعرف بها؟ قال: نعم، إنابةٌ إلى دار الخُلُود، والتَّجافي عن دار الغُرُور، واستعدادٌ للموت قبل مَجِيءِ الموت».

وقال حارثه حين سأله النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما حقيقة إيمانك؟**» قال: «عَزَفَتُ بنفسي عن الدنيا، فأظمأتُ نهاري، وأسهرتُ ليلي، وكأنِّي أنظُرُ إلى عرش ربِّي بارزًا، وكأنِّي أنظُرُ إلى أهل الجنَّة يَتزَاوَرُون، وإلى أهل النَّار يَتَعادون»[1].

---

(١) حديث جارثة: حين سأله النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما حقيقة إيمانك؟**» قال: «عَزَفَتُ بنفسي عن الدنيا، فأظمأتُ نهاري، وأسهرتُ ليلي، وكأنِّي أنظُرُ إلى عرش ربِّي بارزًا، وكأنِّي أنظُرُ إلى أهل الجنَّة يَتزَاوَرُون، وإلى أهل النَّار يَتَعادون».

الطبرانيُّ في " الكبير" عنه، وفيه ابنُ لَهيعة، ومَنْ يُحتاج إلى الكشف عنه.

ورواه البزَّار(*) من حديث أنسٍ رضي الله عنه: «لقيَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا، يقال له حارثة في بعض سكك المدينة...» فذكر الحديث.

وفيه يوسف بن عطيَّة: لا يُحتجُّ به.

ورواه البيهقيُّ في "الشُّعَب" مِنْ طريق يوسف بن عطيَّة، عن أنسٍ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقي الحارث يومًا، فقال: «**كيف أصبحت يا حارث؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا...» الحديث. وفي آخره، قال: «**يا حارثُ عَرَفْتَ فالزَمْ**».

ورواه البيهقيُّ في "الشُّعَب" مِنْ طريق يوسف بن عطيَّة، عن أنسٍ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقي الحارث يومًا، فقال: «**كيف أصبحت يا حارث؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا...» الحديث. وفي آخره، قال: «**يا حارثُ عَرَفْتَ فالزَمْ**».

قال البيهقيُّ: «هذا منكرٌ، وقد خبط فيه يوسف؛ فقال مرَّةً: الحارث، وقال مرَّةً: حارثة».

(*) ورواه أبو نُعيم في "الحلية" (١/ ٢٤٢)، عن ثابتٍ، عن أنسٍ أَنَّ معاذَ بنَ جبل. الحديث.

ورواه الحَكَمُ في "رياضة النفس" [المجموعة العزيزية (٢/ ٧٦)]، وأُنظرْ: "أمالي الشجري" (١/ ٣٢)، و" مصنف عبدالرزاق " (١١/ ١٢٩). بخط المؤلف على حاشية الصفحة.

ورواه ابنُ المبارك في "الزهد" عن مَعْمَرٍ، عن صالح بن مِسْمَارٍ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يا حارث بن مالك كيف أصبحتَ؟**» قال: أصبحتُ مؤمنًا حقًّا، قال: «**إنَّ لكلِّ قولٍ حقيقةً فما حقيقة إيمانك؟**» قال: عَزَفتْ نفسي عن الدنيا؛ فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلى عرش ربِّي، وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنَّة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عُوَاء أهل النَّار، فقال: «**مؤمنٌ نَوَّر الله قلبه**». وهذا مُعضَلٌ.

وكذا رواه عبدالرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن صالح بن مِسْمَار، وجعفر بن بُرْقَان، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يا حارث...**».

ورواه في " التفسير " عن الثوريِّ، عن عمرو بن قيسٍ الملائيِّ، عن يزيد السلميِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للحارث: «**كيف أصبحت يا حارث؟**» قال من المؤمنين، قال: «**اعلم ما تقول...**» فذكره وزاد في آخره، فقال: يا رسول الله ادعُ الله لي بالشهادة؛ فدعا له، فأُغِيرَ على سرْحِ المدينة؛ فخَرَج فقاتل فقُتِل.

وقال أبو عاصم خشيشُ بنُ أَصْرَم في كتاب " الاستقامة " له: حدَّثنا عبدالعزيز بن أبان، أخبرنا مالك بن مِغْوَلٍ، عن فضيل بن غَزْوان، قال: «أُغِيرَ على سرْحِ المدينة، فخرج الحارث بن مالك؛ فقَتَل منهم ثمانية، ثُمَّ قُتِل، وهو الذي قال له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أصبحت يا حارثة؟**»».

ورواه ابنُ أَبِي شَيْبة، عن ابن نُمَيرٍ، عن مالك بن مِغْوَلٍ بالمرفوع، ولم يذكر فضيل بن غَزْوان.

قلتُ: قولُ فُضَيل بنِ غَزْوان هذا يردُّ قول البيهقيِّ في اضطراب يوسف في اسم الحارث، والله أعلم.

قال ابنُ صاعدٍ بعد أن أَخْرَجَ عن الحسين بن الحسن المروزيِّ، عن ابن المبارك: «لا أعلم صالحَ بنَ مِسمارٍ أسند الَّا حديثًا واحدًا، وهذا الحديث لا يثْبُتُ موصولًا».

فأخبر أنه لما عزف عن الدنيا، نوَّر الله قلبه، فكان ما غاب منه بمنزلة ما يُشاهده.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من أحبَّ أن ينظر إلي عبدٍ نوَّر الله قلبه، فلينظر إلى حارثة**»[1]، فأخبر أنه مُنوَّر القلب.

وسُمِّيت هذه الطائفة: «نوريَّة»؛ لهذه الأوصاف، وهذا أيضًا من أوصاف أهل الصُّفَّة قال الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، التطُّهر: بالظواهر عن الأنجاس، وبالبواطن عن الأهجاس، وما يتحرَّك في الضمير من الخواطر.

وقال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

ثُمَّ لصفاء أسرارهم تَصْدُقُ فِراستهم؛ قال أبو أمامة الباهليُّ رضي عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اتَّقوا فِراسة المؤمن؛ فإنَّه ينظرُ بنور الله**»[2].

---

(١) حديث: «**من أحبَّ أن ينظر إلي عبدٍ نوَّر الله قلبه، فلينظر إلى حارثة**». ابنُ مَنْدَه في " الصحابة " مِنْ طريق سليمان بن سعيدٍ، عن الربيع بن لوطٍ، عن الحارث بن مالكٍ، أنَّه جاء إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أنا من المؤمنين حقًّا، فقال: «**انظر ما تقول...**» **الحديث**، وفيه: «**من سرَّه أن ينظر إلى من نوَّر الله قلبه فلينظر إلى الحارث بن مالكٍ**».

ورواه ابنُ المبارك في " الزهد " بلفظ: «**مؤمن نوَّر الله قلبه**». وتقدَّم [ص: ٦٥].

(٢) حديث أبي أمامة: «**اتَّقُوا فراسةَ المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله**».

الطبرانيُّ، والكلاباذيُّ في "التعرُّف"، مِنْ طريق عبدِالله بنِ صالحٍ ـ كاتِبِ اللَّيث ـ، عن معاوية بن صالحٍ، عن راشد بن سعدٍ، عن أبي أُمامة الباهليِّ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اتقوا فِرَاسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ**».

وهذا إسنادٌ حسنٌ، وأخطأ ابنُ الجَوزيِّ حيث أورده في "الموضوعات"، وأعَلَّه بعبدالله بنِ صالحٍ. وهذا مِنْ غُلوِّه المعروف؛ ولهذا انتقده الحافظ السيوطيُّ -رحمه الله- في " اللآلي المصنوعة "، وقال: «حديث أبي أمامة بمفرده على شرط الحسن، وعبدالله بن صالحٍ: لا بأس به».

وللحديث طرقٌ أُخرى من حديث ابن عمر، وأبي سعيدٍ، وأبي هريرة، وثوبان، وأنس بن مالكٍ رضي الله عنهم.

فحديثُ ابنِ عُمر: رواه أبو نعيمٍ في " الحلية "، وفيه أحمدُ بنُ محمَّد بنِ عمرَ اليمانيُّ، قال ابنُ الجَوزيِّ: «متروكٌ». لكنَّه لم ينفرد به؛ فقد تُوبع، أخرج المتابعةَ ابنُ جريرٍ في " تفسيره ".

وحديثُ أبِي سعيدٍ رواه الترمذيُّ، وابنُ مَرْدَويه، وابنُ عَرفة في جزئه، وأبو نُعيمٍ في "الطِّبّ"، وأورده ابنُ الجوزيِّ في "الموضوعات" مِنْ طريق الحَسن بن عرفه، عن محمَّدِ بنِ كثير الكوفيِّ، عن عمرِو بنِ قيسٍ الملائيِّ، عن عطيةَ عن أبي سعيدٍ.

وأعَلَّه بِمحمَّدِ بنِ كثيرٍ، وقال: «تفرَّد به».

وهذه غفلةٌ من ابن الجوزيِّ؛ فمحمَّدُ بنُ كثيرٍ تُوبع علَى هذا الحديث عن عمرو بن قيسٍ بأكثر من متابعةٍ.

الأولى: قال الترمذيُّ في "السنن": حدَّثنا أحمد بن أبي الطيب، حدَّثنا مصعب بن سَلَّامٍ، عن عمرو بن قيسٍ، به.

الثانية: قال البخاريُّ في "تاريخه": حدَّثنا الفِرْيابيُّ، حدَّثنا سفيان، عن عَمرو بن قيسٍ، به.

الثالثة: رواها ابن مردويه في "تفسيره" مِنْ طريق محمَّد بن مروان عن عمرو بن قيسٍ به.

ومصعبٌ لا بأس به في المتابعات، قال أبو حاتمٍ: «مَحلُّه الصِّدق».

وسفيان: هو الثوريُّ، لا يُسأل عنه؛ إمام الأئمَّة، ونجمٌ ثاقبٌ في الحديث. ومحمَّد بن مروان.

فهذه متابعاتٌ تامَّةٌ لمحمَّد بنِ كثيرٍ، وله متابعةٌ أُخرى قاصرةٌ:

قال أبو نعيمٍ في "الطِّب": حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن الحسين الخرَّاز الكوفيُّ: حدَّثنا أبي: حدَّثنا الحسن بن أبي جعفرٍ: حدَّثنا يحيى، بن الحسن، عن ابن أبي ليلى، عن عطيَّة به.

ثُمَّ إنَّ محمَّدَ بنَ كثيرٍ لم ينزل إلى درجة الحكم على حديثه بالوضع؛ فقد كان ابن معينٍ يُحسن القول فيه، وقال: «لا بأس به». وابن معينٍ عنده هذه العبارة بمنزلة لفظ ثقة.

نَعَم، أنكروا عليه رواية المناكير، لكن هذا الطعن إن سلَّمناه فإنَّما نُسلِّمه في غير هذا الحديث؛ لِكثرة المتابعين له فيه عن عَمرِو بنِ قيسٍ، ممَّا يجعله حَسنًا مقبولاً، لا يتطرَّق إليه الطَّعن، والتعليل من جهته.

وحديث أبي هريرة: رواه ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" مِنْ طريق سليمانَ بنِ أرقم، وأعلـَّه به.

وحديث ثَوْبانَ: رواه ابن جريرٍ في "تفسيره" مِنْ طريق وهبِ بنِ مُنبِّه، عن طاوسٍ، عنه.

وحديث أنس: رواه البزَّار، وابن جريرٍ، وابن السِّنيِّ، وأبو نعيمٍ في "الطِّب" مِنْ طريق أبي بشر بن المُزَلِّق، عن ثابتٍ، عن أنسٍ مرفوعًا: «**إنَّ لله عبادًا يعرفون النَّاس بالتَّوَسُّم**».

وللحديث شواهدُ استوفيتُها مع الكلام على طرقه في كتابي " بلوغ الأماني من موضوعات الصَّغاني ".

وقد تعقَّب الحافظ السيوطيُّ رحمه الله ابنَ الجوزيِّ في ذكره لهذا الحديث في "الموضوعات"، وأشار إلى بعض طرقه وشواهده، وقال: «إنَّ الحديث حسنٌ صحيحٌ». والله أعلم.

وقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: «أُلقي في روعي: أنَّ ذا بطن بنت خارجة»، فكان كما قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الحقَّ لينطق على لسان عُمَرَ**»[1].

---

(١) حديث: «**إنَّ الحقَّ لينطق على لسان عمر**».

الترمذيُّ في "السنن" من طريق خارجةَ بنِ عبدِالله، عن نافعٍ، عن ابنِ عمر، مرفوعًا بلفظ: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عمر وقلبه**».

وقال ابنُ عُمر: ما نزل بالنَّاس أمرٌ قطُّ فقالوا فيه، وقال عُمرُ، أو قال ابنُ الخَطَّاب فيه - شكَّ خارجَةُ - إلَّا نزل القرآنُ على نحو ما قال عُمرُ.

قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن الفضل بن العبَّاس، وأبي ذرٍّ، وأبي هريرة. وهذا حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وخارجةُ بنُ عبدِالله الأنصاريُّ هو ابنُ سليمانَ بنِ زيْدِ بنِ ثابتٍ وهو ثقةٌ».

قلت: حديث الفضل بن العبَّاس لم أقف عليه.

وأمَّا حديث أبي ذرٍّ: فرواه ابنُ ماجَه في "السنن" مِنْ طريق محمَّد بن إسحاق، عن مكحولٍ، عن عفيف بنِ الحرث، عن أبي ذرٍّ مرفوعًا بلفظ: «**إنَّ الله وضع الحقَّ على لسان عُمرَ يقول به**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق ابن إسحاق، وهشام بن الغاز، وابن عجلان، عن مكحولٍ، عن عفيفٍ، عن أبي ذرٍّ قال: مَرَّ بي فتًى فقلت: استغفرْ لي، فقال: أستغفرُ لك وأنت صاحِبُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: نعم، قال: لا، أو تُعلمُني، قال: إنَّك مررتَ بعُمرَ؟ فقال: نِعْمَ الفتَى وإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل الحقَّ على لسان عُمرَ يقول به**».

وقال أُويس القَرَنيُّ لهَرِم بن حيَّان -حين سلَّم عليه-: «وعليك السَّلام يا هَرِم بن حيَّان»، ولم يكن رآه قبل ذلك! ثُمَّ قال له: «عرف روحي روحك».

وأمَّا حديث أبي هريرة: فرواه أحمد، والبزَّار، والطبرانيُّ في "الأوسط"، ورجال البزَّار رجال الصحيح، غيرَ الجَهْمِ بنِ أَبِي الجَهْمِ وهو ثقةٌ، بلفظ: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسان عُمرَ وقلبه**».

وفي الباب أيضًا: عن عمر بن الخطاب، وبلال، وعائشة، ومعاوية، مرفوعًا.

وعن عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلام، وابن مسعودٍ، وطارق بن شهابٍ موقوفًا.

فحديثُ عُمرَ بنِ الخطاب: رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وفيه عليُّ بنُ سعيدٍ المقريُّ العكّاويُّ، قال الهيثميُّ: «لم أعرفه، وبقيَّة رجاله رجال الصَّحيح».

وحديث بلالٍ: رواه الطبرانيُّ وفيه أبو بكر بنُ أَبِي مريمَ، وقد اختلَط.

وحديث عائشةَ: رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، وفيه عبدُالرحمن بنُ أبي الزِّناد ليِّنُ الحديث.

وحديثُ معاوية: رواه الطبرانيُّ وفيه ضعفاء.

وأَثَرُ عليٍّ عليه السَّلام: رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وإسناده حسنٌ. وأبو نُعَيمٍ في "الحلية": «كنَّا نتحدث أنَّ مَلَكًا ينطق على لسان عُمرَ» وهذا لفظ أَبِي نُعيم.

ولفظ الطبرانيِّ: «ما كنَّا نُبْعِدُ أصحاب محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ السكينة تَنطقُ على لسان عُمرَ».

وأثرُ ابنِ مسعودٍ: رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ: «ما كنَّا نُبْعِدُ أنَّ السكينة تَنطقُ على لسان عُمرَ».

وأثرُ طارقِ بنِ شِهابٍ: رواه الطبرانيُّ ورجاله ثقاتٌ: «كنَّا نتحدَّث أنَّ السكينة تنزل على لسان عُمرَ».

وقال أبو عبدالله الأنطاكيُّ: «إذا جالستم أهل الصِّدق، فجالسوهم بالصِّدق؛ فإنهم جواسيس القلوب، يدخلون في أسراركم، ويخرجون من هممكم».

ثُمَّ من كان بهذه الصِّفة من صفوة سرِّه وطهارة قلبه ونور صدره فهو في الصفِّ الأول؛ لأنَّ هذه أوصاف السَّابقين.

قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يدخل من أمَّتي الجنَّة سبعون ألفًا بغير حسابٍ..**»، ثُمَّ وصَفَهم وقال: « **الذين لا يَرْقُون ولا يَسْتَرْقُون، ولا يَكْوُون ولا يُكْتَوون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»[1]، فلصفاء أسرارهم وشرح صدورهم وضياء قلوبهم، صحَّت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب، ثقة بالله عزَّ وجلَّ، وتوكُّلًا عليه، ورضًا بقضائه.فقد اجتمعت هذه الأوصاف كلُّها، ومعاني هذه الأسماء كلُّها، في أسامي القوم وألقابهم، وصحَّت هذه العبارات، وقربت هذه المآخذ.

وإن كانت هذه الألفاظ متغايرةً في الظَّاهر، فإنَّ المعاني متَّفقةٌ؛ لأنها إن أخذت من الصَّفاء والصَّفْوة كانت صَفَويَّة، وإن أُضيفت إلى الصَّفِّ أو الصُّفَّة كانت صَفِّيَّة أو صُفِّيَّة.

ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية، وزيادتها في لفظ الصَّفِّيَّة والصُّفِّيَّة إنما كانت مِن تَدَاول الألْسُن.

---

(١) حديث: «**يدخل من أمَّتي الجنَّة سبعون ألفًا بغير حسابٍ الذين لا يَرْقُون ولا يَسْتَرْقُون...**» الحديث.

البخاريُّ، ومسلمٌ في صحيحيهما من حديث عِمْرانَ بنِ حُصَينٍ رضى الله عنه.

وروياه مِنْ حديث أبي هريرة مُختصرًا.

ورواه البخاريُّ من حديث ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما.

وإن جعل مأخذه من الصُّوف: استقام اللفظ، وصحَّت العبارة: مِن حيث اللغة.

وجميع المعاني كلها من التخلِّي عن الدنيا، وعُزوف النفس عنها، وترك الأوطان، ولُزوم الأسفار، ومنع النفوس حظوظها، وصفاء المعاملات، وصَفْوة الأسرار، وانشراح الصُّدور، وصِفة السُّبَّاق.

وقال بُنْدَار بن الحسين: «الصوفيُّ من اختاره الحقُّ لنفسه فصَافاه، وعن نفسه برَّأه، ولم يرده إلى تَعمُّل وتكلُّف بدعوى.

و صُوفي على زِنَة عُوفي، أي: عافاه الله فعُوفي، وكُوفي، أي: كافاه الله فكُوفي، وجُوزي، أي: جازاه الله؛ ففِعْلُ الله به ظاهرٌ في اسمه، والله المتفرِّد به».

وقال أبو عليٍّ الرُّوذَبَاريُّ -وسُئل عن الصوفيِّ- فقال: «مَن لَبِس الصوف على الصَّفاء، وأطعم الهوى ذَوْقَ الجفاء، وكانت الدنيا منه على القَفَا، وسلك منهاج المصطفى».

وسُئل سهل بن عبدالله التُّسْتَريُّ مَن الصوفيِّ؟ فقال: «مَن صفا مِن الكَدَر، وامتلأ من الفِكَرِ، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمُدَر».

وسُئل أبو الحسن النوريُّ: ما التصوف؟ فقال: «تَرْكُ كلِّ حظٍّ للنفس».

وسُئل الجنيد عن التصوف فقال: «تصفية القلب عن مُوافقة البرية، ومُفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصِّفات البشرية، ومُجانبة الدَّواعي النفسانية، ومنازلة الصِّفات الروحانية، والتعلُّق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنُّصح لجميع الأمَّة، والوفاء لله على الحقيقة، واتِّباع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشريعة».

وقال يوسف بن الحسين: «لكلِّ أمَّةٍ صَفْوَة، وهم وديعة الله الذين أخفاهم عن خلقه، فإن يكن منهم في هذه الأمَّة، فهم الصوفية».

قال رجلٌ لسهل بن عبدالله التُّسْتَريِّ: مَن أَصْحَبُ مِن طوائف الناس؟ فقال: «عليك بالصوفية؛ فإنهم لا يستكثرون، ولا يستنكرون شيئًا، ولكلِّ فعلٍ عندهم تأويلٌ، فهم يعذرونك على كلِّ حالٍ».

وقال يوسف بن الحسين: سألت ذا النون مَنْ أَصْحَبُ؟ فقال: «مَن لا يملك، ولا يُنكر عليك حالًا من أحوالك، ولا يتغيَّر بتغيُّرك وإن كان عظيمًا؛ فإنك أحوجُ ما تكون إليه أشد ما كنت تغيُّرًا».

وقال ذو النون: «رأيت امرأةً ببعض سواحل الشام، فقلت لها: مِن أين أقبلتِ رحمك الله؟ قالت: من عند أقوامٍ تَتَجافى جُنُوبهم عن المَضَاجِعِ، يدعون ربَّهم خوفًا وطمعًا، قلتُ: وأين تُريدين؟ قالت: إلى رجالٍ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بَيْعٌ عن ذِكْرِ الله، قلتُ: صِفيهم لي؟ فأنشأت تقول:

قـــومٌ هُمُـــومُهم بـــالله قـــد عَلِقَـــتْ ... فـــما لهـــم هِمَـــمٌ تســـمو إلى أحـــدِ
فمطلـــبُ القـــوم مـــولاهم وسَـــيِّدُهم ... يـــا حُسْـــنَ مَطْلَـــبِهم للواحـــد الصَّـــمَدِ
مـــا إنْ تَنَـــازَعهُم دُنْيـــا ولا شرفٌ ... مِـــنَ المطـــاعِمِ واللَّـــذَّاتِ والولـــدِ
ولا لِلُـــبْسِ ثِيـــابٍ فَـــائِقٍ أَنِـــقٍ ... ولا لـــرَوْحِ سُرُورٍ حَـــلَّ في بلـــدِ
إلَّا مُســـارعةً في إثْـــرِ مَنْزِلَـــةٍ ... قـــد قـــارَبَ الخَطْـــوَ فيهـــا بَاعِـــدُ الأَبَـــدِ
فهـــم رَهَـــائنُ غُـــدْرَانٍ وأَوْدِيَـــةٍ ... وفي الشَّـــوامِخِ تَلْقَـــاهُم مـــع العَـــدَدِ

الباب الثاني

في رجال الصُّوفِيَّة

ممَّن نطق بعلومهم، وعبَّر عن مَوَاجيدهم، ونَشَرَ مقاماتهم ووَصَفَ أحوالهم قولًا وفعلًا بعد الصَّحابة رضوان الله عليهم:

عليُّ بن الحسنين زين العابدين، وابنه محمَّد بن عليٍّ الباقِر، وابنه جعفر بن محمَّدٍ الصَّادق رضي الله عنهم بعد عليٍّ، والحسن، والحسين رضي الله عنهم، وأُوَيسٌ القَرَنيّ، وهَرِم بن حيَّان، والحسن بن أبي الحسن البصريُّ، وأبو حازمٍ سلمة بن دينار المدينيُّ، ومالك بن دينارٍ، وعبدالواحد بن زيدٍ، وعُتْبة الغُلام، وإبراهيم بن أدهم، والفُضَيْل بن عِياضٍ، وابنه عليُّ ابن الفُضَيل، وداود الطَّائيُّ، وسفيان بن سعيد الثوريُّ، وسفيان بن عُيَيْنة، وأبو سليمان الدَّارانيُّ، وابنه سليمان، وأحمد بن الحواريِّ الدمشقيُّ، وأبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصريُّ، وأخوه ذو الكِفْل، والسَّريُّ ابن المُغَلِّس السَّقَطِيُّ، وبشر بن الحارث الحافي، ومعروفٌ الكَرْخي، وأبو حذيفة المرعشيُّ، ومحمَّد بن المبارك الصُّوريُّ، ويوسف بن أَسْباط، رحمهم الله.

ومن أهل خُرَاسان والجبل: أبو يزيد طَيْفُور بن عيسى البِسْطَاميُّ، وأبو حفصٍ الحدَّاد النَّيسابوريُّ، وأحمد بن خَضْرَوَيْه البَلْخِيُّ، وسَهْلُ بن عبدالله التُّسْتَرِيُّ، ويوسف بن الحسين الرازيُّ، وأبو بكر بن طاهر الأَبْهَريُّ، وعليُّ بن سَهْل بن الأزهر الأصفهانيُّ، وعليُّ بن محمَّدٍ البارزيُّ، وأبو بكرٍ الكَنَانيُّ الدِّينَوَرِيُّ، وأبو محمَّد بن الحسن بن محمَّد الرحانيُّ، والعباس بن الفضل بن قُتيبة بن منصور الدِّينَوَرِيُّ، وكَهْمَسُ بن عليٍّ الهمدانيُّ، والحسن بن علي بن يَزْدَانِيار، رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الثالث

فيمن نشَرَ عُلومَ الإشارة كُتُبًا ورسائل

أبو القاسم الجنيد بن محمَّد بن الجنيد البغداديُّ، وأبو الحسين أحمد بن محمَّد بن عبدالصَّمد النوريُّ، وأبو سعيدٍ أحمد بن عيسى الخرَّاز -ويقال له: لسان التصوف-، وأبو محمَّد رُوَيم بن محمَّدٍ، وأبو العبَّاس أحمد بن عطاء البغداديُّ، وأبو عبدالله عمرو بن عثمان المكيُّ، وأبو يعقوب يوسف بن حَمْدَان السُّوسيُّ، وأبو يعقوب إسحاق بن محمَّد بن أيُّوب النَّهْرَجُوريُّ، وأبو محمَّد الحسن بن محمَّدٍ الجُرَيْرِيُّ، وأبو عبدالله محمَّد بن علي الكتَّانيُّ، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخوَّاص، وأبو عليٍّ الأوراجيُّ، وأبو بكرٍ محمَّد بن موسى الواسطيُّ، وأبو عبدالله الهاشميُّ، وأبو عبدالله هيكل القرشيُّ، وأبو علي الرُّوذَباريُّ، وأبو بكرٍ القحطيُّ، وأبو بكرٍ الشِّبْليُّ وهو دُلَف بن جَحْدر رضوان الله عليهم أجمعين.

الباب الرابع
فيمن صَنَّفَ في المُعاملات

أبو محمَّدٍ عبدالله بن محمَّدٍ، وأبو عبدالله أحمد بن عاصم الأنطاكيان، وعبدالله بن خُبيقٍ الأنطاكيُّ، والحارث بن أَسَدٍ المُحاسِبيُّ، ويحيى بن مُعاذٍ الرَّازيُّ، وأبو بكرٍ محمَّد بن عمر ابن الفضل الوَرَّاق الترمذيُّ، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرَّازيُّ، وأبو عبدالله محمَّد بن عليٍّ الترمذيُّ، وأبو عبدالله محمَّد بن الفضل البَلْخِيُّ، وأبو علي الجُوزَجَانيُّ، وأبو القاسم ابن إسحاق بن محمَّدٍ الحكيم السَّمَرْقَنديُّ.

وهؤلاء هم الأعلام المذكورون المشهورون، المشهود لهم بالفضل، الذين جمعوا علوم المواريث إلى علوم الاكتساب.

سمعوا الحديث، وجمعوا الفقه والكلام واللغة وعلم القرآن، تشهد بذلك كتبهم ومُصنَّفاتهم.

ولم نذكر المتأخِّرين وأهل العصر، وإن لم يكونوا بدون من ذكرنا علمًا؛ لأنَّ الشُّهود يُغني عن الخبر عنهم، وبالله التوفيق.

الباب الخامس

شَرْح قولهم في التَّوحيد

اجتمعت الصوفية على أنَّ الله واحدٌ أحدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، قديمٌ عالمٌ، قادرٌ حيٌّ، سميعٌ بصيرٌ، عزيزٌ عظيمٌ، جليلٌ كبيرٌ، جوادٌ رؤوفٌ، مُتكبِّرٌ جبَّارٌ، باقٍ أوَّلٌ، إلهٌ سيِّدٌ، مالكٌ ربٌّ، رحمنٌ رحيمٌ، مُريدٌ حكيمٌ، مُتكلِّمٌ، خالقٌ رزَّاقٌ.

موصوفٌ بكلِّ ما وصف به نفسه من صفاته، مُسمَّى بكلِّ ما سَمَّى به نفسه، لم يزل قديمًا بأسمائه وصفاته.

غير مُشبهٍ للخَلْق بوجهٍ من الوجوه، لا تُشْبه ذاته الذَّوات، ولا صفته الصِّفات، لا يجري عليه شيءٌ من سمات المخلوقين الدَّالَّة على حَدَثِهم.

لم يزل سابقًا متقدِّمًا للمُحدَثات، موجودًا قبل كلِّ شيءٍ، لا قديم غيره ولا إله سِواه.

ليس بجسمٍ، ولا شبحٍ، ولا صورةٍ، ولا شخصٍ، ولا جوهرٍ، ولا عَرَضٍ، لا اجتماع له ولا افتراق، لا يتحرَّك ولا يَسْكُن، ولا يَنقُص ولا يَزداد، ليس بذي أبعاضٍ ولا أجزاءَ، ولا جوارحَ ولا أعضاءَ، ولا بذي جهاتٍ ولا أماكنَ، لا تجري عليه الآفات، ولا تأخذه السِّناتُ، ولا تَداوله الأوقات، ولا تُعَيِّنه الإشارات، لا يحويه مكانٌ، ولا يجري عليه زمانٌ، لا تجوز عليه المُماسَّة ولا العزلة، ولا الحُلول في الأماكن، لا تُحيط به الأفكار، ولا تَحجُبُه الأستار، ولا تُدركه الأبصار.

وقال بعض الكبراء في كلام له: لم يسبقه قبل، ولا يقطعه بعد، ولا يُصادره مِنْ، ولا يوافقه عَنْ، ولا يُلاصقه إلى، ولا يَحُلُّه في، ولا يوقفه إذ، ولا يؤامره إن، ولا يُظلُّه فوق،

ولا يُقلُّه تحت، ولا يقابله حذاء، ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خَلْف، ولا يحدُّه أمام، ولا يُظْهِره قبل، ولا يفنيه بعد، ولا يجمعه كل، ولا يُوجِده كان، ولا يفقده ليس، ولا يستره خفاء، تقدَّم الحدث قِدَمُه، والعَدَمَ وجودُهُ، والغاية أزله.

إن قلت: متى؛ فقد سبق الوقت كونُه.

وإن قلت قبل؛ فالقبل بعده.

وإن قلت هو؛ فالهاء والواو خَلْقُه.

وإن قلت كيف؛ فقد احتجب عن الوصف بالكيفيَّة ذاتُه.

وإن قلت أين؛ فقد تقدَّم المكان وجوده.

وإن قلت ما هو؛ فقد باين الأشياء هُوِيَّته.

لا يجتمع صفتان لغيره في وقتٍ، ولا يكون بهما على التضاد؛ فهو باطنٌ في ظهوره، ظاهرٌ في استتاره، فهو الظَّاهر الباطن، القريب البعيد، امتناعًا بذلك من الخلق أن يُشبهوه.

فِعْلُه من غير مُباشرةٍ، وتَفْهيمه من غير ملاقاةٍ، وهدايته من غير إيماءٍ، لا تُنازعه الهمم، ولا تُخالطه الأفكار، ليس لذاته تكييف، ولا لفعله تكليف».

وأجمعوا على: أنه لا تُدركه العيون، ولا تهجم عليه الظُّنون، ولا تتغيَّر صفاته، ولا تتبدَّل أسماؤه. لم يزل كذلك، ولا يزال كذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ، ليس كمثله شيءٌ وهو السَّميع البصير.

الباب السَّادس

شَـرْحُ قَوْلهم في الصِّفات

أجمعوا على أنَّ لله صفاتٍ على الحقيقة هو بها موصوفٌ: من العلم، والقُدْرة، والقوَّة، والعزِّ، والحلم، والحكمة، والكِبْرياء، والجَبَروت، والقِدَم، والحياة، والإرادة، والمشيئة، والكلام.

وأنها ليست بأجسامٍ، ولا أعراضٍ، ولا جواهرَ، كما أنَّ ذاته ليس بجسمٍ ولا عَرَضٍ ولا جوهرٍ.

وأنَّ له سمعًا، وبصرًا، ووجهًا، ويدًا، على الحقيقة، ليس كالأسماع والأبصار والأيدي والوجوه.

وأجمعوا أنها صفاتٌ لله وليست بجوارح، ولا أعضاء ولا أجزاء.

وأجمعوا أنها ليست هي هو ولا غيره، وليس معنى إثباتها أنه محتاجٌ إليها، وأنه يفعل الأشياء بها، ولكن معناها: نفي أضدادها وإثباتها في أنفسها، وأنها قائماتٌ به.

ليس معنى العلم نفي الجهل فقط، ولا معنى القوة نفي العجز، ولكن إثبات العلم والقدرة؛ ولو كان بنفي الجهل عالمًا، وبنفي العجز قويًّا، لكان الموات بنفي الجهل والعجز عنه عالمًا وقادرًا. وكذلك جميع الصفات.

وليس وصْفُنا له بهذه الصِّفات صفةً له، بل وصْفُنا صِفَتُنا، وحكاية عن صفةٍ قائمةٍ به، ومن جعل صِفَةَ الله وَصْفَهُ له من غير أن يُثبت لله صفةً على الحقيقة فهو كاذبٌ عليه في الحقيقة، وذاكرٌ له بغير وَصْفِهِ، وليس هذا كالذكر فيكون مذكورًا بذكر في غيره؛ لأنَّ الذكر صفة الذاكر وليس بصفة للمذكور، والمذكور مذكورٌ بذكر الذَّاكر والموصوف

ليس بموصوفٍ بوَصْفِ الواصف، ولو كان وَصْفُ الواصف صفةً له لكانت أوصاف المشركين والكَفَرة صفاتٍ له، كنحو الزوجة والولد والأنداد! وقد نَزَّه الله تعالى نفسه عن وَصْفِهم له فقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فهو جلَّ وعزَّ موصوفٌ بصفةٍ قائمةٍ به، ليست ببائنةً عنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦]، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر: ١١]، وقال: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأجمعوا أنها لا تَتغاير ولا تَتماثل، وليس عِلْمُه قدرتَه ولا غير قدرتِه، وكذلك جميع صفاته: من السَّمع والبصر والوجه واليد، ليس سَمْعُه بصرَه ولا غير بصره، كما أنه ليس هي هو ولا غيره.

واختلفوا في الإتيان والمجيء والنزول: فقال الجمهور منهم: إنها صفاتٌ له كما يليق به، ولا يُعبَّر عنها بأكثر من التلاوة والرِّواية، ويجب الإيمان بها، ولا يجب البحث عنها.

وقال محمَّد بن موسى الواسطيُّ: «كما أنَّ ذاته غير مَعْلولةٍ، كذلك صفاته غير معلولة، وإظهار الصَّمدية إياسٌ عن المطالعة على شيءٍ من حقائق الصِّفات، أو لطائف الذَّات».

وأوَّلها بعضهم فقال: «معنى الإتيان منه: إيصاله ما يريد إليه، ونزوله إلى الشيء: إقباله عليه، وقُرْبُه: كرامته، وبُعْدُه: إهانته، وعلى هذا جميع هذه الصِّفات المتشابهة».

الباب السَّابع
اختلافهم في أنه لم يزلْ خالقًا

واختلفوا في أنه لم يزلْ خالقًا فقال الجمهور منهم، والأكثرون من القدماء منهم، والكبار: إنه لا يجوز أن يَحدُثَ لله تعالى صفةٌ لم يستحقَّها فيما لم يزل، وإنه لم يستحق اسم الخالق لخلقه الخَلْق، ولا لإحداث البرايا استحقَّ اسم البارئ، ولا بتصوير الصُّور استحقَّ اسم المُصوِّر؛ ولو كان كذلك لكان ناقصًا فيما لم يزل وتَمَّ بالخَلْق! تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

وقالوا: إنَّ الله تعالى لم يزل خالقًا بارئًا مُصوِّرًا غفورًا رحيمًا شكورًا، وكذلك جميع صفاته التي وَصَفَ بها نفسه: يوصف بها كلها في الأزل، كما يوصف بالعلم والقدرة والعزِّ والكبرياء والقوَّة، كذلك يوصف بالتكوين والتصوير والتخليق والإرادة والكرم والغُفران والشُّكر.

ولا يُفرِّقون بين صفةٍ هي فعلٌ، وبين صفةٍ لا يقال إنها فعلٌ، نحو العظمة والجلال والعلم والقدرة.

وكذلك: إنه لما ثبت أنه سميعٌ بصيرٌ قادرٌ خالقٌ بارئٌ مُصوِّرٌ، وأنه مَدْحٌ له، فلو استوجب ذلك بالخَلْق والمُصوَّر والمُبرَأ لكان مُحتاجًا إلى الخَلْقِ، والحاجة أمارة الحدث.

وأخرى: أنَّ ذلك يوجب التغيُّر والزوال من حالٍ إلى حالٍ، فيكون غير خالقٍ ثُمَّ يكون خالقًا، وغير مريدٍ ثُمَّ يكون مريدًا، وذلك نحو الأفول الذي انتفى منه خليله إبراهيم عليه السَّلام بقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦].

والخَلْق والتكوين والفعل صفاتٌ لله تعالى، وهو بها في الأزل موصوفٌ، والفعل غير المفعول.

وكذلك التَّخْليق والتَّكْوين؛ ولو كانا جميعًا واحدًا لكان كون المكوِّنات بأنفسها؛ لأنه لم يكن من الله إليها معنى سوى أنها لم تكن فكانت.

ومنع بعضهم من أن يكون فيما لم يزل خالقًا، وقال: إنه يوجب كون الخلق معه في القِدَم.

وأجمعوا أنه لم يزل مالكًا إلهًا ربًّا ولا مربوبٌ ولا مملوكٌ، وكذلك يجوز أن يكون خالقًا بارئًا مُصوِّرًا ولا مَخلوق ولا مَبْروء ولا مُصوَّر.

الباب الثامن

اختلافهم في الأسماء

واختَلَفوا في الأسماء فقال بعضهم: أسماء الله ليست هي الله ولا غيره، كما قالوا في الصِّفات.

وقال بعضهم: أسماء الله هي الله.

الباب التاسع
قَوْلهم في القُرآن

أجمعوا أنَّ القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة، وأنه ليس بمخلوقٍ، ولا مُحدَثٍ، ولا حَدَثٍ، وأنه متلوٌّ بألسنتنا، مكتوبٌ في مصاحفنا، محفوظٌ في صدورنا، غير حالٍّ فيها، كما أنَّ الله تعالى معلومٌ بقلوبنا مذكورٌ بألسنتنا معبودٌ في مساجدنا غير حالٍّ فيها.

وأجمعوا أنه ليس بجسمٍ، ولا جوهرٍ، ولا عَرَضٍ.

الباب العاشر

واختَلَفوا في الكَلام ما هو؟

فقال الأكثرون منهم: كلام الله: صفة الله لذاته لم يزل، وإنه لا يُشْبه كلام المخلوقين بوجهٍ من الوجوه، وليست له مائية؛ كما أنَّ ذاته ليست لها مائية إلَّا من جهة الإثبات.

وقال بعضهم: كلام الله: أمرٌ ونهيٌ، وخبرٌ، ووعدٌ ووعيدٌ، وقصصٌ وأمثالٌ، والله تعالى لم يزل آمرًا ناهيًا مُخبرًا واعدًا مُوعدًا حامدًا ذامًّا: إذا خُلِقْتُم وبلغتْ عقولكم فافعلوا كذا، وأنتم مذمومون على معاصيكم مُثابون على طاعتكم إذا خُلِقْتُم، كما أنَّا مأمورون مُخاطبون بما نزل من القرآن على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم نُخلق بعد ولم نكن موجودين.

وأجمع الجمهور منهم على أنَّ كلام الله تعالى: ليس بحروفٍ ولا صوتٍ ولا هجاء، بل الحروف والصَّوت والهجاء دلالاتٌ على الكلام.

وأنها لذوي الآلات والجوارح -التي هي: اللَّهَوات، والشفاه، والألسنة- والله تعالى ليس بذي جارحةٍ، ولا مُحتاجٌ إلى آلةٍ، فليس كلامه بحروفٍ ولا صوتٍ.

وقال بعض كبرائهم في الكلام له: من تكلَّم بالحروف فهو معلولٌ، ومن كان كلامه باعتقابٍ فهو مضطرٌّ.

وقالت طائفة منهم: كلام الله حروف وصوت! وزعموا أنه لا يُعرف كلامه إلَّا كذلك، مع إقرارهم أنه صفةٌ الله تعالى في ذاته غير مخلوقٍ! وهذا قول حارث المحاسبي، ومن المتأخِّرين ابن سالمٍ.

والأصل في هذا: أنه لما ثبت أنَّ الله تعالى قديمٌ، وأنه غير مُشبهٍ للخلق من جميع الوجوه، كذلك صفاته لا تُشبه صفات المخلوقين، فلا يكون كلامه حروفًا وصوتًا ككلام المخلوقين.

ولما أثبت الله لنفسه كلامًا بقوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبه: ٦]، وجب أن يكون موصوفًا به لم يزل؛ لأنه لو لم يكن موصوفًا به فيما لم يزل، لكان كلامه كلام المُحْدَثين، ولكان في الأزل موصوفًا بضدِّه مِن سكونٍ أو آفةٍ.

ولما ثبت أنه غير مُتغيِّرٍ، وأنَّ ذاته ليست بمحلٍّ للحوادث، وجب أن لا يكون ساكتًا ثُمَّ صار مُتكلِّمًا، فإذا ثبت كلامه وثبت أنه ليس بمُحدَثٍ وجب الإقرار به.

ولَمَّا لم يثبُت أنه حروفٌ وصوتٌ، وجب الإمساك عنه.

ثُمَّ القرآن ينصرف في اللغة على وجوهٍ، منها: مصدر القراءة، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، أي: قراءته، والحروف المعجمة في المصاحف: تُسمَّى قرآنًا؛ قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدوِّ**».[1]

---

(١) حديث: «**لا تُسافروا بالقرآن إلى أرض العدوِّ**».

مالكٌ في "المُوطَّأ"، ومِنْ طريقه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، وابنُ ماجَه، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمر قال: «نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدوِّ».

ويُسمَّى كلام الله: قرآنًا.

فكلُّ قرآنٍ سوى كلام الله فمُحدَثٌ مخلوقٌ، والقرآن الذي هو كلام الله فغير مُحدَثٍ ولا مخلوقٍ.

والقرآن إذا أُرسل وأُطلق لم يُفهم منه غير كلام الله تعالى، فهو إذًا غير مخلوقٍ.

والوقف فيه لأحد أمرين: إمَّا أن يقف فيه وهو يصفه بصفة المُحدَث والمخلوق، فهو عنده مخلوقٌ، ووقوفه تَقِيَّةٌ.

أو يقف وهو منطوٍ على أنه صفةٌ لله في ذاته، فلا معنى لوقوفه عن عبارة الخلق والنطق به، اللهمَّ إلَّا أن ينطوي على أنه صفةٌ لله، وصفات الله غير مخلوقةٍ، ولم يُمتحن بنافٍ يجب عليه إثباته فيقول: القرآن كلام الله، ويسكت؛ إذ لم يأت بغير مخلوقٍ رواية، ولا تُلِيَتْ به آيةٌ، فهو عند ذلك مصيبٌ.

قال مالكٌ: «مَخافة أن يناله العدوُّ».

ورواه مسلمٌ، وابن ماجه من طريق اللَّيث، عن نافعٍ، عن ابن عُمرَ عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّه كان ينهى أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدوِّ مخافة أن يناله العدوُّ».

ورواه مسلمٌ من طريق أيُّوب، عن نافعٍ، عن ابن عُمرَ، مرفوعًا بلفظ: «**لا تسافروا بالقرآن فإنِّي لا آمَنُ أنْ ينالَه العدوُّ**».

وقال أيُّوبُ: «قد ناله العدوُّ وخاصَموكم به».

الباب الحادي عشر
قوْلهم في الرُّؤيَة

أجمعوا على أنَّ الله تعالى يُرى بالأبصار في الآخرة، وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين؛ لأنَّ ذلك كرامةٌ من الله تعالى، لقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾[يونس: ٢٦].

وجوَّزوا الرؤية بالعقل، وأوجبوها بالسَّمع؛ وإنما جاز في العقل: لأنه موجودٌ، وكلُّ موجودٍ فجائزٌ رؤيته إذا وضَعَ الله تعالى فينا الرُّؤيَةَ له.

ولو لم تكن الرؤية جائزةً عليه لكان سؤال موسى عليه السَّلام: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] جهلًا وكفرًا!

ولَمَّا علَّق الله تعالى الرؤية بشريطة استقرار الجبل بقوله: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وكان ممكنًا في العقل استقراره لو أقرَّه الله، وجب أن تكون الرؤية المعلَّقة به جائزةً في العقل، مُمكنةً، فإذا ثبت جوازه في العقل، ثُمَّ جاء السَّمع بوجوبه بقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾[يونس: ٢٦]، وجاءت الرواية بأنها الرؤية[1]، وقال النبيُّ صلَّى الله عليه

---

(١) قوله: وجاءت الرواية بأنَّها الرؤية، يعني قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ روَى ذلك مسلمٌ، والترمذيُّ، وابنُ ماجَه(*) مِنْ طريق حمَّاد بنِ سلمة،

(*) وأبو داود الطيالسيُّ، ومِنْ طريقه أبو نعيمٍ في "الحلية" (١/ ١٥٥). (أحمد بن الصِّديق).

عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن عبدِالرحمن بنِ أبِي ليلَى، عن صهيبٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال الترمذيُّ: «هذا حديث إنَّما أسنده حمَّاد بن سلمة ورفعه».

وروى سليمانُ بنُ المغيرة، وحمَّادُ بنُ زيدٍ هذا الحديثَ عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن عبدِالرَّحمن بن أبي ليلَى، قوله.

قلتُ: ورواه كذلك عن ثابتٍ، مَعْمَرٌ أيضًا.

فروايةُ سليمانَ بنِ المغيرة: قال ابنُ جريرٍ في "تفسيره": حدَّثني المُثنَّى: ثنا سُوَيدُ بن نصرٍ: أخبرنا ابن المبارك، عن سليمان بن المغيرة، قال: أخبرنا ثابتٌ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قوله: «وزيادة...» فذكره.

وقال ابنُ خُزيمة في "التوحيد": حدَّثنا محمَّدُ بنُ مَعْمَرٍ، ثنا رَوْحٌ، ثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابتٍ به.

وروايةُ حمَّادِ بنِ زيدٍ: قال ابنُ خزيمة في "التوحيد": حدَّثنا أحمدُ بنُ عَبْدَة الضَّبِّيُّ: حدَّثنا حمَّادُ -يعني بن زيدٍ-: ثنا ثابتٌ، عن عبدِالرحمنِ بنِ أبِي ليلَى أنَّه تلَا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فذكره.

وقال أيضًا: حدَّثنا محمَّد بن مَعْمَرٍ: ثنا رَوْحٌ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن ثابتٍ، عن عبدالرحمن ابن أبي ليلى أنَّه تلا الآية، فذكره.

وقال ابنُ جريرٍ في "تفسيره": حدَّثنا ابن بشَّارٍ: ثنا عبدالرحمن: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، به.

ورواه أيضًا مِنْ طريق الحجَّاج ومَعَلَّى، كِلاهما عن حمَّاد بنِ زيدٍ، عن ثابتٍ، عن ابن أَبِي ليلَى.

ورواية مَعْمَرٍ، قال ابنُ خزيمة فى "التوحيد": حدَّثنا محمَّد بن يحيى: ثنا عبدالرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن ثابتٍ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: «الزيادة: النَّظر إلى وجه الله تعالى».

وقال ابن جريرٍ في "تفسيره": حدَّثنا محمَّد بن عبدالأعلى: ثنا محمَّد بن ثورٍ، عن مَعْمَرٍ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: النَّظر إلى وجه الله تعالى».

وقال: حدَّثني الْمُثَنَّى: ثنا سُوَيد بنُ نَصرٍ: ثنا ابنُ المبارك، عن مَعْمَرٍ، وسليمانَ بنِ المغيرة، عن ثابتٍ البُنَانيِّ، عن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: النَّظر إلى وجه ربِّهم».

قلتُ: فيشبِهُ أنْ يكونَ رفْعُ هذا الحديث مِنْ طريق ابنِ أَبِي ليلَى مِنْ وَهْمِ حمَّاد بن سلمة؛ فإنِّي لم أقف على مُتابعٍ له، مع مُخالفة الثقات له في الرفع.

علَى أنَّ ابن المدينيِّ يقول: «لم يكن في أصحاب ثابتٍ أثبت من حمَّاد بن سلمة، ثُمَّ بعده سليمان بن المغيرة، ثُمَّ بعده حمَّاد بن زيدٍ، فغير بعيدٍ أن يكون ثابتٌ أو ابن أبي ليلى حدَّث به تارةً هكذا، وتارةً هكذا».

ومسلمٌ أخرج مِنْ حديث حمَّاد بن سلمة، عن ثابتٍ ما سمع منه قبل تغيُّره؛ كذا قال البيهقيُّ رحمه الله وهذا الحديث مِنْ ذلك؛ لأنَّه في صحيح مسلمٍ.

وقد ورد مثلُ هذا مرفوعًا أيضًا مِنْ حديث كَعْبِ بنِ عُجْرَة، وأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ، وأبِي مُوسَى الأشعريِّ. (*)

فحديثُ كَعْبِ بنِ عُجْرَة: قال ابنُ جريرٍ في "تفسيره": حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ (**): ثنا إبراهيمُ بنُ المختار، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ، عن كَعْبِ بنِ عُجْرَة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله:

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**النَّظرُ إلى وجهِ الرحمن تبارك وتعالى**».

وحديثُ أُبَيِّ بنِ كعبٍ: قال ابنُ جريرٍ أيضًا: حدَّثنا ابنُ البرقيِّ، ثنا عَمرُو بنُ أَبِي سَلمة قال: =

(*) وابنِ عمر، وأنسٍ، وابنِ مسعودٍ، وأبي هريرة؛ وموقوفًا عن أبي بكرٍ، وحذيفة، وابنِ عباسٍ، وابنِ مسعودٍ. (أحمد بن الصديق).

(**) وقال أَبو نُعيم في "الحلية": ثنا عبدُالله بنُ محمدٍ: ثنا ابراهيمُ بنُ معدان، وأحمدُ بنُ جعفر، قالا: ثنا محمدُ بنُ حميدٍ بهِ.

وقال أيضاً في "التاريخ": ثنا أحمدُ بنُ إسحاق: ثنا أحمدُ بنُ شاهين: ثنا المنذرُ بنُ محمدٍ: ثنا محمدُ بنُ حميدٍ بهِ.

وقال في موضعٍ آخر فيه: حدثنا أحمدُ بنُ بندار، ثنا أحمدُ بنُ شاهينَ به.

وقال النَّقاش في "فوائد العراقيين": ثنا أبو بكرٍ الشافعي محمدُ بنُ عبدِالله بنِ إبراهيمَ: ثنا أبو يحيى جعفرُ بنُ محمدِ الزعفرانيُّ: ثنا محمدُ بنُ حُميدٍ بهِ.(أحمد بن الصديق).

= سمعتُ زُهير، عمَّن سمع أبَا العَالِية، قال: ثنا أُبَيُّ بنُ كعْبٍ أنَّه سأل رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قولِ الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**الحُسنَى: الجَنَّة، والزيادة: النَّظرُ إلى وجهِ الله تَعالى**»(*).

وحديثُ أبِي مُوسَى (**): قال ابنُ جريرٍ: حدَّثني يونسُ: أخبرنا ابنُ وهْبٍ: أخبرني شَبيبٌ، عن أَبَان، عن أَبِي تَمِيمة الهُجَيميِّ، أنَّه سمع أبا مُوسَى الأشعَرِيَّ يُحدِّث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذكر حديثًا وفيه: «**الزيادة: النَّظر إلى وجه الرحمن جلَّ جلاله**».

ووَرَدَ في ذلك أيضًا خبرٌ مُعضَلٌ؛ قال ابنُ جريرٍ: حدَّثنا عَمرُو بن عليٍّ، ومحمَّد بن بشَّارٍ، قالا: حدَّثنا عبدُالرحمن بن مهديٍّ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، نُودُوا يا أهلَ الجنَّة إنَّ لكمْ عند الله موعدًا، قالوا: ما هو؟ ألَمْ تُبيِّض وجوهَنا، وتُثْقِل موازينَنا، وتُدخلنا الجنَّةَ وتُنْجِنا مِنَ النَّار؟ فيُكشَف الحجابُ فيتجلَّى لهم، فوالله ما أعطاهم شيئًا أحبَّ إليهم مِنَ النَّظر إليه**». ولفظ الحديث لِعَمرٍو. =

(*) ورواه ابنُ مَردَويه مرسلاً فقال: حدثنا عبدُالباقي بنُ قانع، ثنا محمدُ بنُ زكريا بنُ دينارٍ، ثنا قُحْطُبة بنُ غُدانه، ثنا أبو خِلدة، عن أَبِي العالية، به. ورواه أيضاً مِن طريق زهيرٍ، عن أَبِي حفص، عن أبي العالية./ (أحمد بن الصديق).

(**) قال الدِّينوري في "المجالسة": ثنا ابراهيمُ بنُ نَصرٍ النَّهاونديُّ، ثنا نُعَيمُ بنُ حماد، ثنا ابنُ المبارك، ثنا أبو بكرٍ الهُذَليُّ، ثنا أبو تَميمة الهُجَيميُّ به مطوَّلاً. (أحمد بن الصديق).

وآله وسلَّم: «**انَّكُم سَتَرون ربَّكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدر لا تُضامون في رؤيته**»[1]، والأخبار في هذا مشهورة متواترة، **وجَبَ القول به، والإيمان والتصديق له.**

= وَوَرَدَ عن جماعةٍ من الصَّحابة والتابعين، تفسيرُ الزِّيادة بالنَّظر إلى الله تعالى. وذِكرُ أسانيد ذلك فيه طولٌ، وفيما ذكرناه كفايةٌ. (*)

(١)- حديث: «**انَّكُم سَتَرون ربَّكم كما ترون القمرَ ليلةَ البدر لا تُضامون في رؤيته**».

البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه، وابن خزيمة في "التوحيد"، من طريق إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن قيس بن أبي حازمٍ، عن جريرٍ، قال: كنَّا جلوسًا عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: «**إنَّكم ستَرون ربَّكم كما تَرَون هذا القمرَ لا تُضامون فى رؤيته...**» **الحديث.**

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ، مِنْ طريق ابنِ شِهابٍ، عن عَطاء بنِ يزيدِ الليثيِّ، عن أبي هريرة أنَّ النَّاس قالوا: يا رسول الله، هل نرَى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله=

(*) وحديثُ ابنِ عُمر: رواه ابنُ مَردَوَيه مِنْ طريق الهيثمِ بنِ جميلٍ، ثنا أبو معشر، عن نافع، عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به.

وحديثُ أَنَس: قال المهرواني في "المهروانيات" التي خرَّجها له الخطيبُ، أخبرنا أبو عمر.. إلخ (ص١٦) مِنْ أصله المخطوط.

ورواه أيضًا ابنُ مَردويه مِنْ طريق نُوحِ بنِ أبي مريم أيضًا. وانظر: "الأمم" للكوراني (ص ٦٠).

وحديث ابنِ مسعودٍ: قال الدِّينوري في "المجالَسة": ويحتاج البحثُ عن موضعِه فيها إلى طولٍ، لأنه مقَـيَّدٌ عندي بصحيفة (٤٣٧) مِنَ النسخة الأولى التي ضاعت لنا، وهي مخالِفة للتي عندي. (أحمد بن الصديق).

=وسلَّم «**هل تُضارون في القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سَحَابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فإنَّكم ترونه كذلك...**» الحديث.

ورواه أبو داود من طريق سفيان، عن سُهيل بن أبي صالحٍ.

والترمذيُّ مِنْ طريق جابرِ بنِ نوحٍ الحِمَّانيِّ، عن الأعمش.

وابنُ ماجه مِنْ طريق محمَّدِ بنِ عيسى الرمليِّ، عن الأعمش؛ كِلاهُما عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة: «**أتُضامون في رؤية القمر ليلة البدر، وتضامون في رؤية الشمس؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنَّكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضامون في رؤيته**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وهكذا روى يَحْيى بنُ عيسى الرمليُّ، وغير واحدٍ عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

ورَوَى عبدُالله بنُ إدريسَ، عن الأعمش، عن أبى صالحٍ، عن أبي سعيدٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وحديثُ ابنِ إدريس، عن الأعمش غيرُ محفوظٍ. وحديثُ أَبِي صالِحٍ، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحُّ. وهكذا رواه سُهيلُ بنُ أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقد رُوِيَ عن أبي سعيدٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِنْ غير هذا الوجة مثل هذا الحديث، وهو حديثٌ صحيحٌ.

ورواه الترمذيُّ من طريق العلاء بنِ عبدِالرحمن، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَجْمعُ اللهُ النَّاسَ يومَ القيامة في صعيدٍ واحدٍ...**». وذكر حديثًا

طويلاً فيه: قالوا وهل نراه يا رسولَ الله؟ قال: «**وهل تُضارون في رؤية القمر ليلةَ البدرِ؟ قالوا: لا يا رسولَ الله. قال: فانكم لا تُضارونَ في رؤيتِه تِلكَ السَّاعة...**» الحديـث.

قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ».

ورواه الترمذيُّ أيضًا من طريق عبدِالحميدِ بنِ حَبيب بنِ أَبِي العِشْرين: حدثنا الأوزاعي: حدَّثنا حسَّان بن عطيَّة، عن سعيدِ بنِ المسيَّب أنَّه لَقِيَ أبا هريرة، فقال أبو هريرة: أسألُ اللهَ أَنْ يَجْمعَ بيني وبينَكَ في سُوقِ الجنَّة.. وذكر حديثاً طويلاً، وفيه: قال أبو هريرة: يا رسـول الله وهل نرى ربَّـنا؟ قال: «**نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟**» قلنا: لا، قال: «**كذلك لا تُمارون في رؤية ربِّـكم**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا مِنْ هذا الوجه، وقد روَى سُوَيدُ بنُ عَمرٍو عنِ الأوزاعيِّ شيئًا من هذا الحديث».

ورواه البخاريُّ من طريق سعيد بن أبي هلالٍ، عن زيدٍ -هوابن أسلَم- عن عطاء بنِ يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قلنا: يا رسول الله هل نَرَى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تُضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوًا؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنَّكم لا تُضارون في رؤية ربِّكم يومئذٍ إلَّا كما تُضارون في رؤيتهما...**» **الحديث.**

ورواه مسلمٌ من طريق حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ ناسًا في زمن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قالوا: يا رسول الله هل نَرَى ربَّنا يوم القيامة؟ قال رسول الله: «**نعم، هل تُضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سَحَابٌ؟ وهل تُضارون في رؤية القمر ليلة البدرصحوًا ليس فيها سَحَابٌ؟**» قالوا:

وما تأوّلت النافية لها فمستحيلٌ، كقولهم في ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]: أي: إلى ثواب ربِّها ناظرةٌ؛ لأنَّ ثواب الله غير الله.

وقولهم في ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: سؤال آيةٍ؛ فإنه قد أراه آياته.

وقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: أنه كما لا تُدركه الأبصار في الدنيا، كذلك في الآخرة؛ وإنما نفى الله تعالى الإدراك بالأبصار؛ لأنَّ الإدراك يوجب

لا يارسول الله قال: «**ما تُضامون في رؤية الله تبارك وتعالي يوم القيامة إلَّا كما تُضارون في رؤية أحدهما...**» الحديث.

ورواه أيضًا من طريق هشامِ بنِ سعدٍ، عن زيدِ بنِ أسلم نحو حديث حفص بنِ ميسرة إلى آخره، وقد زاد ونقص شيئًا.

ورواه الترمذيُّ من طريق مالك بن أنسٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ مرفوعًا مختصَرًا، ولم يَذكر فيه الرُّؤية.

ورواه أبو داود الطيالِسي، وأبو داود صاحب "السنن"،وابنُ ماجه من طريق يَعْلَى بنِ عطاءٍ، عن وكيع بن حُدُسٍ، عن عمِّه أبِي رَزِينٍ قال: قلتُ: يا رسول الله أنَرَى اللهَ يومَ القيامة؟ وما آية ذلك في خلقِه؟ قال: «**يا أبا رَزِينٍ أليس كلُّكُم يَرى القمرَ مُخليًا به؟**» قال: قلت: بلى، قال: «**فاللهُ أعظمُ، وذلك آيةُ الله في خلقِه**». وهذا لفظ ابنِ ماجه.(*)

(*) والحديث متواترٌ كما نَصَّ عليه جماعةٌ منهم ابنُ كثيرٍ في سورة المطفِّفين (٩/ ٤٤). (أحمد بن الصديق).

كيفيَّةً وإحاطةً، فنفى ما يوجب الكيفيَّة والإحاطة دون الرؤية التي ليست فيها كيفيةٌ وإحاطةٌ.

وأجمعوا أنه لا يُرى في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان؛ لأنه غاية الكرامة، وأفضل النِّعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلَّا في أفضل المكان، ولو أُعطوا في الدنيا أفضل النِّعم، لم يكن بين الدنيا الفانية والجنَّة الباقية فرقٌ، ولمَّا مَنع الله سبحانه كليمه موسى عليه السَّلام ذلك في الدنيا، كان من هو دونه أَحْرى.

وأُخرى: أنَّ الدنيا دار فناءٍ، ولا يجوز أن يُرى الباقي في الدار الفانية، ولو رأوه في الدنيا لكان الإيمان به ضرورةً.

والجملة أنَّ الله تعالى أخبر أنها تكون في الآخرة، ولم يُخبر أنها تكون في الدنيا، فوجب الانتهاء إلى ما أخبر الله تعالى.

الباب الثاني عشر

اختلاف قولهم في رُؤيَة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

واختلفوا في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: هل رأى ربَّه ليلة المسرى؟

فقال الجمهور منهم والكبار: إنه لم يره محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببصره، ولا أحدٌ من الخلائق في الدنيا؛ على ما رُوى عن عائشة أنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه فقد كَذَب»[1]، منهم: الجنيد، والنوريُّ، وأبو سعيدٍ الخرَّاز.

---

(١) قوله: رُوي عن عائشة أنَّها قالت: «مَنْ زعم أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه فقد كَذَب».

البخاريُّ في "صحيحه" مِنْ طريق إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن عامرٍ، عن مسروقٍ، قال: قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمَّتاه هل رأى محمَّدٌ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ربَّه؟ فقالت: لقد قَفَّ شَعْري ممَّا قلتَ، أين أنت مِنْ ثلاثٍ مَنْ حدَّثكهنَّ فقد كَذَب، مَنْ حدَّثك أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم رأى ربَّه فقد كَذَب، ثُمَّ قرأتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق داود -هو ابن هِنْدٍ- عن الشَّعبيِّ، عن مسروقٍ، قال: كنت متَّكئًا عند عائشة فقالت: يا أبا عائشة ثلاثٌ من تكلَّم بواحدةٍ منهنَّ فقد أَعْظَمَ على الله الفِرْية، قال: قلتُ: ما هنَّ، قالت: من زعم أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفِرْية...» الحديث.

ورواه الترمذيُّ من طريق مُجَالدٍ، عن الشَّعبيِّ، قال: لَقِيَ ابنُ عبَّاسٍ كَعبًا بِعَرفَة، فسأله عن شيءٍ، فكبَّر حتَّى جاوبَتْهُ الجبالُ. فقال ابنُ عبَّاسٍ: إنَّا بنو هاشم، فقال كعبٌ: إنَّ الله قَسَم رؤيته وكلامه بين محمَّدٍ وموسى فكلَّم موسى مرَّتين ورآه محمَّدٌ مَرَّتين.

وقال بعضهم: رآه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة المَسْرَى، وإنه خُصَّ من بين الخلائق بالرؤية كما خُصَّ موسى عليه السَّلام بالكلام؛ واحتجُّوا بخبر ابن عبَّاسٍ وأسماءَ وأنسٍ (١)، منهم: أبو عبدالله القرشيُّ، والشِّبليُّ، وبعض المتأخِّرين.

قال مسروقٌ: فدخلت على عائشة، فقلت: هل رأى محمَّدٌ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ربَّه؟ فقالت: لقد تكلَّمت بشيءٍ قَفَّ له شَعْري، قلت: رُويدًا، ثُمَّ قرأتُ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨] قالت: أين يُذهب بك؟ إنَّما هو جبريل، مَنْ أخبرك أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه، أو كتم شيئًا ممَّا أُمِرَ به، أو يَعلَمُ الخَمْسَ التي قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، فقد أعظم الفِرْية، ولكنَّه رأى جبريل، لم يَرَه في صورته إلَّا مرَّتين: مرَّةً عند سدرة المنتهى، ومرَّةً في جِياد، له ستُّمائة جَنَاحٍ قدْ سدَّ الأُفُقَ.

قال الترمذيُّ: «وقد روى داودُ بنُ أبي هِندٍ، عن الشَّعبيِّ، عن مسروقٍ، عن عائشة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم نحو هذا الحديث. وحديث داود أقصرُ مِنْ حديث مُجالدٍ».

(١) قوله: واحتجُّوا- أي: القائلون برؤية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم ربَّه -بخَبَرِ ابنِ عبَّاسٍ، وأسماءَ، وأنسٍ رضي الله عنهم.

قلتُ: أمَّا حديث ابنِ عبَّاسٍ: فرواه أحمدُ بسندٍ صحيحٍ عنه مرفوعًا بلفظ: «**رأيت ربِّي عزَّ وجلَّ**».

ورواه مسلمٌ في "صحيحه" مِنْ طريق عطاءٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: «رآه بقلبه».

ورواه مِنْ طريق أَبِي العالية، عن ابن عبَّاسٍ قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآه بفؤاده مرَّتين».

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريق سِماكٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: «رآه بقلبه».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ».

ورواه مِنْ طريق الحَكَمِ بنِ أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، قال: «رأى محمَّدٌ ربَّه»، قلتُ: أليس اللهُ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك! ذلك إذا تجلَّى بنوره الذي هو نوره، وقال: أُرِيَهُ مرَّتين».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه».

ورواه مِنْ طريق محمَّدِ بنِ عمرٍو، عن أبي سلمة، عن ابن عبَّاسٍ في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]، قال ابنُ عبَّاسٍ: «قد رآه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ».

ورواه النَّسائيُّ بسندٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم أيضًا مِنْ طريق عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: «أتعْجَبون أَنْ تَكُونَ الخُلَّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم».

وله طرقٌ أُخرى موقوفةٌ عند ابنِ خزيمة في "التوحيد".

وأمَّا حديثُ أسماءَ: فلم أقف عليه.

وأمَّا حديث أنسٍ: فرواه ابنُ خزيمة في "التوحيد" بسندٍ قويٍّ عنه موقوفاً، قال: «رأى محمَّدٌ ربَّه»(*).

(*) وفي البابِ عن أَبي ذَرٍّ، في مسند أحمد (٥/ ١٧٠). (أحمدُ بنُ الصديق).

وقال بعضهم: رآه بقلبه، ولم يره ببصره؛ واستدلَّ بقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١].

ولا نعلم أحدًا من مشايخ هذه العُصْبة -المعروفين منهم والمتحقِّقين به، ولم نرَ في كتبهم ولا مُصنَّفاتهم ولا رسائلهم، ولا في الحكايات الصحيحة عنهم، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم- زَعَمَ: أنَّ الله تعالى يُرى في الدنيا، أو رآه أحدٌ من الخلق، إلَّا طائفةً لم يُعرفوا بأعيانهم، بل زَعَم بعض الناس: أنَّ قومًا من الصوفية ادَّعوها لأنفسهم.

وقد أطبق المشايخ كلُّهم على تضليل من قال ذلك، وتكذيب من ادَّعاه، وصنَّفوا في ذلك كتبًا، منهم أبو سعيدٍ الخرَّاز، وللجنيد في تكذيب من ادَّعاه وتضليله رسائل وكلام كثير. وزعموا أنَّ من ادَّعى ذلك فلم يعرف الله عزَّ وجلَّ، وهذه كتبهم تشهد على ذلك.

الباب الثالث عشر

قولهم في القَدَرِ وخَلْقِ الأفعالِ

أجمعوا أنَّ الله تعالى خالقٌ لأفعال العباد كلِّها، كما أنه خالقٌ لأعيانهم، وأنَّ كلَّ ما يفعلونه من خيرٍ وشرٍّ فبقضاء الله وقَدَرِه وإرادته ومشيئته؛ ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا ولا مربوبين ولا مخلوقين، وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٥٢] فلما كانت أفعالهم أشياء وجب أن يكون الله خالقها.

ولو كانت الأفعال غير مخلوقةٍ لكان الله جلَّ وعزَّ خالق بعض الأشياء دون جميعها! ولكان قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦] كذبًا! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

ومعلومٌ أنَّ الأفعال أكثر من الأعيان، فلو كان الله تعالى خالق الأعيان، والعباد خالقي الأفعال، لكان الخلق أولى بصفة المدح في الخلق من الله تعالى، ولكان خلق العباد أكثر من خلق الله، ولو كانوا كذلك لكانوا أتمَّ قدرةً من الله تعالى، وأكثر خلقًا منه!

وقد قال الله تعالى: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]. فنفى أن يكون خالقًا غيره.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ﴾ [سبأ: ١٦]. فأخبر أنه قدَّر سَيْرَ العباد.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]، فدلَّ أنَّ مما خلق شرًّا.

وقال: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: خلقنا الغفلة فيه.

وقال: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٣، ١٤]. فأخبر أنَّ قولهم وسرَّهم وجَهْرهم خَلْقٌ له.

قال عمر: يارسول الله أرأيتَ ما نَعملُ فيه أَعَلَى أَمرٍ قد فُرِغَ منه أو أمرٍ مبتدأ؟ فقال: «**على أمرٍ قد فُرِغ منه**»، فقال عمرُ: أفلا نتَّكِلُ؟ فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له**»(١).

---

(١) حديث: قال عمر: يارسول الله أرأيتَ ما نَعملُ فيه أَعَلَى أَمرٍ قد فُرِغَ منه أو أمرٍ مبتدأ؟ فقال: «**على أمرٍ قد فُرِغ منه**»، فقال عمرُ: أفلا نتَّكِلُ؟ فقال: «**اعملوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له**».

الترمذيُّ في "سننه" مِنْ طريق سالم بنِ عُبيدِ الله يُحدِّث عن أبيه، قال: قال عمر: يارسول الله أرأيت ما نَعملُ فيه، أأمرٌ مُبتدَعٌ أو فيما قد فُرِغ منه؟ فقال: «**فيما قد فُرِغ منه يا ابنَ الخطَّاب، وكلٌّ مُيسَّرٌ، أمَّا مَن كانَ مِن أهل السَّعادة فإنَّه يعمل للسَّعادة، وأمَّا مَن كان مِن أهل الشَّقاء فإنَّه يعمل للشَّقاء**».

قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن عليٍّ، وحذيفةَ بنِ أُسَيد، وعِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهم، وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ورواه من طريق عبدِالله بنِ دينارٍ، عن ابنِ عمر، عن عمر بن الخطَّاب، قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقلتُ: يا نبيَّ الله فَعَلَى ما نعملُ، على شيءٍ قد فُرِغ منه، أو على شيءٍ لم يُفْرَغ منه؟ قال: «**بلَى على شيءٍ قد فُرِغ منه، وجرت به الأقلام يا عُمرُ، ولكن كلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلق له**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه؛ لا نعرفه إلَّا من حديث عبدالله بن عمر».

قلتُ: حديثُ عليٍّ عليه السَّلام، رواه البخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، وابن ماجه من طريق الأعمش، عن سعدِ بنِ عُبَيدة، عن أبي عبدِالرحمن السُّلَميِّ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: كنَّا جلوسًا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه عودٌ يَنكُث في الأرض، وقال: « **ما منكم مِنْ أحدٍ إلَّا قد كتب مقعده مِنَ النَّار، أو مِنَ الجنَّة**»، فقال رجلٌ من القوم: ألا نتَّكِل يا رسولَ الله، قال: «**لا، اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ**»، **ثُمَّ قرأ**: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ**﴾ [الليل: ٥] الآية.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود مِنْ طريق منصورِ بنِ المُعتَمِر، عن سعْدِ بنِ عُبَيدة، عن أبي عبدِالرحمن السُّلميِّ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: كنَّا في جنازةٍ في بقيع الغَرْقَد، فأتانا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقعد وقعدنا حوله ومعه مِخْصَرَةٌ فَنكَّسَ فجعل يَنكُث بمِخصرته، ثُمَّ قال: «**ما منكم مِنْ أحدٍ، ما مِنْ نفْسٍ مَنفوسةٍ إلَّا وقد كتب الله مكانها من الجنَّة والنَّار، وإلَّا قد كُتِبَت شقيَّةً، أو سعيدةً**»، قال: فقال رجلٌ: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا ونَدَع العملَ، فقال: «**مَنْ كان مِنْ أهل السَّعادة فسيصير إلى عمل أهل السَّعادة، ومَنْ كان مِنْ أهل الشَّقاوة فسيَصِيرُ إلى عَمَلِ أهل الشَّقاوة**»، فقال: «**اعْمَلُوا فكلٌّ مُيسَّرٌ، أمَّا أهلُ السَّعادةِ فسَيُيَسَّرُونَ لِعمل أهلِ السَّعادة، وأمَّا أهلُ الشَّقاء فسيُيَسَّرونَ لِعملِ أهل الشقاء**»، ثُمَّ قال: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ**﴾ [الليل: ٥- ١٠].

وحديثُ حذيفةَ بنِ أَسيدٍ: رواه مسلمٌ في "صحيحِه" مِنْ طريق سفيانَ بنِ عُيينة، عن عَمرِو بنِ دِينار، عن أبِي الطُّفَيل، عن حُذيفةَ بنِ أَسَيدٍ يَبلغُ به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**يَدخل المَلَكُ على النُّطفة بعد ما تستقرُّ في الرَّحِم بأربعين، أو خمسةٍ وأربعين ليلةً، فيقول:**

يا ربِّ أشقيٌّ، أو سعيدٌ؟ فيكتبان. فيقول: أي ربِّ أذكرٌ أو أنثى؟ فيكتبان، ويُكتب عمله، وأثره، وأجله، ورزقه، ثُمَّ تُطوَى الصُّحف، فلا يُزداد فيها ولا يُنقص».

ورواه مِنْ طريقِ عَمرِو بنِ الحارث، عن أَبِي الزُّبَيرِ المَكِّيِّ، أَنَّ عامرَ بنَ وَاثِلَةَ حدَّثه أَنَّه سَمع عبدَالله بنَ مسعودٍ، يقول: الشَّقِيُّ من شَقِيَ في بطن أُمِّهِ والسَّعيدُ من وُعِظَ بغيره. فأَتَى رجلًا مِنْ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم يقال له: حُذَيفةُ بن أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ، فحدَّثه بذلك مِنْ قولِ ابنِ مسعودٍ، فقال: وكيف يَشْقَى رجلٌ بغير عَمَلٍ؟ فقال له الرَّجُلُ: أَتَعجَبُ مِنْ ذلك؟ فإِنِّي سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يقول: **«إذا مَرَّ بالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وأربعون ليلةً، بَعَثَ الله إليها مَلَكًا، فصَوَّرَها وخَلَقَ سَمْعَهَا وبَصَرَهَا، وجِلْدَها ولَحمَها وعِظَامَها، ثُمَّ قال: يا رَبِّ أذكَرٌ أم أُنثى؟ فيقضي ربُّكَ ما شاء، ويكتبُ المَلَك، ثُمَّ يقول: يا ربِّ، أجلُهُ؟ فيقول ربُّك ما شاء، ويكتبُ المَلَكُ، ثُمَّ يقول: يا ربِّ رِزقُهُ؟ فيقضي ربُّكَ ما شاء، ويكتب المَلَكُ، ثُمَّ يَخرج المَلَكُ بالصَّحِيفَة في يده، فلا يَزِيدُ ولا يَنقُصُ».**

ورواه مِنْ طريق ابن جُرَيجٍ، عن أَبِي الزُّبَيرِ، أَنَّ أَبَا الطُّفَيلِ أخبره أَنَّه سَمِعَ عبدَاللهِ بنَ مسعودٍ يقول: وَسَاقَ الحديث بِمِثْلِ حديثِ عَمرِو بنِ الحارث.

ورواه من طريق زُهَيرٍ، عن عبدِالله بنِ عَطَاءٍ، أَنَّ عِكرمةَ بنَ خالدٍ حدَّثه أَنَّ أبا الطُّفَيل حدَّثه، قال: دَخلتُ على أبي سَرِيحَةَ حُذيفةَ بنِ أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ، فقال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأُذُنَي هاتين، يقول: **«إنَّ النُّطفة تَقَعُ في الرَّحِمِ أربعين ليلة، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عليها المَلَكُ»**، قال زُهَيرٌ: حسبته قال: **«الذي يَخْلُقُهَا»**، فيقول: **«يا رَبِّ أَذَكر أو أنثى؟ فيجعلُهُ الله ذكرًا أو أنثى، ثُمَّ يقول: يا رَبِّ أَسَوِيٌّ أو غير سَوِيٍّ؟ فيجعله الله سَوِيًّا أو غير سَوِيٍّ، ثُمَّ يقول: يا رَبِّ ما رِزقُهُ؟ ما أَجَلُهُ؟ ما خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجعله اللهُ شقيًّا أو سعيدًا».**

ورواه من طريق رَبِيعَة بن كُلْثُوم، عن أبي كُلْثُوم، عن أبي الطُّفَيل، عن حذيفة بن أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ صاحِبِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، رفع الحديث إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**أنَّ مَلَكًا مُوكَّلاً بالرَّحِمِ، إذا أراد الله أن يَخلق شيئًا أذِنَ اللهُ لِبِضْعٍ وأربعين ليلةً**»، ثُمَّ ذَكَرَ نحو حديثهم.

وحديث أنسٍ رضي الله عنه: رواه البخاريُّ، ومسلمٌ في "صحيحيهما" مِنْ طريق حَمَّاد بنِ زيدٍ، عن عُبيدِ الله بنِ أبي بكرٍ، عن أنس بن مالكٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ وَكَّلَ بالرَّحِم مَلَكًا، يقول: يا ربِّ نُطفةٌ، يا ربِّ عَلَقَةٌ، يا رَبِّ مُضغةٌ. فإذا أراد أن يَقضِيَ خَلْقه، قال: أذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أم سعيدٌ؟ فما الرِّزق؟ فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمِّه**».

وحديث عِمْرَانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه: رواه البخاريُّ، ومسلمٌ من طريق شُعبة، حدَّثنا يَزِيدُ الرِّشْكُ قال: سَمعتُ مُطَرِّفَ بنَ عبدِالله بنِ الشِّخِّيرِ يُحَدِّثُ عن عِمْرَانَ بن حُصَينٍ قال: قال رجلٌ يا رسولَ الله أيعرفُ أهل الجنَّة مَنْ أهل النَّار؟ قال: «**نعم**»، قال: فَلِمَ يَعملُ العاملون؟ قال: «**كُلٌّ يَعملُ لِما خُلِقَ له، أو لِمَا يُسِّرَ له**».وهذا لفظ البخاريِّ.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود مِنْ طريق حَمَّاد بن زيدٍ، عن يَزِيدَ الضُّبَعِيِّ، عن مُطَرِّفٍ، عن عِمران بن حُصينٍ، قال: قيل: يا رسول الله أَعُلِمَ أهل الجنَّة مِنْ أهل النَّار؟ قال: فقال: «**نعم**»، قال: فقيل: فَفِيمَ يعمل العاملون؟ قال: «**كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له**».

ورواه مسلمٌ من طريق يَحْيَى بن يَعْمَر، عن أبي الأسود الدِّيلِيِّ، قال: قال لي عِمْرَانُ بن الحُصَيْنِ رضي الله عنه: أرأيتَ ما يعمل النَّاس اليوم ويَكْدَحُونَ فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم وَمَضَى عليهم مِنْ قَدَرِ ما سَبَقَ؟ أو فيما يُستَقبَلون به ممَّا أتاهم به نبيُّهُم، وثبتَتِ الحُجَّةُ عليهم؟ فقلتُ:

سُئل رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرأيت رُقًى نَسْتَرْقِيهَا ودَوَاءً نَتداوَى به، هل يردُّ من قَدَرِ الله؟ قال: «**إنَّه مِنْ قَدَر الله**»[1].

بل شيءٌ قُضِيَ عليهم، وَمَضَى عليهم. قال: فقال: أفلا يكون ظُلْمًا؟ قال: ففَزِعتُ من ذلك فَزَعًا شديدًا. وقلتُ: كلُّ شيء خَلْقُ الله ومِلْكُ يَدِهِ، فلا يُسأَلُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسألون، فقال لي: يرحمك الله إنِّي لم أُرِدْ بما سألتُك إلَّا لأخبر عقلك. إنَّ رجلين مِنْ مُزَينَةَ أتيا رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالا: يا رسولَ الله أرأيتَ ما يَعمل النَّاسُ اليوم، ويَكْدَحُون فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومَضَى فيهم مِنْ قَدَرٍ قد سَبَقَ، أو فيما يُستقبلون به ممَّا أتاهم به نبيُّهُم، وثَبَتَتِ الحُجَّة عليهم؟ فقال: «**لا، بل شيءٌ قُضِيَ عليهم ومَضَى فيهم، وتَصديق ذلك في كتاب الله عَزَّ وجَلَّ:** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨].

قلـتُ: وفي الباب أيضًا عن جماعةٍ(*).

(١) حديث: سُئل رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرأيت رُقًى نَسْتَرْقِيهَا ودَوَاءً نَتداوَى به، هل يردُّ من قَدَرِ الله؟ قال: «**إنَّه مِنْ قَدَر الله**». =

(*) منهم: ابنُ عباس، وجابرُ بنُ عبدِالله، وسعدُ بنُ أَبي وقّاصٍ، وأبو بكرٍ الصدِّيق، وسُراقةُ بنُ مالكٍ، وأبو بكرٍ، وابنُ عمر، وابنُ مسعودٍ، وأبو الدرداء، والبراءُ بنُ عازبٍ، وذُو اللحيةِ الكِلاعيِّ، وأبو هريرة. ولا يتَّسع هذا المقامُ لِذِكرِ أسانيدِها، وهي في مستخرجي على "مسند الشهاب". (أحمد بن الصديق).

= الترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق ابنِ أَبِي عُمر، عن سفيان، عن الزُّهريِّ، عن أبي خِزَامَةَ، عن أبيه قال: سألتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: يا رسول الله أرأيت رُقًى نسترقيها، ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتَّقيها هل تَردُّ من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هي من قَدَر الله**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ وصحيح».

ورواه من طريق سعيد بن عبدالرحمن، حدَّثنا سفيان، عن الزُّهريِّ، عن أبي خِزَامة، عن أبيه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نحوه.

قال الترمذيُّ: «هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، وقد رُوِيَ عن ابنِ عُيَيْنة كلتا الرِّوايتين. وقال بعضهم: عن أبي خِزَامة، عن أبيه. وقال بعضهم: عن ابنِ أبي خِزَامة، عن أبيه. وقال بعضهم: عن ابنِ أبي حِزَامٍ عن أَبيه. قال الترمذي: وقد رَوَى غيرُ ابنِ عُيَيْنة هذا الحديث عن الزُّهريِّ، عن أبي خِزَامة، عن أبيه. وهذا أصحُّ، ولا نعرف لأبي خِزَامة عن أبيه غيرَ هذا الحديث».

ورواه الخرائطيُّ في "مكارم الأخلاق" مِنْ طريق يحيَى بنِ النعمان، حدَّثنا سفيان، عن الزهريِّ، عن ابن أبي خِزَامة، عن أبيه، قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قلت: أرأيت رُقًى نسترقي بها، ودواءً نتداوى به، واتِّقاءً نتَّقيه، أتردُّ مِنْ قدَرِ الله تبارك وتعالى؟ قال: «**هي من قَدَرِ الله**».

ورواه الخرائطيُّ أيضًا مِنْ طريق إبراهيم بن طَهْمان، عن عبَّاد بن إسحاق، عن محمَّد مسلمٍ الزهريِّ، عن أبي خِزَامة، عن أبيه، أنَّه قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ دواءً نتداوى به، ثُمَّ ذكر مثل ذلك.

قال الرماديُّ: يقال ابنُ أبِي خِزَامة، وأبو خِزَامة.

وقال الرماديُّ: عبَّادُ بنُ إسحاق: هو عبدُالرحمن بنُ إسحاق كان له اسمان.

ورواه أيضًا مِنْ طريقِ يُونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، أنَّه قال: حدَّثني أبو خِزَامة أحدُ بَنِي الحارث بنِ سعْدٍ: أنَّ أباه أخبره أنَّه سأل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا ودَوَاءً نَتداوَى به، واتقاءً نتقيه، هل يردُّ مِنْ قَدَرِ الله مِنْ شيءٍ؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه من قَدَرِ الله عَزَّ وجَلَّ**».

ورواه الحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق يزيد بنِ زُرَيعٍ، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن عروة، عن حكيم بن حِزَامٍ، قال: قلت: يا رسول الله رُقًى كنَّا نسترقي بها، وأدويةً كنَّا نتداوى بها، هل تردُّ من قدر الله تعالى؟ قال: «**هي من قَدَر الله**».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ثم لم يُخرجاه».

وقال مسلمٌ في تصنيفه فيما أخطأ فيه مَعمرٌ بالبصرة: «أنَّ معمرًا حدَّث به مرَّتين، فقال مرَّةً عن الزهريِّ، عن ابنِ أَبِي خِزَامة، عن أبيه».

قال الحاكم: «وعندي أنَّ هذا لا يُعَلله؛ فقد تابع صالحُ بنُ أَبِي الأخضر معمرَ بنَ راشدٍ في حديثه عن الزهريِّ، عن عروة. وصالحٌ وإنْ كان في الطبقة الثالثة من أصحاب الزهريِّ فقد يُستشهد بمثله».

وقال ابنُ عبدِالبرِّ في "الاستيعاب" في ترجمة أبي خِزَامة: «ذكره بعضهم في الصحابة بحديث أخطأ فيه رواته عن الزهريِّ، والصواب ما رواه يونسُ بنُ يزيد، وابنُ عُيَينة، وعبدُالرحمنِ بنُ إسحاق، عن الزهريِّ، عن أَبِي خِزامة - أحدِ بنِي الحارث بنِ سعْدٍ - عن أبيه، ثُمَّ ذكر الحديث.

وأبو خزامة هذا، مِنَ التابعين لا من الصحابة، على أنَّ حديثَه هذا مختلفٌ فيه جدًّا».اهـ

وقال ابنُ أَبِي حاتِمٍ في "العِلل": «سألتُ أبي، وأبا زُرعة عن حديثٍ رواه حمَّاد بن سلمة، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن الزهريِّ، عن أبي خزامة، عن رجلٍ من بني سعد بن هُريم،

وقال: «**والله لا يُؤمِن أحدٌ حتى يؤمن بالله، وبالقَدَرِ خيرِه وشرِّه من الله**»[1].

عن أبيه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الدواء: إنَّ لنا أدويةً نتداوى بها. فقال أبي، وأبو زُرعة جميعًا: هذا خطأٌ أخطأ فيه حمَّاد، إنَّما هو الزهريُّ، عن أبي خزامة -أحدِ بنِي سعدٍ- عن أبيه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال أبي: وأخطأ فيه أيضًا سفيانُ بنُ عُيينة؛ فقال: عن الزهريِّ، عن ابنِ أَبِي خزامة، عن أبيه.

قال: وإنَّما هو عن أَبِي خزامة، عن أبيه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» اهـ.

قلتُ: قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ لا نعرفه إلَّا من حديث الزهريِّ، وقد روى غير واحدٍ هذا عن سفيان، عن الزهري، عن أبي خزامة، عن أبيه؛ وهذا أصحُّ. هكذا قال غيرُ واحدٍ: عن الزهريِّ، عن أبي خزامة عن أبيه».اهـ

(١) حديث: «**والله لا يُؤمِن أحدُكم حتى يؤمن بالله، وبالقَدَرِ خيرِه وشرِّه من الله**».

الترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق عبدِالله بنِ ميمون، عن جعفر بنِ محمَّدٍ، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بالقدر خيره وشرِّه، حتى يَعْلَمَ أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه**»

قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن عُبادة، وجابرٍ، وعبدالله بن عمرٍو».

وهذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا من حديث عبدِالله بنِ ميمون. وعبدُالله بنُ ميمون: مُنكَرُ الحديث».

قلتُ: حديثُ عُبادة: رواه أبو داود في "سننه" مِنْ طريقِ إبراهيمَ بنِ أَبِي عَبْلَة، عن أبى حفصة قال: قال عُبادةُ بنُ الصامت: يا بنيَّ إنَّك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله

ولما جاز أن يَخلُقَ الله تعالى العَيْن الذي هو شرٌّ، جاز أن يَخلُقَ الفعل الذي هو شرٌّ.

ومُجمعٌ على أنَّ حركة المُرتعش خَلْقُ الله، فكذلك حركة غيره، غير أنَّ الله تعالى خلق لهذا حركةً واختيارًا، وخلق للآخر حركةً ولم يَخلُق له اختيارًا.

قال أبو بكر الواسطيُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، قال: من ادَّعى شيئًا مِن مُلْكِه -وهو ما سَكَن في الليل والنَّهار، مِن خَطْرةٍ وحركةٍ- أنها له، أو به، أو إليه، أو منه، فقد جَاذَبَ القَبْضة، وأَوْهَنَ العِزَّة».

وسلَّم يقول: «**إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: أُكتبْ. فقال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: أُكتبْ مقادير كلِّ شيءٍ حتَّى تقوم الساعة**». يا بنيَّ، سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من مات على غير هذا فليس مِنِّي**».

ورواه الترمذيُّ في "سننه" مِنْ طريق أبي داود الطيالسيِّ، عن عبدالواحد بن سُلَيمٍ قال: قَدِمتُ مكَّة فلقِيتُ عطاءَ بنَ رباحٍ، فقلت له: يا أبا محمَّدٍ، إنَّ أهل البصرة يقولون في القدر، وذكر حديثًا طويلاً وفيه: قال عطاءٌ: فلقيتُ الوليدَ بنَ عبادةَ بنِ الصَّامت صاحِبِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسألتُه ما كان وصيَّة أبيك عند الموت؟ فقال: دعاني أبي فقال: يا بنيَّ اتَّقِ اللهَ، واعلمْ أنَّك لن تتَّقي الله حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كلِّه خيره وشرِّه. فانْ مُتَّ على غير هذا دخلتَ النَّار، إنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتبْ. فقال: ما أكتبُ؟ قال: اكتبِ القدر ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد**». قال الترمذيُّ: «وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه».

وحديث جابرٍ تقدَّم. وحديث عبدالله بن عمرٍو.

وفي قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]: خَلْقُ إيجادٍ وأمر إطلاقٍ، ما لم يأمر الجوارح أمر إطلاقٍ لم تُوافقه في شيءٍ، كذلك المخالفة.

الباب الرابع عشر
قولهم في الاستِطاعةِ

أجمعوا أنهم لا يتنفَّسون نفَسًا، ولا يَطْرِفون طَرْفةً، ولا يتحرَّكون حركةً إلَّا بقوَّة يُحدِثُها الله تعالى فيهم، واستطاعةٍ يخلقها الله لهم مع أفعالهم، لا يتقدَّمها ولا يتأخَّر عنها، ولا يوجد الفعل إلَّا بها، ولولا ذلك لكانوا بصفة الله تعالى يفعلون ما شاءوا، ويحكمون ما أرادوا، ولم يكن الله القويُّ القدير بقوله: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] أولى من عبدٍ حقيرٍ ضعيفٍ فقيرٍ.

ولو كانت الاستطاعة هي الأعضاء السَّليمة، لاستوى في الفعل كلُّ ذي أعضاء سليمةٍ، فلمَّا رأينا ذوي أعضاء سليمةٍ ولم نرَ أفعالهم، ثبت أنَّ الاستطاعة ما يَرِدُ من القوة على الأعضاء السَّليمة، وتلك القوة مُتفاضلةٌ في الزيادة والنُّقصان ووقتٌ دون وقتٍ، وهذا يُشاهده كلٌّ مِن نفْسِه.

ثُمَّ لَمَّا كانت القوة عَرَضًا، والعَرَضُ لا يَبْقى بنفْسه ولا ببقاء فيه؛ لأنَّ ما لا يقوم بنفسه ولا يقوم به غيره لا يبقى ببقاءٍ في غيره؛ لأنَّ بقاء غيره ليس ببقاءٍ له، بطل أن يكون له بقاء، وإذا كان كذلك وجب أن تكون قوة كل فعلٍ غير قوة غيره؛ ولولا ذلك لم تكن للخَلْق حاجةٌ إلى الله تعالى عند أفعالهم، ولا كانوا فقراء إليه، ولكان قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] لا معنى له.

ولو كانت القوة قبل الفعل، وهي لا تبقى لوقت الفعل، لكان الفعل بقوةٍ معدومةٍ، ولو كانت كذلك لكان وجود الفعل من غير قوةٍ! وفي ذلك إبطال الرُّبوبية والعبودية جميعًا؛ لأنه لو كان كذلك لكان يجوز وقوع فعلٍ من غير قُوًى، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون وجودها بأنفسها من غير فاعلٍ، وقد قال الله تعالى في قصة موسى والعبد الصالح: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٨٢] يريد لا تَقْوَى عليه.

وأجمعوا أنَّ لهم أفعالًا واكتسابًا على الحقيقة، هم بها مُثابون، وعليها مُعاقبون؛ ولذلك جاء الأمر والنهي، وعليه ورَدَ الوعْد والوعيد.

ومعنى الاكتساب: أن يفعل بقوةٍ مُحدَثةٍ.

وقال بعضهم: معنى الاكتساب: أن يفعل لجرِّ منفعةٍ أو دفع مضرَّةٍ؛ لقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وأجمعوا أنهم مُختارون لاكتسابهم، مُريدون له، وليسوا بمحمولين عليه، ولا مُجبرين فيه، ولا مُستكرهين له.

ومعنى قولنا: «مُختارون»: أنَّ الله تعالى خلق لنا اختيارًا، فانتفى الإكراه فيها، وليس ذلك على التفويض.

قال الحسن بن علي رضي الله عنه: «إنَّ الله تعالى لا يُطاع بإكراهٍ، ولا يُعصى بغَلَبةٍ، ولم يُهمل العباد من المَمْلَكة».

وقال سهل بن عبدالله: «إنَّ الله تعالى لم يُقَوِّ الأبرار بالجبر، إنما قوَّاهم باليقين».

وقال بعض الكبراء: «من لم يؤمن بالقَدَر فقد كَفَر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فَجَر».

الباب الخامس عشر
قولهم في الجَبْرِ

وأحال بعضُهم الجبر، وقال: لا يكون الجبر إلَّا بين الممتنِعِين، وهو أن يأمر الآمر ويمتنع المأمور فيُجْبره الآمر عليه.

ومعنى الإجبار: أن يُستكَره الفاعل على إتيان فعلٍ هو له كارهٌ ولغيره مُؤْثِرٌ، فيختار المُجبَر إتيان ما يَكرهه ويترك الذي يَحبُّه، ولولا إكراهه له وإجباره إيَّاه لفعل المتروك وترك المفعول.

ولم نجد هذه الصفة في اكتسابهم الإيمان والكفر، والطاعة والمعصية؛ بل اختار المؤمن الإيمان وأحبَّه واستحسنه وأراده وآثره على ضدِّه، وكَرِه الكفر وأبغضه واستقبحه ولم يُرِدْه وآثر عليه ضدَّه.

والله خَلَقَ له الاختيار والاستحسان والإرادة للإيمان، والبغض والكراهة والاستقباح للكفر، قال الله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

واختار الكافر الكُفْر واستحسنه وأحبَّه وأراده وآثره على ضدِّه، وكَرِه الإيمان وأبغضه واستقبحه ولم يُرِدْه وآثر عيه ضدَّه، والله تعالى خلق ذلك كلَّه؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وليس أحدهما بممنوعٍ عن ضدِّ ما اختاره، ولا بمحمولٍ على ما اكتسبه، ولذلك وجبت حُجَّة الله عليهم، وحقَّ عليهم القول من ربِّهم، ومأوى الكافرين النَّار بما كانوا يكسبون، ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن

كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

قال ابن الفرغانيُّ: «ما من خَطْرةٍ ولا حركةٍ إلَّا بالأمر، وهو قوله: ﴿كُنْ﴾ [البقرة: ١١٧]، فله الخلق بالأمر، وله الأمر بالخلق، والخلق صفته، فلم يدع بهذين الحرفين لعاقلٍ يدَّعي شيئًا من الدنيا والآخرة، لا لَهُ، ولا بِهِ، ولا إليه، فاعلم أنه لا إله إلا الله.

الباب السَّادس عشر
قولهم في الأصْلَح

أجمعوا على أنَّ الله تعالى يفعل بعباده ما يشاء، ويحكم فيهم بما يُريد، كان ذلك أصلح لهم أولم يكن؛ لأنَّ الخَلْقَ خَلْقُه والأمر أمره ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. ولولا ذلك لم يكن بين العبد والربِّ فرقٌ.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

والقول بالأصلح يوجب نهاية القُدْرة، وتَنْفيد ما في الخزائن، وتَعجيز الله تعالى عن ذلك؛ لأنه إذا فعل بهم غاية الصَّلاح فليس وراء الغاية شيءٌ، فلو أراد أن يزيدهم على ذلك الصلاح صلاحًا آخر لم يقدر عليه، ولم يجد بعد الذي أعطاهم ما يُعطيهم مما يَصلح لهم، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

وأجمعوا أنَّ جميع ما فعل الله بعباده -مِن الإحسان والصِّحة والسَّلامة والإيمان والهداية واللُّطف- تفضُّلٌ منه، ولو لم يفعل ذلك لكان جائزًا وليس على الله بواجبٍ؛ ولو كان ما يفعل -مما يفعل- شيئًا واجبًا عليه لم يكن مُستحِقًّا للحمد والشُّكر.

وأجمعوا أنَّ الثواب والعقاب ليس من جهة الاستحقاق، لكنه من جهة المشيئة والفضل والعدل؛ لأنهم لا يستحقون على أجرامٍ منقطعةٍ عقابًا دائمًا، ولا على أفعالٍ معدودةٍ ثوابًا دائمًا غير معدودٍ.

وأجمعوا أنه لو عَذَّب جميع مَن في السماوات والأرض لم يكن ظالمًا لهم، ولو أدخل جميع الكافرين الجنَّة لم يكن ذلك مُحالًا؛ لأنَّ الخَلْق خَلْقُه، والأمر أمره، ولكنه أخبر أنه يُنعِم على المؤمنين أبدًا، ويُعذِّب الكافرين أبدًا، وهو صادقٌ في قوله، وخبره صدق، فوجب أن يفعل بهم ذلك ولا يجوز غيره؛ لأنه لا يكذب في ذلك، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

وأجمعوا أنه لا يفعل الأشياء لِعلَّةٍ؛ ولو كان لها عِلَّةٌ لكان للعِلَّة عِلَّةٌ إلى ما لا يتناهى، وذلك باطلٌ؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ولا يكون شيء منه ظلمًا ولا جُورًا؛ لأنَّ الظلم إنما صار ظلمًا لأنه منهيٌّ عنه، ولأنه وَضْعُ الشيء في غير موضعه، والجُور إنما كان جورًا لأنه عدلٌ عن الطريق الذي بُيِّنَ له، والمثال الذي مثل له مَنْ فوقه، ومن هو تحت قدرته، ولما لم يكن الله تحت قدرة قادر، ولا

كان فوقه آمر ولا زاجر، لم يكن فيما يفعله ظالمًا، ولا في شيء يحكم به جائرًا، ولم يَقْبح منه شيءٌ؛ لأنَّ القبيح ما قبَّحه، والحسن ما حسَّنه.

وقال بعضهم: القبيح: «ما نهى عنه، والحسن ما أمر به».

وقال محمَّد بن موسى: «إنما حَسُنت المُستحسَنات بتجلِّيه، وقَبُحت المُستقبحات باستتاره، وإنما هما نعتان يجريان على الأبد بما جريا في الأزل، معناه: كل ما ردَّك إلى الحقِّ مِن الأشياء فهو حَسَنٌ، وما ردَّك إلى شيءٍ دونه فهو قبيحٌ، فالقبيح والحسن، ما حسَّنه الله في الأزل وما قبَّحه».

ومعنى آخر: أنَّ المُستحسن: هو ما تخلَّى عن ستر النَّهى فلم يكن بين العبد وبينه سترٌ، والقبيح: ما كان وراء الستر وهو النهي، على معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وعلى الأبواب سُتُورٌ مُرخاةٌ**»[1]، قيل: الأبواب المُفتَّحة محارم الله، والسُّتور حدوده.

---

(١) حديث: «**وعلى الأبواب سُتُورٌ مُرخاةٌ**».

الترمذيُّ في "سننه" مِنْ طريق بقيَّة بنِ الوليد، عن يحيَى بنِ سعدٍ، عن خالدِ بنِ مَعْدان، عن جُبير بنِ نُفيرٍ، عن النوَّاس بنِ سَمعان الكلابيِّ، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله ضرب مثلًا صراطًاً مستقيماً، على كنفَيِ الصِّراط داران لهما أبوابٌ مفتَّحةٌ، على الأبواب سُتُورٌ، وداعٍ يَدعو إلى دار السلامِ ويهدي مَنْ يشاء الى صراطٍ مستقيم. والأبوابُ التي على كنفَيِ الصراط حدودُ الله، فلا يقع أحدٌ في حدود الله حتى يَكشِفَ السِّترَ، والذي يَدعو مِنْ فوقِه واعظُ ربِّه.**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ. قال: سمعتُ عبدَالله بنَ عبدِالرَّحمن يقول: سمعتُ زكريا بنَ عَديٍّ يقول: قال: أبو إسحاقَ الفَزَاريُّ: خذوا عن بقيَّةَ ما حدَّثكم عن الثقات، ولا تأخذوا عن إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ ما حدَّثكم، عن الثقات ولا غير الثقات».

ورواه الحافظُ أبو أحمدَ بنُ مَعمرَ بنِ عبدِالواحدِ بنِ الفاخرِ، القرشيُّ، الأصبهاني، في مجلسٍ مِنْ أماليه: أخبرنا محمودُ بنُ إسماعيلَ سنة إحدى وخمسمائة: أنا أبو بكرِ بنُ ساذان، (ح) وأخبرنا غانمُ بنُ أبِي نَصرٍ: أنا عمرُ بنُ الهيثم أبو بكرٍ، قالا: أنا العَتّاب: ثنا أبو بكرِ بنُ عاصمٍ: ثنا محمدُ بنُ عوفٍ: ثنا أبو صالحٍ: ثنا أبو معاويةَ بنُ صالحٍ، عن عبدِالرحمنِ بنِ جُبَيرِ بنِ نُفير، عن أبيه، عن النَّوّاسِ بنِ سمعان قال: «**ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم مَثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنبتَيِ الصراط سورٌ فيه أبوابٌ مُفتَّحةٌ، على الأبوابِ سُتورٌ مُرخاةٌ، وعلى باب الصراطِ داعٍ يَدعو: يا أيها الناسُ، اُدخلوا إليه جميعاً ولا تعرجوا؛ والداعي يدعو مِن فوق الصراط، فإذا فُتِح بابٌ مِنْ تلك الأبواب قال: وَيْحَكْ، لا تفتحْهُ. انْ تفتحْهُ تَـلِجْهُ. والصراطُ: الإسلامُ، والسُّتُور: حدودُ الله عزَّ وجلَّ، والأبوابُ المُفَـتحةُ: محارمُ الله**».

وفي غيرِ هذه الرواية: «**والذي يَدعُو مِنْ فوقِه واعِظُ الله عزَّ وجلَّ**».

الباب السابع عشر
قوْلهم في الوَعْد والوَعِيدِ

أجمعوا أنَّ الوعيد المُطلق في الكفَّار والمنافقين، والوعد المطلق: في المؤمنين والمحسنين، وأوجب بعضهم غُفْران الصَّغائر باجتناب الكبائر بقوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء: ٣١] الآية، وجَعَلها بعضهم كالكبائر في جواز العُقوبة عليها؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية. وقالوا معنى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ هو الشِّرك والكفر وهو أنواعٌ كثيرةٌ، فجاز أن يُطلق عليها اسم الجمع.

وفيه وجهٌ آخر: وهو أنَّ الخطاب خرج على الجمع فكانت كبيرةُ كلِّ واحدٍ منهم عند الجمع كبائر.

وجوَّزوا غُفران الكبائر بالمشيئة والشَّفاعة.

وأوجبوا الخروج من النَّار لأهل الصَّلاة لا محالة بإيمانهم؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فجعل المشيئة شرطًا فيما دون الشِّرك.

وجملة قولهم: إنَّ المؤمن بين الخوف والرَّجاء، يرجو فضل الله في غُفران الكبائر، ويخاف عدله في العقوبة على الصَّغائر؛ لأنَّ المغفرة مضمون المشيئة، ولم يأت مع المشيئة شرط كبيرةٍ ولا صغيرةٍ.

ومن شدَّد وغلَّظ في شرائط التوبة، وارتكاب الصغائر، فليس ذلك منهم على إيجاب الوعيد، بل ذلك على تعظيم الذنب في وجوب حقِّ الله في الانتهاء عما نهى عنه.

ولم يجعلوا في الذنوب صغيرةً إلَّا عند نِسبة بعضها إلى بعض، فطالبوا النفوس بإيفاء حقِّ الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه، والوفاء بما أمر به الله، ورؤية التقصير في شرائط العمل.

وهم مع ذلك كلِّه أرجى الناس للناس، وأشدُّهم خوفًا على أنفسهم، حتى كأنَّ الوعيد لم يَرِد إلَّا فيهم، والوعد لم يكن إلَّا لغيرهم.

قيل للفُضيل عَشيَّة عرفة: كيف ترى حال الناس؟ قال: «مَغْفورون لولا مَكَاني فيهم».

وقال السَّريُّ السَّقَطي: «إني لأنظر في المرآة كلَّ يومٍ مِرَارًا؛ مخافة أن يكون قد اسودَّ وجهي».

وقال السريُّ: «لا أحبُّ أن أموت حيث أُعْرَفُ؛ مخافة أن لا تَقْبلني الأرض فأكون فضيحةً».

وهم أحسن الناس ظنونًا بربِّهم؛ قال يحيى بن معاذ: «من لم يُحسن بالله ظنَّه، لم تقر بالله عينه». وهم أسوأ الناس ظنونًا بأنفسهم، وأشدُّهم إزراءً بها، لا يرونها أهلًا لشيءٍ من الخير دِينًا ولا دُنيا.

والجملة: أنَّ الله تعالى قال: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢]، أخبر أنَّ المؤمن له عملان صالحٌ وسيِّءٌ، فالصَّالح له، والسَّيِّئ عليه.

وقد وعد الله تعالى على ما له ثوابًا، وأوعد على ما عليه عقابًا، والوعيد حقُّ الله تعالى من العباد، والوعد حقُّ العباد على الله فيما أوجبه على نفسه، فإن استوفى منهم حقَّ نفسه ولم يوفِّهم حقَّهم لم يكن ذلك لائقًا بفضله مع غناه عنهم وفقرهم إليه، بل الأليق بفضله والأحرى بكرمه، أن يوفِّيهم حقوقهم، ويزيدهم من فضله، ويهب منهم حقَّ نفسه؛ وبذلك أخبر عن نفسه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، وفي قوله: ﴿مِن لَّدُنۡهُ﴾ أنه تفضُّلٌ، وليس بجزاءٍ.

الباب الثامن عشر

قولهم في الشَّفاعةِ

أجمعوا على أنَّ الإقرار بجُملة ما ذكر الله تعالى في كتابه وجاءت به الروايات[1] عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشَّفاعة واجبٌ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ

(١) قولُه: وجاءت به الرِّواياتُ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشَّفاعة في قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

البخاريُّ في "صحيحه" مِنْ حديثِ أنَس بنِ مالكٍ رضي الله عنه في حديث الشَّفاعة الطويل، وفيه: «ثُمَّ تلا الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، قال: «**وهذا المقامُ المحمودُ الذي وُعِدَه نبيّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

ورواه مِنْ حديث عبدِالله بنِ عُمر: «**أنَّ الشَّمسَ تَدْنو يومَ القيامة حتَّى يَبلُغَ العَرَقُ نصفَ الأذن، فبَيْنَا هُمْ كذلك، استغاثوا بآدَمَ، ثُمَّ بِمُوسَى، ثُمَّ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فيَشْفَعُ لِيُقْضَى بين الخلق، فيَمشِي حتَّى يأخذ بحلقةِ الباب. فيومئذٍ يَبعثُه الله مقاماً محمودًا يَحمَدُه أهلُ الجمْعِ كلُّهُم**».

ورواه الترمذيُّ مِنْ حديث أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ سُئل عنها قال: «**هي الشفاعة**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ.وفي الباب عن جماعةٍ».

رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقول الكفَّار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شَفَاعتي لِأَهلِ الكبائرِ من أمَّتي**»[1]

---

(١) حديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمَّتي**».

أبو داود في "سننه" مِنْ طريق بِسْطَام بن حُريثٍ، عن أشعث الحُدَّانيِّ (*)، عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم قال: «**شَفَاعتي لِأَهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريقِ عبدِالرزاق، عن مَعْمرٍ، عن ثابتٍ عن أنسٍ (**)، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «**شَفَاعتي لِأَهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ مِنْ هذا الوجه. وفي الباب عن جابرٍ».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريق خَلَّادِ بنِ يحيى: ثنا مِسْعَرٌ، عن قَتَادَةَ (***)، عن أنسٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «**شَفَاعتي لِأَهلِ الكبائرِ من أمَّتي**». =

(*) رواه مِنْ طريقه أيضًا: ابنُ خزيمةَ في "التوحيد"، والحاكمُ في "المستدرك"، والقضاعي في "مسند الشهاب". (أحمد بن الصديق).

(**) رواه مِن طريقه أيضًا: الطيالسي، وابنُ خزيمةَ، والحاكمُ، والبيهقي في كتاب "الاعتقاد"، والصابوني في العقيدة المطبوعة. (أحمد بن الصديق).

(***)رواهُ من طريقه أيضًا: ابنُ خزيمة، والحاكمُ. ووقع لنا مسلسَلًا بالحَلفِ. فسمعتُ أبا النصرِ القاوَقْجي وحَلَفَ: سمعتُ أَبِي وحلَفَ: أخبرني محمدُ عابِد وحَلَفَ: أنا عمِّي محمد = =

= ورواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه، وأبو نُعيمٍ في "الحِلية"، مِنْ طريق جعفرَ بنِ محمَّدٍ، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «شَفَاعتي لأهلِ الكبائر من أمّتي».

قال محمَّدُ بنُ عليٍّ: فقال لي جابرٌ: يا محمَّد، مَنْ لم يَكن مِنْ أهل الكبائر فما له وللشَّفاعة.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ، غريبٌ مِنْ هذا الوجه؛ يُستغرب مِنْ حديثِ جعفر بنِ محمَّدٍ». =

= = حسين وحَلَفَ: أنِي والدي محمد مراد وحلَفَ: أني محمدُ هشام وحلَفَ: أني عبدُالقادرِ مفتي مكَّةَ وحلَفَ: أنا التحلي وحلَفَ: أنا الرَّملي وحلفَ: أنا زكريا وحلَفَ: أنا أحمدُ بنُ عليٍّ الحافظُ وحلَفَ: أنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ ضرغام وحلَفَ: أنا أحمدُ بنُ أبي بكرٍ بنِ طبرزذ وحلَفَ: أنا أبو الفتحِ عبدُالهادي بنِ عبدِالكريمِ وحَلَف: أنا عليُّ بنُ المفضلِ وحلَفَ: أنا أبو طاهرٍ السِّلفي وحلَفَ: أنا أبو الغنايم محمدُ بنُ عليِّ بنِ ميمون وحلفَ: أنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِالرحمنِ الحَسني وحلَفَ: أنا محمدُ بنُ إبراهيمَ البسطامي وحلَفَ: ثنا أبو ذَرٍّ عمَّار بنُ مخلد البغدادي وحلَفَ: أنا أبو يَعلَى عبدُالمومن بنُ خَلَف وحَلَف: ثنا الحسينُ بنُ سفيانَ وحلَف: أنا هدبة بنُ خالد وحلف: أنا هَمّامُ وحلَفَ: أنا قتادةُ وحلَف: حدثني أنسُ بنُ مالكٍ وحلَف، وذَكَره. وقد أجزتُ للمؤلِّفِ أنْ يرويَه عنِّي. وإذا أَحَبَّ أَنْ يَسمعه مسلسلاً بالحلف فله ذلك عند اللقاء. والحديثُ رواه عن أَنَس جماعةٌ آخرون، منهم: زياد النميري، وعاصم الأحول، ويزيدُ الرّشك، ويزيدُ بنُ أبان الرّقاشي، والأعمشُ، ومالكُ بنُ دينار. ذكرتُ روايةَ جميعِهم في "المستخرَج". (أحمد بن الصديق).

وقوله: «واختبأتُ دعوتي الشَّفاعة لأمَّتي» (١).

= وقال أبو نعيم: «هذا حديثٌ غريبٌ مِنْ حديث جعفرٍ، ومحمَّدِ بنِ ثابتٍ، لم يَرْوِه عنه الاَّ أبو داود. رواه عن أبي داود عَمرُو بنُ عليٍّ والمتقدِّمون من طبقته».

قلتُ: قد رواه عن جعفر بنِ محمَّدٍ غيرُ محمَّدِ بنِ ثابتٍ. فقد رواه ابنُ ماجه مِنْ طريق زهير بنِ محمَّدٍ، عن جعفر بن محمَّدٍ.

فقولُ أبِي نُعيمٍ: « غريبٌ مِنْ حديثِ جعفرٍ، ومحمَّد بن ثابتٍ...» فيه ما فيه.

ورواه الخطيبُ في "التاريخ" مِنْ طريق شعبة، عن الحَكَم، عن عبدِالرحمن بنِ أبي ليلَى، عن أبي الدرداء، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شَفَاعتِي لأهلِ الكبائرِ مِنْ أمَّتي**»، قال أبو الدرداء: وانْ زنَى وانْ سرق؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نعم، وانْ زنا وإنْ سرق على رغْمِ أنف أبي الدرداء**»(*).

(١) حديث: «**واختبأتُ دعوتي الشَّفاعة لأمَّتي**».

البخاريُّ مِنْ طريقِ مالكٍ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبِي هريرةَ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لِكلِّ نبيٍّ دَعوَةٌ يَدعُو بها، وأُريدُ أنْ أَختَبِئَ دعوتي شَفَاعةً لأمَّتي في الآخرة**».

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق مالك بن أنسٍ، عن ابن شهابٍ، عن أبِي سَلَمَة بنِ عبدِالرحمن، عن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لِكلِّ نبيٍّ دَعوَةٌ يدعو بها، وأريد أنْ أختبِئَ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة**». =

(*) وفي البابِ أيضًا: عن ابنِ عمرَ، وكعب بنِ عُجرة، وأبي هريرة، وابنِ مسعودٍ، وحذيفةَ موقوفًا، وأبي موسى، وعبدِالله بنِ عَمرِو بنِ العاص. ذكرتها بأسانيدها في "المستخرج". (أحمد بن الصديق).

وأقرُّوا بالصِّراط، وأنه جِسْرٌ يُمدُّ على جهنَّم؛ قرأتْ عائشة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالت: فأين النَّاس حينئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصِّراط**»[١].

= وعلَّقه البخاريُّ في "صحيحه" عن مَعْمرٍ، سمعتُ أبي، عن أنسٍ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كلُّ نبيٍّ سأل سُؤالًا، أو قال: لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ قد دعا بها فاستُجِيبَ له، فجَعلتُ دعوتي شَفَاعةً لأمَّتي يوم القيامة».

ووصله مسلمٌ في "صحيحه" مِنْ طريق محمَّدِ بنِ عبدِالأعلَى، ثنا المعتمِرُ، به.

ورواه مسلمٌ من طريق قتادة، عن أنسٍ مرفوعًا: « **لكلِّ نبِيٍّ دعوةٌ دعا بِها لأمَّته، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة**».

ورواه مِنْ طريق أبي الزبير، عن جابرٍ مرفوعًا: «**لكلِّ نبِيٍّ دَعوَةٌ قد دعا بها في أمَّته، وخَبَأْت دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة**».

(١) حديث عائشة رضي الله عنها: «قرأت: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قالت: فأين النَّاس حينئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصِّراط**».

مسلمٌ في "صحيحه"، والترمذيُّ، وابن ماجه في "سُننيهما" مِنْ طريق داود بنِ أبي هِندٍ، عن الشَّعبيِّ، عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون النَّاس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصِّراط**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ورُوِي مِنْ غيرِ هذا الوجه، عن عائشة».

وأقرُّوا بالميزان، وأنَّ أعمال العباد تُوزن؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨، ٩] الآية، وإن لم يعلموا كيفيَّة ذلك.

وقولهم في هذا وأمثاله -مما لا يُدرِك العباد كيفيَّته-: آمنَّا بما قال الله، على ما أراد الله، وآمنَّا بما قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ما أراد رسول الله.

وأقرُّوا أنَّ الله تعالى يُخرج من النَّار من كان في قلبه مِثقال ذرَّةٍ من إيمانٍ؛ على ما جاء في الحديث[١].

وأقرُّوا بتأبيد الجنَّة والنَّار، وأنهما مخلوقتان، وأنهما باقيتان أَبَدَ الأَبَد، لا تفنيان ولا تَبيدان، وكذلك أهلوهما باقون فيهما خالدون مُخلَّدون، مُنعَّمون ومُعذَّبون، لا ينفد نعيمهم ولا ينقطع عذابهم.

---

(١) حديث: «**يَخرُج مِنَ النَّار مَنْ كان في قلبِه مِثقال ذَرَّةٍ مِنَ الإيمان**».

الترمذيُّ في "سننه"(*) مِنْ طريق عبدِالرزاق، أخبرنا مَعمرٌ، عن زيدِ بنِ أسلَم، عن عطاء بنِ يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يخرج من النَّار من كان في قلبه مِثقال ذرةٍ من الإيمان**». قال أبو سعيدٍ: فمن شكَّ فليقرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(*) وهو في كتاب الإيمان مِن "صحيح البخاريِّ". (أحمد بن الصديق).

وشهدوا لعامَّة المؤمنين بالإيمان في ظاهر أمورهم، ووَكَلُوا سرائرهم إلى الله تعالى، وأقرُّوا أنَّ الدار دار إيمانٍ وإسلامٍ، وأنَّ أهلها مؤمنون مسلمون.

وأهل الكبائر عندهم مسلمون، مؤمنون بما معهم من الإيمان، فاسقون بما فيهم من الفسق.

ورأوا الصَّلاة خلف كلِّ بَرٍّ وفاجر. ورأوا الصَّلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة.

ورأوا الجُمُعة والجماعات والأعياد واجبةٌ على من لم يكن له عذرٌ من المسلمين، مع كلِّ إمامٍ برٍّ أو فاجرٍ، وكذلك الجهاد معهم والحجُّ.

ورأوا الخلافة حقًّا، وأنها في قريشٍ، وأجمعوا على تقديم أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم.

ورأوا الاقتداء بالصحابة والسلف الصالح، وسكتوا عن القول فيما كان بينهم من التشاجر، ولم يروا ذلك قادحًا فيما سبق لهم من الله عزَّ وجلَّ من الحُسنى.

وأقرُّوا أنَّ من شَهِد له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالجنَّة فهو في الجنَّة، وأنهم لا يُعذَّبون بالنَّار.

ولا يرون الخروج على الوُلاة بالسَّيف وإن كانوا ظَلَمة.

ويرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبًا لمن أمكنه بما أمكنه، مع شفقةٍ ورأفةٍ ورفقٍ ورحمةٍ ولطفٍ ولينٍ مِن القول.

ويؤمنون بعذاب القبر، وبسؤال مُنكَرٍ ونكِيرٍ.

وأقرُّوا بمعراج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنه عُرِجَ به إلى السماء السابعة، وإلى ما شاء الله، في ليلةٍ، في اليقظة، ببدنه.

ويصدقون بالرؤيا، وأنها بشارةٌ للمؤمنين، وإنذارٌ لهم، وتوقيف. وعندهم أنَّ مَن مات أو قُتل فبأجله، ولا يقولون باخترام الآجال، وأنه إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يَسْتَقْدِمون.

الباب التاسع عشر

قولهم في الأطفال

وأقرُّوا أنَّ أطفال المؤمنين مع آبائهم في الجنَّة.

واختلفوا في أطفال المشركين، فمنهم من قال: لا يُعذِّب الله بالنَّار إلَّا بعد لزوم الحُجَّة على من عاند وكَفَر، ووجبت عليه الأحكام. وأرجأ الأكثرون أمرهم إلى الله تعالى، وجوَّزوا تعذيبهم وتنعيمهم.

وأجمعوا على أنَّ المسح على الخُفَّين حقٌّ.

وجوَّزوا أنَّ يرزق الله الحرام.

وأنكروا الجِدال والمِراء في الدِّين، والخُصومة في القَدَر، والتنازع فيه.

ورأوا التشاغل بما لهم وعليهم أولى من الخصومات في الدِّين.

ورأوا طلب العلم أفضل الأعمال، وهو علم الوقت بما يجب عليهم ظاهرًا وباطنًا.

وهم أشفق الناس على خلق الله: من فصيح وأعجم، وأبذل الناس بما في أيديهم، وأزهدهم عما في أيدي الناس، وأشدُّهم إعراضًا عن الدنيا، وأكثرهم طلبًا للسُّنَّة والآثار، وأحرصهم على اتباعها.

الباب العشرون
في ما كلَّف الله البالغين

أجمعوا أنَّ جميع ما فرض الله تعالى على العباد في كتابه، وأوجبه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرضٌ واجبٌ، وحَتْمٌ لازمٌ على العقلاء البالغين، لا يجوز التخلُّف عنه، ولا يسع التفريط فيه بوجهٍ من الوجوه لأحدٍ من الناس مِن صديقٍ ووليٍّ وعارفٍ، وإن بلغ أعلى المراتب، وأعلى الدرجات، وأشرف المقامات، وأرفع المنازل.

وأنه لا مقام للعبد تسقط معه آداب الشريعة:من إباحة ما حَظَرَ الله، أو تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله، أو سقوط فرضٍ، من غير عذرٍ ولا عِلَّةٍ، والعذر والعلَّة: ما أجمع عليه المسلمون، وجاءت به أحكام الشريعة.

ومن كان أصفى سرًّا وأعلى رتبةً وأشرف مقامًا، فإنه اشدُّ اجتهادًا، وأخلص عملًا، وأكثر تَوقِيًّا.

وأجمعوا أنَّ الأفعال ليست بسببٍ للسعادة والشقاوة، وأنَّ السعادة والشقاوة سابقتان بمشيئة الله تعالى لهم ذلك، وكتابه عليهم، كما جاء في الحديث، قال عبدالله بن عمر: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا كتابٌ مِنْ ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنَّة، وأسماء أبائهم، وقبائلهم، ثمَّ أُجْمِلَ على آخِرِهم فلا يُزَادُ فيهم ولا يُنْقَصُ أبدًا**»[1].

---

(١) حديثُ عبدِالله بنِ عُمر: «**هذا كتابٌ مِنْ ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنَّة، وأسماء أبائهم، وقبائلهم، ثمَّ أُجْمِلَ على آخِرِهم فلا يُزَادُ فيهم ولا يُنْقَصُ أبدًا**».

أبو نعيمٍ في "الحِلية" في ترجمة السَّرِيِّ السَّقطيِّ، قال: حُدِّثْتُ عن الحسن بن عليٍّ: ثنا السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّسِ: ثنا عبدُالله بنُ مَيْمُونٍ، عن عُبَيدِ الله، عن نافعٍ، عن ابن عُمَرَ قال: خَرَجَ علينا رسول الله

وكذلك قال في أهل النَّار. وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**السَّعيدُ مَنْ سَعِدَ في بطنِ أُمِّه، والشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّه**»[1].

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو قابضٌ على شيئين فقال: «**هذا كتابٌ مِنَ الله...**»، وذَكَرَ الحديث.

ورواه الترمذيُّ في "السُّنن"، وأبو نُعيم في "الحلية"،والخُلَعي في السادسِ مِن "فوائده"، وأبو الحسن عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ الأخرم المدينيُّ في "أماليه"، مِنْ طريق أبي قَبِيلٍ، عن شُفيِّ بن مَاتِعٍ، عن عبدِالله بنِ عَمرٍو بنِ العَاص قال: خَرَجَ علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي يده كتابان، فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**»، فقلنا: لا يا رسول الله إلَّا أنْ تُخبِرنا، فقال للذي في يده اليُمْنَى: «**هذا كتابٌ مِنْ ربِّ العالمين، فيه أسماءُ أهل الجنَّة وأسماءُ آبائهم وقبائلهم، ثمَّ أُجْمِلَ على آخرهم فلا يُزَادُ فيهم ولا يُنْقَصُ منهم أبدًا**»، ثُمَّ قال للذي في شِمَاله: «**هذَا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل النَّار وأسماء آبائِهم وقبائلهم، ثُمَّ أُجْمِلَ على آخِرِهم فلا يُزَادُ فيهم ولا يُنْقَصُ منهم أبدًا**»، فقال أصحابُه: فَفِيمَ العملُ يا رسولَ الله انْ كان أمرٌ قد فُرِغَ منه؟ فقال: «**سَدِّدُوا وقارِبُوا فإنَّ صاحبَ الجنَّة يُختَمُ له بعمل أهل الجنَّة، وإن عَمِلَ أيَّ عملٍ، وإنَّ صاحب النَّار يُختَمُ له بعمل أهل النَّار وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ**»، ثُمَّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيديه فنبَذَهُما، ثُمَّ قال: «**فَرَغَ ربُّكُم مِنَ العِباد، فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السَّعِيرِ**».قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن ابن عُمَر، وهذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وأبو قَبِيلٍ اسمه: حُيَي بن هَانِيء».

(١) حديث: «**السَّعيدُ مَنْ سَعِدَ في بطنِ أُمِّه، والشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّه**».

البزَّار في "المسنَد" مِنْ حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**الشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّه، والسعيدُ مَنْ سَعِدَ في بطنِها**». وقال الهيثميُّ في "المَجمَع": «رجاله رجال الصَّحيح».

ورواه الطبرانيُّ في "الصغير"، وأبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمَّدِ الأخرم المدينيُّ في "أماليه"، مِنْ طريق عبدِالرحمنِ بنِ المبارك العيشيِّ: ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن هشام بن حُسام، عن محمَّد بنِ سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**السعيدُ مَنْ سَعِد في بطنِ أمِّه**».

ورواه ابنُ ماجه في "السنن"، والقُضاعيُّ في "مسند الشهاب" مِنْ طريق أبي إسحاق، عن أبِي الأحوص، عن عبدِالله بنِ مسعودٍ مرفوعًا، بلفظ: «**الشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطنِ أُمِّه، والسعيدُ مَنْ وُعِظ بغيره**».

ورواه مسلمٌ في "صحيحِه" موقوفًا عنه: «**الشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّه، والسعيدُ مَنْ وُعِظ بغيره**».

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس"، والقضاعيُّ في "مسند الشهاب" مِنْ طريق عبدِالله بنِ مصعب بنِ منظور بنِ جميل بنِ سنان، عن أبيه، عن عُقبةَ بنِ عامرٍ، قال: خرجنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبُوكَ، ثُمَّ ذكر خطبةً طويلةً، وفيها: «**والسعيدُ مَنْ وُعِظ بغيره، والشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في بطن أُمِّه**». وعبدُالله بنُ مصعب فيه جهالةٌ، والخطبة منكَرةٌ.

ورواه الخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق يحيى بن آدم، ثنا شريكٌ، عن عُبيد الله، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشَّقيُّ من شَقِي في بطن أُمِّه**».

والحديث أصلُه في "الصحيح" مِنْ حديث أنسٍ مرفوعًا بلفظ: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وَكَّلَ في الرَّحم مَلَكًا، فيقول: أيْ ربِّ نُطفَةٌ، أيْ ربِّ عَلَقَةٌ، أيْ ربِّ مُضغَةٌ، فإذا أَرَادَ أن يقضي خلقًا، قال المَلَكُ: أيْ ربِّ ذَكَرٌ أو أنثى؟ شَقِيٌّ أَمو سَعِيدٌ؟ فما الرِّزقُ؟ فَمَا الأجلُ؟ فيُكتبُ كذلك في بطن أُمِّهِ**». وقد تقدَّم في الباب الثالث عشر [ص: ١٠١].

وأجمعوا أنها ليست بموجبةٍ للثواب والعقاب من حيث الاستحقاق، بل من جهة الفضل ومن جهة إيجاب الله تعالى ذلك.

وأجمعوا: أنَّ نعيم الجنَّة لمن سَبق له من الله السَّعادة من غير عِلَّةٍ، وأنَّ عذاب النَّار: لمن سَبَق له من الله الشَّقَاوة من غير عِلَّةٍ، كما قال: «**هؤلاء في الجنَّة ولا أُبالي، وهؤلاء في النَّار ولا أُبالي**»[1] وقال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ٧٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

---

(١) هذا لفظ حديثٍ رواه أحمد، والبزَّار، والطبرانيُّ، ورجالُه رجالُ الصَّحيح عن أبي الدرداء، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَلَقَ الله عز وجلَّ آدَمَ حين خَلَقَهُ، فضَرب كتفه اليُمنى، فأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بيضاء كأنَّهم الذَّرُّ. وضرب كتفَه اليسرى، فأخرج ذُرِّيَّةً سوداء كأنَّهم الحُمَمُ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنَّة ولا أُبالِي. وقال: لِلذي في كَفِّهِ اليسرى: إلى النَّار ولا أُبالِي**».

ورواه أحمدُ بسندٍ رجالُه رجال الصَّحيح عن أبي نَضْرَةَ: أنَّ رجلًا من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُقال له: أبو عبدالله، دَخَلَ عليه أصحابُهُ يَعُودُونَهُ وهو يَبكِي، فقالوا له: ما يُبكِيكَ؟ ألم يَقُل لك رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خُذْ مِنْ شَارِبِكَ، ثُمَّ أَقِرَّهُ حتَّى تلقاني؟**» قال: بلى، ولكنِّي سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ قَبَضَ بيمينه قَبضَةً، والأُخرى باليد الأُخرى، وقال: هذه لهذه، وهذه لهذه ولاَ أُبَالِي**»، فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا.

وفي الباب: عن عبدالرَّحمن بن قتادة السلميِّ، وأنسٍ، وأبي موسى، وأبي سعيدٍ، وابن عمر، وهشام بن حكيم بن حزامٍ.

وقالوا: **إنها** - أعني: أفعال العباد -: **علاماتٌ وأماراتٌ** على ما سبق لهم من الله؛ كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **اعملُوا فكـلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِق له**»[1].

وقال الجنيد: «الطاعة عاجل بُشراه على ما سبق لهم من الله تعالى، وكذلك المعصية».

وقال غيره: «العبادات حُلْية الظواهر، والحقُّ لا يُبيح تعطيل الجوارح من حُلاها».

وقال محمَّد بن عليٍّ الكتَّاني: «الأعمال كِسْوَة العبودية، فمن أبعده الله عند القِسْمة نزعها، ومَن قرَّبه أشفق عليها ولَزِمَها».

وهم مع ذلك مجمعون على **أنَّ الله تعالى يُثيب عليها ويُعاقب**؛ لأنه وَعَدَ على صالحها، وأوعد على سيِّئها، فهو يُنجز وعده، ويُحقِّق وعيده؛ لأنه صادقٌ وخبره صدقٌ.

وقالوا: على العبد بذل المجهود في أداء ما كُلِّفَ به، وإتيان ما نُدِبَ إليه، بعد التكليف، وبعد إتيانها وإيفاء ما عليه تكون المشاهدات، كما جاء في الحديث: «**مَنْ عَمِلَ بما عَلِمْ أورَثَه اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَمْ**»[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

---

(١) حديث: « **اعملُوا فكـلٌّ مُيسَّرٌ لِما خُلِق له**». تقدَّم [ص: ١٠١].

(٢) حديث: «**مَنْ عَمِلَ بما عَلِمْ أورَثَه اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَمْ**».

أبو نعيمٍ في "الحلية": حدَّثنا عثمان بن محمَّد العثماني: حدَّثني أحمدُ بنُ عبدِالله بنِ سليمان القرشيُّ قال: سمعتُ أبا الحسن عليَّ بنَ صالِح بنِ هلالٍ القرشي يقول: ثنا أحمدُ بنُ أَصْرَم المُزَنيُّ العقيليُّ قال: سمعت يحيَى بنَ معينٍ يقول: التقَى أحمدُ بنُ حنبلٍ، وأحمدُ بنُ أَبِي الحواريِّ بمكَّة، فقال أحمدُ بنُ حنبلٍ لأحمدَ بنِ أبي الحواريِّ: حدِّثنا بحكايةٍ سمعتَها مِنْ أستاذك أَبِي سليمان الدَّارانِيِّ، فقال: يا أحمدُ قُلْ: سبحان الله بلا عجبٍ، فقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: سبحان الله - وطوَّلَها- بلا عجبٍ، فقال أحمدُ بنُ أَبِي الحواريِّ: سمعتُ أبا سليمان يقول: إذا اعتقدتِ

النفوسُ علَى ترْكِ الآثام جالت في الملكوت، وعادت إلى ذلك العبد بطرائفِ الحِكمة مِنْ غير أنْ يؤدِّي إليها عالمٌ علماً. قال: فقام أحمدُ بنُ حنبلٍ ثلاثًا، وجلس ثلاثًا، وقال: ما سمعتُ في الإسلام حكايةً أعجَبَ مِنْ هذه إليَّ»، ثُمَّ ذكر أحمدُ بنُ حنبلٍ، عن يزيدَ بنِ هارون، عن حُميدٍ الطويل، عن أنس بن مالكٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهَ عليه وآله وسلَّم قال: « **مَنْ عَمِلَ بما يَعْلَم ورَّثَه اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَم** »، ثُمَّ قال لأحمدَ بنِ أَبِي الحواريِّ: «صدقْتَ يا أحمدُ، وصدَق شيخُك».

قال أبو نعيمٍ: ذكر أحمدُ بنُ حنبلٍ هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى بنِ مريم عليه السَّلام، فوَهِم بعضُ الرُّواة أنَّه ذكره عن النَّبيِّ صلَّى اللهَ عليه وآله وسلَّم، فوَضَعَ هذا الإسناد عليه لِسهولته وقُـرْبه، وهذا الحديث لا يُحتمل بهذا الإسناد عن أحمدَ بنِ حنبلٍ.

وأَمَّا قولُ الحافظِ العراقي في "تخريج أحاديثِ الإحياء": «رواه أبو نُعيمٍ باسنادٍ ضعيف»، ففيه ما فيه؛ لِما علمتَ مِنْ بيان أبي نعيمٍ أنه ليس مِن كلام النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مطلقاً.

وقد وقع في حبالة كلامِ العراقي بعضُ مَنْ يَشتغلُ بصناعة الحديث مِنْ أهل هذَا العصرِ، فزعَمَ أنَّ الحديثَ واردٌ بسندٍ ضعيفٍ(*).

(*) قلتُ: نعم، وَرَدَ مِن حديث ابنِ عباس. قال أبو الشيخ فيما أسنده الدَّيلَمي مِنْ طريقه وكأنه في "الثواب": حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ، ثنا سعيدُ بنُ عمرَ السكوني، ثنا بقية، عن أبي مكرم بنِ حميد، عن جُويبر، عن الضحاك، عن ابنِ عباس مرفوعاً: «**العلمُ حياضُ الإسلام وعمادُ الإيمان ومَنْ علَّمَ عِلماً أنمَى الله له أجراً إلى يوم القيامة. ومَنْ تعلَّمَ علماً فَعَمل به كان حقًّا على الله أنْ يُعلِّمَه ما لم يكن يعلم**». ثم وجدتُ الحافظَ السيوطي عزاهُ في "الجامع الصغير" لأبي الشيخ وحده. فهو في "الثواب" جزماً، وهوَ هو، الحديث بعينه./ (أحمد بن الصديق).

سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال يحيى: «لن يصل إلى قلبك روح المعرفة وله عليك حقٌّ لم تُؤدِّه».

وقال الجنيد: «إنَّ الله تعالى يعامل عباده في الآخر على حسب ما عاملهم في الأول، بدأهم تكرُّمًا، وأمرهم ترحُّمًا، ووعدهم تفضُّلًا، ويزيدهم تكرُّمًا، فمن شهد برَّه القديم سهل عليه أداء أمره، ومن لزم أمره أدركه وعده، ومن فاز بوعده لا بدَّ أن يزيده من فضله».

وقال سهل بن عبدالله التُّستريُّ: «من غمض بصره عن الله طرفة عين فلا يهتدي طول عمره».

الباب الحادي والعشرون

قوْلهم في معرفة الله تعَالى

أجمعوا على أنَّ الدليل على الله هو الله وحده، وسبيل العقل عندهم سبيل العاقل في حاجته إلى الدليل؛ لأنه مُحدثٌ، والمُحدث لا يدل إلَّا على مِثله.

وقال رجلٌ للنوريِّ: ما الدليل على الله؟ قال: الله، قال: فما العقل؟ قال: العقل عاجزٌ، والعاجز لا يدل إلَّا على عاجزٍ مثله.

وقال ابن عطاء: «العقل آلة للعبودية، لا للإشراف على الرُّبوبية».

وقال غيره: «العقل يجول حول الكون، فإذا نظر إلى المُكوِّن ذاب».

وقال أبو بكر القحطبيُّ: «مَن لحقته العقول فهو مقهورٌ إلَّا من جهة الإثبات، ولولا أنه تعرَّف إليها بالألطاف لما أدركته من جهة الإثبات».

وأنشدونا لبعض الكبار:

مَــــنْ رَامَـــهُ بالعقــــل مُسْتَرشِــــدًا سَرَّحَــــهُ في حَــــيْرَةٍ يَلْهُــــو
وشَــــابَ بـــــالتَّلْبيس أسْرَارَه يقــول مـــن حَيْرَتِـــهِ: هــل هــو؟

وقال بعض الكبار: «لا يعرفه إلَّا من تعرَّف إليه، ولا يوحِّده إلَّا مَن توحَّد له، ولا يؤمن به إلَّا من لطف به، ولا يصفه إلَّا مَن تجلَّى لسرِّه، ولا يُخلِصُ له إلَّا من جَذَبه إليه، ولا يصلح له إلَّا من اصطنَعَه لنفسه». معنى: من تعرَّف إليه، أي: من تعرَّف الله إليه، ومعنى:من توحَّد له، أي: أراه أنه واحدٌ.

وقال الجنيد: «المعرفة معرفتان: معرفة تَعَرُّف، ومعرفة تَعْرِيف، معنى التعرُّف: أن يُعرِّفهم الله عزَّ وجلَّ نفسه، ويُعرِّفهم الأشياء به، كما قال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]، ومعنى التعريف: أن يريهم آثار قدرته في الآفاق

والأنفس، ثُمَّ يُحدِث فيهم لُطفًا تدلهم الأشياء: أنَّ لها صانعًا، وهذه معرفة عامَّة المؤمنين. والأولى معرفة الخواص، وكُلٌّ لم يعرفه في الحقيقة إلَّا به».

وهذا كما قال محمَّد بن واسع: «ما رأيت شيئًا إلَّا ورأيت الله فيه».

وقال غيره: «ما رأيت شيئًا إلَّا ورأيت الله قبله».

وقال ابن عطاء: «تَعَرَّفَ إلى العامَّة بخَلْقه؛ لقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] الآية، وإلى الخاصَّة بكلامه وصفاته؛ بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وإلى الأنبياء بنفسه، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، وقال بعض الكبراء من أهل المعرفة:

لم يَبْقَ بيني وبين الحقِّ تِبْياني	ولا دليلٌ ولا آياتُ برهاني
هذا تَجلِّي طلوع الحقِّ نائِرةً	قد أزهرَت في تَلالِيهَا بسلطان
لا يعرفُ الحَقَّ إلَّا مَن يُعَرِّفُه	لا يَعْرِفُ القِدَمِيَّ المُحْدَثُ الفاني
لا يُسْتَدَلُّ على الباري بصَنْعَتِهِ	رأيتُمُ حدَثًا يُنْبِي عن ازْمَان
كان الدَّليلَ لهُ منه إليه بِهِ	مَنْ شاهد الحقَّ في تنزيل فرقان
كان الدَّليلَ لهُ منه بِهِ ولَهُ	حَقًّا وجدناه، بل عِلماً بتبيان
هذا وجودي وتَشْريحي ومُعتقدي	هذا توحُّدُ توحيدٍ وإيماني
هذا عِبَارةُ أهلِ الانفرادِ بِهِ	ذَوي المعارفِ في سِرٍّ وإعلان
هذا وُجودُ وجودِ الواجدين لَهُ	بني التجانُس، أصحابي وخُلَّاني

وقال بعض الكبراء: «إنَّ الله تعالى عرَّفنا نَفْسَه بنَفْسِه، ودلَّنا على معرفة نفسَهُ بنفسِهِ، فقام شاهد المعرفة من المعرفة بالمعرفة بعد تعريف المعرِّف بها».

معناه: أنَّ المعرفة لم يكن لها سببٌ غير أنَّ الله تعالى عرَّف العارف، فعَرَف بتعريفه.

وقال بعض الكبار من المشايخ: «البادي من المُكوِّنات معروفٌ بنفسه؛ لهجوم العقل عليه، والحقُّ أعزّ مِن أن تهجم العقول عليه، وأنه عرفنا نفسه أنه ربُّنا فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، ولم يقل: مَن أنا؟ فتهجم العقول عليه حين بدا مُعرَّفًا، فلذلك انفرد عن العقول، وتنزَّه عن التحصُّل غير الإثبات».

وأجمعوا: أنه لا يعرفه إلَّا ذو عقلٍ؛ لأنَّ العقل آلة للعبد يَعرف به ما عرف، وهو بنفسه لا يعرف الله تعالى، وقال أبو بكر السباك: «لما خلق الله العقل قال له: «من أنا؟» فسكت، فكحَّلَه بنور الوحدانية، ففتح عينيه، فقال: أنت الله لا إله إلا أنت. فلم يكن للعقل أن يعرف الله إلَّا بالله».

الباب الثاني والعشرون
اختلافهم في المعْرِفَة نفسها

ثُمَّ اختلفوا في المعرفة نفسها ما هي؟ والفرق بينها وبين العلم؟ فقال الجنيد: «المعرفة: وجود جهلك عند قيام علمه»، قيل له: زدنا قال: «هو العارف وهو المعروف». معناه: أنك جاهلٌ به من حيث أنت، وإنما عَرَفْته من حيث هو.

وهو كما قال سهل: «المعرفة هي المعرفة بالجهل».

وقال سهل: «العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم، وأمَّا المعرفة: فإنها تثبت بذاتها»، معناه: أنَّ الله تعالى إذا عرَّفَ عبدًا نفسه فعرف الله تعالى بتعرفه إليه، أحدث له بعد ذلك علمًا، فأدرك العلمَ بالمعرفة، وقام العقل فيه بالعلم الذي أحدثه فيه.

وقال غيره: «تَبيُّنُ الأشياء على الظاهر علمٌ، وتبيُّنها على استكشاف بواطنها معرفة». وقال غيره: «أباح العلم للعامَّة، وخصَّ أولياءه بالمعرفة».

وقال أبو بكرٍ الورَّاق: «المعرفة: معرفة الأشياء بصورها وسماتها، والعلم: علم الأشياء بحقائقها».

وقال أبو سعيدٍ الخرَّاز: «المعرفة بالله: هي علم الطلب لله من قبل الوجود له، والعلم بالله: هو بَعدَ الوجود، فالعلم بالله أخفى وأدقُّ مِن المعرفة بالله».

وقال فارس: «المعرفة: هي المستوفية في كُنْه المعروف».

وقال غيره: «المعرفة: هي حقر الأقدار إلا قَدْرَ الله، وأن لا يشهد مع قدر الله قدرًا».

وقيل لذي النون: بم عرفت ربَّك؟ قال: «ما هممت بمعصية فذكرت جلال الله إلَّا استحييت منه»، جعل معرفته بقُرْب الله منه دلالة المعرفة له.

وقيل لعليان: كيف حالك مع المولى؟ قال: «ما جفوته منذ عرفته»، قيل له: متى عرفته؟ قال: «منذ سمُّوني مجنونًا»، جعل دلالة معرفته له تعظيم قدره عنده.

قال سهل: «سبحان من لم يدرك العِبَادُ من معرفته إلَّا عجزًا عن معرفته».

الباب الثالث والعشرون
قوْلهم في الرُّوح

قال الجنيد: «الرُّوح شيءٌ استأثر الله بعلمه، ولم يُطلِع عليه أحدًا مِن خلقه، ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود؛ لقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال أبو عبدالله النباجيُّ: «الرُّوح: جسمٌ يَلْطفُ عن الحسِّ، ويَكْبرُ عن اللَّمسِ، ولا يُعبَّر عنه بأكثر مِن موجودٍ».

قال ابن عطاء: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني: الأرواح ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الأعراف: ١١] يعني: الأجساد».

وقال غيره: «الرُّوح: لطيفٌ قام في كثيفٍ، كالبصر جوهرٌ لطيفٌ قام في كثيفٍ».

وأجمع الجمهور: على أنَّ الرُّوح معنًى يَحيى به الجسد.

وقال بعضهم: «هو رَوح نسيمٍ طيِّبٍ تكون به الحياة، والنفس ريحٌ حارَّةٌ تكون بها الحركات والسَّكنات والشَّهوات».

وسئل القحطبيُّ عن الرُّوح؟ فقال: «لم يدخل تحت ذلِّ كن»، ومعناه عنده: أنه ليس إلَّا الإحياء والحي، والإحياء: صفة المُحيي، كالتخليق والخَلْق صفة الخالق.

واستدل من قال ذلك: بظاهر قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، قالوا: «أمره كلامه، وكلامه ليس بمخلوقٍ»، كأنهم قالوا: إنما صار الحي حيًّا بقوله: كن حَيًّا، وليس الرُّوح معنًى في الجسد حالًّا مخلوقٌ كالجسد، وليس هذا بصحيح، وإنما الصحيح: أنَّ الرُّوح معنًى في الجسد مخلوقٌ كالجسد».

الباب الرابع والعشرون

قوْلهم في الملائكة والرُّسُل

سكت الجمهور منهم عن تفضيل الرسل على الملائكة وتفضيل الملائكة على الرسل، وقالوا: الفضل لمن فضَّله الله، ليس ذلك بالجوهر، ولا بالعمل.

ولم يرواْ أحد الأمرين أوجب من الآخر بخبرٍ ولا عقلٍ.

وفضَّل بعضهم الرسل، وبعضهم الملائكة.

وقال محمَّد بن الفضل: «جملة الملائكة أفضل من جملة المؤمنين، وفي المؤمنين من هو أفضل من الملائكة»، كأنه فضَّل الأنبياء عليهم السَّلام على الملائكة.

وأجمعوا أنَّ بين الرسل تفاضلًا؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ولم يُعيِّنوا الفاضل والمفضول؛ لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَا تُخَيِّروا بين الأنبياء**»[1].

---

(١) حديث: «**لَا تُخَيِّروا بين الأنبياء**».

البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود مِنْ طريق سفيان، عن عَمرِو بنِ يحيَى المازنيِّ، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ مرفوعًا في حديثٍ طويلٍ.

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ مِنْ طريق أَبِي سلمة بنِ عبدِالرحمن، وسعيد بنِ المسيَّب، عن أبي هريرة مرفوعًا.

وأوجبوا فضل محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخبر: وهو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ، آدمُ ومَنْ دُونه تحت لِوائي**»[1]، وسائر الأخبار التي جاءت، وقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]،

---

(١) حديث: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ، آدمُ ومَنْ دُونه تحت لِوائي**».

الترمذيُّ مِنْ طريق سفيان، عن ابن جُدْعان، عن أَبِي نَضْرة، عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يوم القيامةِ، وبيدي لواءُ الحمدِ ولا فخرَ، وما من نبيٍّ يومئذٍ آدمُ فمن سِواه إلَّا تحت لِوائي وأنا أوَّلُ مَن تَنشقُّ عنه الأرضُ ولا فخرَ**».

قال الترمذيُّ: «وفي الحديث قصةٌ، وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ورواه ابنُ ماجه من طريق هُشَيمٍ، عن عليِّ بن زيد بن جُدْعان، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيدٍ مختصرًا بلفظ: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ ولا فخرَ، وأنا أوَّلُ من تَنشقُّ الأرضُ عنه يوم القيامةِ ولا فخرَ، وأنا أوَّل شافعٍ وأوَّل مُشفَّعٍ ولا فخرَ، ولواءُ الحمدِ بيدي يوم القيامةِ ولا فخرَ**».

ورواه الحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى، عن عُبادة بن الصَّامت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّدُ النَّاسِ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، ما من أحدٍ إلَّا وهو تحت لِوائي يوم القيامةِ...**» الحديث.

قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه»[*].

([*]) وفي الباب عن جماعة ذكرتُها بأسانيدها في "تَشْنِيف الآذان". (أحمد بن الصديق).

فلما كانت أمَّته خير الأمم، وجب أن يكون نبيُّها خير الأنبياء، وسائر ما في القرآن من الدلائل على فضله.

وأجمعوا جميعًا أنَّ الأنبياء أفضل البشر، وليس في البشر من يوازي الأنبياء في الفضل- لا صدِّيق، ولا ولي، ولا غيرهم- وإن جلَّ قدره وعظم خطره؛ قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ: «**هذان سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلين والآخرين، إلَّا النبيِّين والمرسلين**»[1] يعني: أبا بكرٍ وعمر، فأخبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنهما خير الناس بعد النبيين.

---

(١) حديثُ عليٍّ عليه السَّلام: «**هذان سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلين والآخرين، إلَّا النبيِّين والمرسلين**».

الترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق سفيان بنِ عُيينة، قال: ذَكَرَ داودُ، عن الشَّعبيِّ، عن الحرث، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أبو بكرٍ وعمر سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلين والآخرين، ما خلا النَّبيِّين والمرسلين، لا تُخبِرْهُما يا عليُّ**».

ورواه ابن ماجه من طريق سفيان، عن الحسن بن عُمارة، عن فِراسٍ، عن الشَّعبيِّ، عن الحارث، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أبو بكرٍ وعمرُ سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلين والاخرين، إلَّا النَّبيين والمرسلين، لا تُخبرهما يا عليُّ ما داما حيَّين**».

ورواه الترمذيُّ من طريق الوليد بن محمَّدٍ الموقَّريِّ، عن الزهريِّ، عن عليِّ بن الحسين، عن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: كنت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اذْ طلع أبو بكرٍ وعمر، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذان سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلين والآخرين، إلَّا النَّبيين والمرسلين، يا عليُّ لا تُخبرهما**».

قال أبو يزيد البِسطاميُّ: «آخر نهايات الصِّدِّيقين: أول أحوال الأنبياء، وليس لنهاية الأنبياء غايةٌ تدرك».

وقال سهل بن عبدالله: «انتهت همم العارفين إلى الحُجُب، فوقفت مُطْرقةً، فأُذن لها فسلَّمت، فخُلِع عليها خِلَع التأييد، وكتب لها براءةً من الزَّيغ، وهمم الأنبياء جالت حول العرش فكُسِيَت الأنوار، ورفع منها الأقذار، واتصلت بالجبار، فأفنى حظوظها، وأسقط مرادها، وجعلها متصرِّفةً به له».

قال أبو يزيد: «لو بدا للخلق من النبيِّ ذرَّةً لم يقم لها ما دون العرش».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه. والوليدُ بنُ محمد الموقَّريُّ يُضعَّفُ في الحديث، ولم يَسمع عليُّ بنُ الحسينِ مِنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ. وقد رُوِيَ هذا الحديث عن عليٍّ من غير هذا الوجه».

ورواه من طريق محمَّد بن كثيرٍ العبديِّ، عن الأوزاعيِّ، عن قتادة، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأبي بكرٍ وعمر: «**هذان سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلين والآخرين، إلَّا النَّبيين والمرسلين**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه».

قلتُ: قال ابنُ أبِي حاتمٍ في "العِلل": « ذكرتُ لأبِي، فقلتُ: سمعتُ يونسَ بنَ حبيبٍ، قال: ذكرت لعليِّ بن المدينيِّ حديثاً حَدَّثَنا به محمَّدُ بنُ كثيرٍ المصيفيُّ، عن الأوزاعيِّ، عن قتادة، عن أنسٍ، قال: نظر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى أبي بكرٍ وعُمرَ، فقال: «**هذان سيِّدا كُهُولِ أهلِ الجنَّة**»، فقال عليٌّ: كنتُ أشتهي أنْ أرى هذا الشَّيخ، فالآن لا أحبُّ أن أراه. فقال أبي: صدق؛ فإنَّ قتادة، عن أنسٍ لا يجيء هذا المتن».

وقال: «ما مثل معرفة الخلق وعلمهم بالنبيِّ، إلَّا مثل نَدَاوةٍ تخرج من رأس الزِّقِّ المربوط».

قال بعضهم: «لم ينل أحدٌ من الأنبياء الكمال في التسليم والتفويض غير الحبيب والخليل صلَّى الله عليهما، فلذلك أَيِسَ الكبراء عن الكمال، وإن كانوا في حال القُرْبة مع تحقيق المشاهدة».

قال أبو العباس بن عطاء: «أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين، وأدنى منازل الأنبياء أعلى مراتب الصِّدِّيقين، وأدنى منازل الصِّدِّيقين أعلى مراتب الشُّهداء، وأدنى منازل الشُّهداء أعلى مراتب الصَّالحين، وأدنى منازل الصَّالحين أعلى مراتب المؤمنين».

الباب الخامس والعشرون
قَوْلهم فيما أُضِيفَ إلى الأنبياء مِنَ الزَّلل

قال الجنيد والنوريُّ وغيرهما من الكبار: «إنَّ ما جرى على الأنبياء إنما جرى على ظواهرهم، وأسرارهم مستوفاةٌ بمشاهدات الحقِّ»، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وقالوا: ولا تصح الأعمال حتى يتقدمها العقود والنيات، وما لا عقد فيه ولا نية فليس بفعل، وقد نفى الله تعالى الفعل عن آدم بقوله: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

قالوا: ومعاتبات الحقِّ لهم عليها إنما جاءت إعلامًا للأغيار؛ ليعلموا عند إتيانهم المعاصي مواضع الاستغفار.

وأثبتها بعضهم، وقالوا: إنها كانت على جهة التأويل والخطأ فيه، فعوتبوا عليها لِعُلُوِّ مرتبتهم وارتفاع منازلهم، فكان ذلك زجرًا لغيرهم، وحفظًا لمواضع الفضل عليهم، وتأديبًا لهم.

وقال بعضهم: إنها كانت على جهة السهو والغفلة، وجعلوا سهوهم في الأدنى بالأرفع، وهكذا قالوا في سهو النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته[1]: إنَّ الذي

---

(١) حديثُ سهْوِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته.

مالكٌ في "الموطَّأ"، ومِنْ طريقِه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والنسائيُّ عن ابنِ شِهَابٍ، عن عبدِالرحمنِ الأعرج، عن عبدِالله بنِ بُحَيْنَةَ رضي الله عنه، قال: **صَلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ركعتين من بعض الصلوات، ثمَّ قام فلم يجلس، فقام النَّاسُ معه فلمَّا قَضَى صَلَاتَهُ ونَظِرْنا تسليمَهُ، كبَّرَ قبل التَّسليم فسَجَدَ سجدتين وهو جالسٌ ثمَّ سَلَّمَ.**

ورواه مالكٌ في "الموطَّأ"، والبخاريُّ من طريقه، عن يحيى بن سعيدٍ، عن عبدالرحمن الأعَرَج، عن عبدِالله بنِ بُحَينة رضي الله عنه أنَّه قال: **إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام مِنْ اثْنتين مِنَ الظُّهر، لم يجلس بينهما، فلمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سجدتين ثمَّ سلَّم بعد ذلك.**

ورواه مسلمٌ، والنَّسائيُّ مِنْ طريق حمَّاد، عن يحيى بن سعيدٍ، عن عبدِالرحمن الأعرج، عن عبدِالله بنِ مالكٍ بنِ بُحينة الأزديِّ، **أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام في الشَّفع الذي يريد أن يجلس في صلاته، فمضى في صلاته، فلما كان في آخر الصَّلاة سجد قبل أن يُسلِّم، ثمَّ سَلَّم.**

ورواه النَّسائيُّ من طريق شُعبَة، عن يَحيَى بن سعيدٍ، عن عبدالرحمن الأعرج، عن ابن بُحينة: **أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلَّى فقام في الرَّكعتين، فسَبَّحوا، فمَضَى فلمَّا فَرَغَ من صَلَاتِهِ سَجَدَ سجدتين ثمَّ سَلَّمَ.**

ورواه النَّسائيُّ أيضاً مِنْ طريق اللَّيث، عن يحيى بن سعيدٍ، عن عبدالرحمن بن هُرْمُزَ، عن عبدِالله بنِ بُحينة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم **أنَّه قام في الصَّلاة وعليه جُلُوسٌ فسَجَدَ سجدتين وهو جالسٌ قبل أن يُسلِّم.**

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، من طريق اللَّيثِ، عن ابن شهابٍ، عن الأعرج، عن عبدِالله بنِ بُحينة الأسدي حليفِ بني عبدِالمطلب: **أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام في صلاة الظهر وعليه جلوسٌ، فلما أتمَّ صلاته سجد سجدتين يُكبِّر في كل سجدةٍ وهو جالسٌ قبل أنْ يُسلِّم، وسجدهما النَّاس معه مكان ما نسِيَ مِنَ السجود.**

قال البخاريُّ: «تابعه ابنُ جُريجٍ، عن ابنِ شِهابٍ في التكبير».

قال الحافظُ -رحمه الله- في "الفتح": «وصله عبدُالرزاق عنه، ومن طريقه الطبرانيُّ ولفظه: «يُكبِّر في كلِّ سجدةٍ».

وأخرجه أحمدُ عن عبدِالرزاق، ومحمَّد بن بكيرٍ كِلاهما عن ابنِ جُريجٍ بلفظ: «فكبَّر فسجد، ثُمَّ كبَّر فسجد، ثُمَّ سلَّم».

ورواه أبو داود من طريق شعيب، عن الزهريِّ، به.

قال أبو داود: «زاد وكان مِنَّا المتشهِّد في قيامه».

ورواه ابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهريِّ، عن الأعرج، عن ابن بُحينة: **أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى صلاة أظن أنَّها الظهر، فلمَّا كان في الثانية قام قبل أن يجلس، فلمَّا كان قبل أن يُسلِّم سجد سجدتين.**

ورواه أيضًا مِنْ طريق ابنِ نُميرٍ، وابنِ فُضيلٍ، ويزيد بن هارون، وابن خالدٍ الأحمر، وأبي معاوية، كلُّهم عن يحيى بن سعيدٍ، عن عبدِالرحمن الأعرج، عن ابنِ بُحينة أخبره: **أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام في ثنتين مِنَ الظهر نسي الجلوس، حتى إذا فرغ من صلاته إلَّا أن يُسلِّم، سجد سجدتي السهو وسلَّم.**

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه من طريق شعبة، عن الحكم، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدِالله رضي الله عنه: **أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلَّى الظهر خمسًا، فقيل له: أزيدَ في الصَّلاة؟ فقال: وما ذاكِ؟ قال: صَلَّيتَ خمسًا؛ فسجد سجدتين بعد ما سلَّم.**

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه من طريق منصورٍ، عن إبراهيم، عن علقمة: قال: قال عبدالله: صَلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فزاد فيها أو نقص، فلمَّا

سلَّم قيل له: يا رسول الله أَحَدَثَ في الصَّلاة شيءٌ؟ قال: «وما ذاك؟» قالوا صلَّيتَ كذا وكذا، قال: فثنَّى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين، ثُمَّ سَلَّم، ثُمَّ أقبل علينا بوجهه، فقال: **«إنَّه لو حدث في الصَّلاة شيءٌ أنبأتُكم به، ولكن إنَّما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني، وإذا شكَّ أحدكم في صلاته فليتحرَّ الصَّواب، فليتمَّ عليه، ثُمَّ يسجد سجدتين»**.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه من طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله، قال: صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فزاد أو نقص- قال إبرهيم: والوهم منِّي- فقيل: يا رسول الله أَزِيدَ في الصَّلاة شيءٌ؟ فقال: **«إنَّما أنا بشرٌ مثلكم أنسَى كما تنسون، فإذا نسيَ أحدُكم فليسجد سجدتين وهو جالسٌ»**، ثُمَّ تحوَّل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسجد سجدتين.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ في "المجتبَى" مِنْ طريق الحسن بنِ عُبيدِ الله، عن إبراهيم بن سويدٍ، عن علقمة، قال: قال عبدُالله: صَلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خمسًا فلمَّا انفتل، توشوش القومُ بينهم. فقال: **«ما شأنكم؟»**. قالوا: يا رسولَ الله هل زِيدَ فى الصَّلاة؟ قال: **«لا»**. قالوا: فإنَّك قد صلَّيتَ خمسًا. فانفتل فسجد سجدتين ثُمَّ سلَّم ثُمَّ قال: **«إنَّما أنا بشرٌ أنسى كما تنسون »**.وهذا لفظ أبي داود.

ورواه مسلمٌ، والنَّسائيُّ من طريق أبي بكر النهشليِّ، عن عبدِالرحمن بن الأسود، عن أبيه، عن عبدِالله، قال: صلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خمسًا. فقلنا: يا رسول الله أَزِيدَ في الصلاة؟ قال: **«وما ذاك؟»** قالوا: صليتَ خمسًا، قال: **«إنَّما أنا بشرٌ مثلكم أذكر كما تذكرون، وأنسى كما تنسون، ثُمَّ سجد سجدتي السَّهو»**.

ورواه مسلمٌ من طريق سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدِالله، قال: صَلَّينا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإمَّا زاد وإمَّا نقص- قال إبراهيم: وأيمُ الله ما جاء ذاك إلَّا مِنْ قِبَلِي- قال: قلنا: يا رسول الله أَحَدَث في الصَّلاة شيءٌ؟ فقال: «**لا**»، قال: فقلنا له الذي صنع، فقال: «**إذا زاد الرجل أو نقص فليسجد سجدتين**»، قال: فسجد سجدتين.

ورواه البخاريُّ، وأبو داود، والنَّسائيُّ مِنْ طريق شُعبة، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال صلَّى بنا النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الظُّهرَ أو العصر فسلَّم، فقال له ذو اليَدَين: الصلاةُ يا رسولَ الله أَنَقَصتْ؟ فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «**أحقٌّ ما يَقول؟**» قالوا: نعم؛ فصلَّى ركعتين، ثُمَّ سجد سجدتين.. الحديث.

ورواه البخاريُّ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ مِنْ طريقِ مالكٍ، عن أيُّوب بن أبي تَميمَةَ، عن ابْنِ سِيرِين، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انصرف مِن اثنتين، فقال له ذُو اليدين: أَقَصُرَت الصَّلاة أم نَسِيتَ يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أصَدَقَ ذو اليدين؟**»، فقال النَّاس: نعم، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلَّى اثنتين أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سلَّم، ثُمَّ كبَّرَ فسجد مثل سُجُودِهِ أو أطول، ثُمَّ رفع».

ورواه البخاريُّ من طريق يَزِيد بن إبراهيم، عن محمَّدٍ ـ هو ابن سِيرِين -، عن أبي هريرة قال: صَلَّى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إحدَى صَلاتي العَشِيِّ - قال محمَّدٌ: وأكثرُ ظَنِّي العصر- ركعتين ثُمَّ سَلَّم، ثُمَّ قام إلى خَشَبَةٍ في مُقَدَّم المسجدِ فوَضَعَ يده عليها وفيهم أبو بكرٍ، وعُمرُ رضي الله عنهما فهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ؛ وخرج سَرَعَانُ النَّاسِ فقالوا: أَقَصُرَت الصَّلاة؟ ورجلٌ يَدعُوه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذُو اليدين فقال: أَنَسِيتَ أم قَصُرَتْ؟ فقال: «**لم أَنسَ، ولم**

تُقصَر» قال: بلَى قد نَسِيتَ. فصَلَّى ركعتين، ثُمَّ سَلَّم، ثُمَّ كَبَّرَ فسجد مِثلَ سُجُودِه، أو أَطوَلَ، ثُمَّ رَفَعَ رأسه فكَبَّر، ثُمَّ وَضَعَ رأسه فكَبَّر فسجد مثل سُجُودِه، أو أطول، ثُمَّ رَفَعَ رأسه وكَبَّر.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود مِنْ طريق حمَّاد، عن أيُّوب، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرة، قال: صَلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إحدى صلاة العَشِيِّ... الحديث.

ورواه مسلمٌ، والنَّسائيُّ من طريق مالكٍ، عن داود بنِ الحُصَين، عن أبي سفيانَ مَوْلَى ابنِ أبِي حُميدٍ، أنَّه قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ: صلَّى لنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة العصر، فسلَّم في ركعتين، فقام ذُو اليَدَين.. الحديث.

ورواه مسلمٌ مِنْ طريقِ سفيانَ بنِ عُيينة، عن أيُّوب، عن ابنِ سِيرِين، عن أبي هريرة قال: صَلَّى بنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إحدَى صلاتَيِ العَشِيِّ إمَّا الظُّهر، وإمَّا العصرُ، فسَلَّم في ركعتين، ثُمَّ أتى جِذْعاً في قِبلة المسجد.. الحديث.

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق شيبان، عن يحيَى، عنْ أبِي سَلَمة، عن أبي هريرة، قال: بينا أنا أُصَلِّي مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلاة الظُّهر، سَلَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الركعتين، فقام رجلٌ مِنْ بني سُلَيمٍ...، واقتصَّ الحديث.

ورواه مِنْ طريق عليِّ بنِ المبارك، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلَّى ركعتين من صلاة الظُّهر، ثُمَّ سَلَّم. فأتاه رجلٌ من بني سُلَيمٍ فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيتَ؟ وسَاق الحديث.

ورواه أبو داود، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه مِنْ طريق ابن عَوْنٍ، عن ابنِ سِيرِين، عن أبي هريرة قال: صَلَّى بنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إحدى صَلاتي العَشِيِّ، قال أبو هريرة:

ولكنِّي نسيت، قال: فصَلَّى بنا ركعتين ثمَّ سلَّم. فانطلق إلى خشبةٍ مَعرُوضَةٍ في المسجد.. الحديث.

ورواه أبو داود مِنْ طريق هشام، ويحيَى بنِ عتيق، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرة.

ورواه مِنْ طريق مسلمة بنِ علقمة، عن محمَّدٍ، عن أبي هريرة.

ورواه من طريق الأوزاعيِّ، عن الزهريِّ، عن سعيد بن المسيَّب، وأبي سلمة، وعُبيدِ الله بنِ عبدِالله، عن أبي هريرة.

ورواه من طريق ابن أبي ذئبٍ، عن سعيدِ بنِ أبِي سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي هريرة.

ورواه من طريق عكرمة بن عمَّار، عن ضَمْضَم بن جَوْش، عن أبي هريرة.

ورواه النَّسائيُّ من طريق اللَّيث، عن يزيد بن أبي حَبيبٍ، عن عِمرانَ بنِ أبِي أنسٍ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ورواه مِنْ طريق يونس، عن ابنِ شهابٍ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ورواه من طريق معمرٍ، عن الزهريِّ، عن أبي سلمة، وأبي بكر بن أبي خيثمة، عن أبي هريرة.

ورواه مسلمٌ، وابنُ ماجه مِنْ طريق عبدِالوهاب، عن خالدٍ - هو الحذَّاء -، عن أبِي قِلابة، عن أبي المهلَّب، عن عِمرانِ بن حُصينٍ، قال: سلَّم رسولُ الله صلَّى اله عليه وآله وسلَّم في ثلاث ركعاتٍ من العصر، ثُمَّ قام فدخل الحجرة، فقام رجلٌ بَسِيطُ اليدَين، فقال أقَصُرتِ الصَّلاة يا رسول الله؟ فخرج مغضبًا فصلَّى الركعة التي كان ترك، ثُمَّ سلَّم، ثُمَّ سجد سجدتي السهو، ثُمَّ سلَّم.

ورواه من طريق ابنِ إبراهيمَ، عن خالدٍ، عن أبي قِلابة، عن أبي المهلَّب، عن عِمران بن حُصينٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى العصر فسلَّمَ في ثلاث ركعاتٍ، ثُمَّ دخل منزله، فقام إليه رجلٌ، يقال له: الخِرْباق - وكان في يديه طولٌ -، فقال: يا رسولَ الله، فذَكَر له صنيعَه، وخرج غضبانًا يجرُّ رِداءَه حتى انتهى إلى النَّاس، فقال: أصَدَقَ هذا؟ قالوا: نعم. فصلَّى ركعتين، ثُمَّ سلَّم، ثُمَّ سجد سجدتين، ثُمَّ سلَّم.

ورواه أبو داود، والنَّسائيِّ من طريق يزيد بن زُرَيعٍ، عن خالدٍ الحذَّاء، عن أبي قِلابة، عن أبي المهلَّب، عن عمران بن حُصينٍ بمثل حديث إسماعيل بن إبراهيم.

ورواه أبو داود من طريق سلمة بن محمَّدٍ، عن خالدٍ الحذَّاء، عن أبي قِلابة، عن أبي المهلَّب، عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ، بِمِثْلِ حديثِ يزيد بنِ زُرَيعٍ، وإسماعيلَ بنِ إبراهيم.

ورواه الترمذيُّ، والنَّسائيُّ من طريق محمَّد بن سيرين، عن خالدٍ الحذَّاء، عن أبي قِلابة، عن أبي المهلَّب، عن عِمران بن حُصينٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى بهم فسها؛ فسجد سجدتين، ثُمَّ سلَّم.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ».

وروى محمَّدُ بنُ سِيرين عن أبي المُهلَّب - وهو عمُّ أبي قِلابة - غيرَ هذا الحديث، وروَى محمَّدٌ هذا الحديث عن خالدٍ الحذَّاء، عن أبي قِلابة، عن أبي المُهلَّب.

وأبُو المُهلَّب اسمُه عبدُالرحمن بنُ عَمرٍو، ويقال أيضًا: معاوية بنُ عَمرٍو.

وقد روَى عبدُالوهاب الثقفيُّ، وهُشيمٌ، وغيرُ واحدٍ هذا الحديثَ عن خالدٍ الحذَّاء، عن أبي قِلابة بطوله. وهو حديثُ عِمرانَ بنِ حُصينٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: سلَّم في ثلاث ركعاتٍ من العصر؛ فقام رجلٌ يقال له الخِرْباق...».

شغله عن صلاته كان أعظم من الصَّلاة؛ لقوله: «**وجُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة**»[1].
فأخبر أنَّ في الصَّلاة ما تقرُّ به عينه، ولم يقل جُعلت قرَّة عيني الصَّلاة.

ورواه أبو داود، وابن ماجه، من طريق أَبِي أسامةَ، عن عُبيدِ الله بنِ عُمر، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمر أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سَهَا فسلَّم في الركعتين؛ فقال له رجلٌ يقال له ذو اليدين: يا رسول الله أَقَصُرَتْ أو نَسيتَ؟ قال: «**ما قَصُرتْ وما نَسيتُ**». قال: إذاً فصلَّيتَ ركعتين. قال: «**أكَما يقول ذو اليدين؟**»، قالوا: نعم، فتقدَّم فصلَّى ركعتين، ثُمَّ سلَّم، ثُمَّ سجد سجدتي السَّهو.

(١) حديث: «**وجُعِلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة**».

أحمدُ في "الزهد"، والنَّسائيُّ في "المجتبى"، والحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق سيَّار، حدَّثنا جعفرٌ، حدَّثنا ثابتٌ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «حُبِّب إليَّ النِّساء والطِّيب، وجُعلت قُرَّة عيني في الصَّلاة».

وسيَّار: هو ابنُ حاتمٍ، ضعيفٌ، واتُّهِمَ بالكذب.

ورواه أحمد، والنَّسائيُّ في "المجتبى"، وابنُ أَبِي شيبة، وابنُ سعدٍ، والبزَّار، وأَبُو يعلَى، وابنُ عَدِيٍّ في "الكامل"، والعقيليُّ في "الضعفاء" مِنْ طريق سلَّام بنِ أَبِي المُنذِر، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبِّب إليَّ مِنَ الدنيا: النِّساءُ، والطِّيبُ، وجُعلت قرَّة عيني في الصَّلاة».

وسلَّامٌ: فيه لِينٌ. وأعلَّهُ ابنُ عدِيٍّ في "الكامل"، والعقيليُّ في "الضعفاء" به.

وقال الدارقطنيُّ في "العلل": «رواه أَبُو المنذرِ سَلَّامُ بنُ أَبِي الصَّهباء، وجعفرُ بنُ سليمان؛ فرَوَوْهُ عن ثابتٍ، عن أنسٍ. وخالفهم حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن ثابتٍ مرسلاً.

وكذا رواه محمَّدُ بنُ ثابتٍ البصريُّ، والمرسلُ أشبهُ بالصَّواب».

وقد رواه عبدُالله بنُ أحمدَ في زيادات الزُّهدِ، عن غيرِ أبيه مِنْ طريق يوسفَ بنِ عطية، عن ثابتٍ مرسلاً أيضًا. ويوسفُ: ضعيفٌ.

وله طريقٌ أخرى معلولةٌ عند الطبرانيِّ في "الأوسط"، عن محمَّدِ بنِ عبدِالله الحضرميِّ، عن يحيي بن عثمان الحربيِّ، عن الهقل بن زيادٍ، عن الأوزاعيِّ، عن إسحاقَ بنِ عبدِالله بنِ أبي طلحة، عن أنسٍ مثله.

تنبيه: اشتهرَ هذا الحديث على الألسنة بزيادة: «حُبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث».

قال الحافظ رحمه الله في "تخريج أحاديثِ الكشَّاف": «ليس في شيءٍ من طرقه لفظُ: ثلاثٍ، بل أوَّلُه عند الجميع: «**حُبِّبَ إليَّ مِنْ دُنياكم النِّساء...**» الحديث. وزيادةُ: ثلاث، تُفسِدُ المعنى».

قال: «علَى أنَّ الإمامَ أبا بَكْرِ بنِ فورَك شَرَحه في جزءٍ مفردٍ (*) بإثباتها. وكذلك أورده الغزاليُّ في "الإحياء" واشتهر على الألسنة».

وقال الحافظ السيوطيُّ رحمه الله في "الحاوي": «ليس في الحديث لفظُ: ثلاثٍ. ومَنْ زاد في الحديث لفظةَ: ثلاثٍ، فقد وهَّمُوه؛ لأنَّ الصَّلاة ليست من أمور الدنيا، فالمخصوص بِحُبه مِنْ أمرِ الدنيا اثنان: النِّساءُ والطِّيبُ. وهما بالنسبة إليه دينٌ لا دنيا؛ ولهذا قال: مِنْ دنياكم، ولم يقل: مِنْ دنياي ولا مِنَ الدنيا. وأشار بهذه الإضافة إلى أنَّها من دنيا النَّاس لأنَّهم يقصدونها لِلاسْتِلذاذ وحظوظِ النَّفس. وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُنزَّهٌ عن ذلك، وإنَّما حُبِّب إليه=

(*) ضمَّنه الحافظُ السخاوي جزءًا جَمَعه في طُرُقِ هذا الحديث. وقد قرأتُه والحمد لله. (أحمد بن الصديق).

وكل من أثبتها زللًا وخطايا، فإنهم جعلوها صغائر مقرونةً بالتوبة؛ كما قال الله تعالى مُخبرًا عن صفيِّه آدم وزوجته عليهما السَّلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية، وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]، وفي داود عليه السَّلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

= النِّساء؛ لِيَنْقلنَ عنه محاسنَه ومعجزاتِه الباطنةَ، وأحكامَ الشريعة التي لا يطَّلع عليها الرجال غالباً، وللقيام بأودهنَّ، ولِيتشرَّف أصحابُه بمصاهرته، وغير ذلك مِنَ الفوائد الدينية». اهـ.

قلت: مَنْ زاد لفظَ: ثلاث، في هذا الحديث، اشتبه عليه الأمرُ بحديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد في "المسند"، قال: «**كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعجِبُه مِنَ الدنيا ثلاثة: الطَّعام، والنِّساء، والطِّيب. فأصاب ثِنْتَيْنِ، ولم يُصِب واحدةً، أصاب النِّساءَ، والطِّيبَ، ولم يُصِب الطعام**».

فزاد الجاهلون بالحديث لفظَ: ثلاث في حديث الباب ظنًّا منهم أنَّ معناهما واحدٌ، والفرق بين ذلك ظاهرٌ معنًى ولفظاً. والله أعلم.

الباب السادس والعشرون

قولهم في كرامات الأولياء

أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات، كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطيِّ الأرض، وظهور الشيء في غير مَوْضعه ووقته.

وقد جاءت الأخبار بها، وصحَّت الرِّوايات، ونطق بها التنزيل مِن قصة الذي عنده علمٌ من الكتاب في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وقصة مريم حين قال لها زكريا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]، قصة الرَّجلين اللذَيْنِ كانا عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ خرَجا فأضاءَ لهما سوطهما[1]، وغير ذلك.

---

(١) **قوله**: قصة الرَّجلين اللذَيْنِ كانا عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ خرَجا فأضاءَ لهما سوطهما.

البخاريُّ في "صحيحه"، مِنْ طريق همَّامٍ، عن قتادة، عن أنسٍ رضى الله عنه أنَّ رجلين خرجا مِنْ عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ مظلمةٍ، وإذا نورٌ بين أيدِيهما حتى تفرَّقا، فتفرَّق النُّورُ بينهما.

وعلَّقه البخاريُّ مِنْ طريق حمَّاد بنِ سلَمة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ: كان أُسيدُ بنُ حُضَيرٍ، وعبَّادُ بنُ بِشرٍ عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ووصلَه أحمدُ، والحاكمُ في "المستدرك"، وأبو نعيمٍ في "الدلائل" بلفظ: أَنَّ أُسيدَ بنَ حُضيرٍ، وعبَّادَ بنَ بِشرٍ كانا عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظلماء حِنْدِسٍ، فخرجا

وجواز ذلك في عصر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وغير عصره واحدٌ؛ وذلك أنه إذا كانت في عصر النبيِّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على معنى التصديق له، كان في غير عصره على معنى التصديق؛ وقد كان بعدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لِعُمَرَ بنِ الخطَّاب حين نادَى سَاريةَ، قال: يا سارِيَةَ بنَ حصن، الجَبلَ الجَبلَ. وعُمرُ بالمدينة، وساريةُ في وجه العدوِّ على مسيرة شهرٍ(١)، والأخبار في هذا كثيرةٌ وافرةٌ.

مِنْ عنده، فأضاءتْ عَصَا أحدِهما مِثل السِّراج، فمَشَيا في ضوءها، حتى إذا افترَقا إلى منزلها أضاءتْ عَصَا الآخر.

وعلَّقه البخاريُّ أيضًا مِنْ طريق مَعْمرٍ، عن ثابتٍ.

ووصله عبدُالرزاق في "مصنَّفه"، ومِنْ طريقِه الإسماعيليُّ بلفظ: إنَّ أسيدَ بنَ حُضَيرٍ ورجلًا مِنَ الأنصار تحدَّثا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتَّى ذهب مِنَ الليل ساعة، في ليلةٍ شديدة الظلمة، ثُمَّ خرجا وبيَـدِ كلٍّ منهما عُصَيَّةٌ، فأضاءت عصَا أحدِهما حتَّى مَشَيا في ضوءها، حتَّى إذا افترقتْ بهما الطريقُ أضاءت عصا الآخر، فمشَى كلٌّ منهما في ضوءِ عصاه حتَّى بلغ أهلَـه.

(١) **قوله**: وقد كان بعدَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لِعُمَرَ بنِ الخطَّاب حين نادَى سَاريةَ، قال: يا سارِيَةَ بنَ حصن، الجَبلَ الجَبلَ. وعُمرُ بالمدينة، وساريةُ في وجه العدوِّ على مسيرة شهرٍ.

البيهقيُّ في "الدلائل"، واللالكائيُّ في "شرْح السنَّة"، والزَّينُ عَاقولي في "فوائده"، وابنُ الأعرابيِّ في "كرامات الأولياء"، مِنْ طريق ابنِ وهْبٍ، عن يحيَى بنِ أيُّوبٍ، عن ابنِ عَجْلان، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمر قال: وجَّه عمرُ رضى الله عنه جيشًا ورأَّسَ عليهم رجلاً يُدعَى ساريَة.

وإنما أنكر جواز ذلك من أنكر؛ لأنَّ فيه زعم إبطال النبوَّات، لأنَّ النبيَّ لا يظهر عن غيره إلَّا بمعجزةٍ يأتي بها، تدل على صدقه، ويعجز عنها غيره، فإذا ظهرت على يدي غيره لم يكن بينه وبين من ليس بنبيٍّ فرقٌ، ولا دليلٌ على صِدْقه.

قالوا: وفيه تعجيز الله عن إظهار نبيٍّ عن من ليس بنبيٍّ!

وقال أبو بكر الورَّاق: «النبيُّ لم يكن نبيًّا للمعجزة، وإنما كان نبيًّا بإرسال الله تعالى إيَّاه، ووحيه إليه، فمن أرسله الله وأوحى إليه فهو نبيٌّ كانت معه معجزةٌ أو لم تكن، ووجب على من دعاه الرسول الإجابة له وإن لم يره معجزةً، وإنما كانت المعجزات

فبينا عمرُ يَخطبُ جعل يُنادي: يا سارية، الجبلَ. ثلاثاً. ثُمَّ قدِمَ رسولُ الجيش فسأله عمرُ، فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمْنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي: يا سارية، الجبل. ثلاثاً؛ فأسندنا ظهرَنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى. قال: قِيلَ لِعُمرَ: انَّك كنتَ تَصيحُ بذلك.

وهذا إسنادٌ حسنٌ كما قال الحافظ رحمه الله في "الإصابة".

ورواه الواقديُّ عن أسامةَ بنِ زيدِ بنِ أسلَم، عن أبيه، عن عُمر.

ورواه سيفٌ، عن أبِي عُثمان، وأبِي عَمرِو بنِ العَلاء عن رجلٍ مِنْ بنِي مازن، فذَكَر القصة.

ورواه ابنُ مَرْدَويه مِنْ طريقِ مَيمون بنِ مهران، عن ابنِ عُمرَ، عن أبيه.

قال الإمامُ أبُو القاسِمِ القُشَيْرِيُّ رحمه الله في "رسالتِه": «والأثرُ عن أميرِ المؤمنين عمرَ بنِ الخطَّاب رضى الله عنه صحيحٌ أنَّه قال: يا ساريةَ الجبلَ، في حال خطبتِه يومَ الجمعة وتبليغ صوت عُمر في ذلك الوقت حتَّى تَحرَّزوا مِنْ مكان العدوِّ مِنَ الجبل في تلك الساعة».

لإثبات الحجَّة على من أنكر، ووجوب كلمة العذاب على من عاند وكفر، وإنما وجبت الإجابة للنبي بدعوته؛ لأنه يدعوه إلى ما أوجب الله عليه: من توحيده، ونفي الشركاء عنه، وإتيان ما ليس في العقل استحالته، بل وجوبه أو جوازه.

والأصل في ذلك أنهما عينان: نبيٌّ ومتنبي، فالنبيُّ صادقٌ، والمتنبي كاذبٌ، وهما يشتبهان في الصورة والتركيب.

وأجمعوا أنَّ الصادق يؤيده الله بالمعجزة، والكاذب لا يجوز له ما يكون للصادق؛ لأنَّ في هذا تعجيز الله عن إظهار الصادق من الكاذب.

فأمَّا إذا كان وليٌّ صادق وليس بنبيٍّ فإنه لا يدَّعي النبوة، ولا ما هو كذبٌ وباطلٌ، وإنما يدعو إلى ما هو حقٌّ وصدقٌ، فإن أظهر الله عليه كرامة لم يقدح ذلك في نبوة النبيِّ، ولا أوجب شبهةً فيها؛ لأنَّ الصادق يقول ما يقوله النبيُّ، ويدعو إلى ما يدعوا إليه النبيُّ، فظهور الكرامة له تأييد للنبيِّ، وإظهار لدعوته، وإلزام لحجَّته، وتصديقه فيما يدعوه ويدَّعيه من النبوة، وإثبات توحيد الله عزَّ وجلَّ.

وجوَّز بعضهم أن يُرِيَ الله أعداءه في خاصَّة أنفسهم وفيما لا يوجب شبهة ما يخرج من العادات، ويكون ذلك استدراجًا لهم، وسببًا لهلاكهم؛ وذلك أنها تولد في أنفسهم تعظما وكبرياء، ويرون أنها كراماتٌ لهم استأهلوها بأعمالهم، واستوجبوها بأفعالهم، فيتَّكلون على أعمالهم، ويرون لهم الفضل على الخلق، فيزرون بعباده، ويأمنون مكره ويستطيلون على عباده.

وأمَّا الأولياء فإنهم إذا ظهر لهم من كرامات الله شيءٌ، ازدادوا لله تذلُّلًا وخضوعًا، وخشيةً واستكانةً، وإزراءً بنفوسهم، وإيجابًا لحقِّ الله عليهم، فيكون ذلك زيادةً لهم في أمورهم، وقوةً على مجاهداتهم، وشكرًا لله تعالى على ما أعطاهم.

فالذي للأنبياء معجزات، وللأولياء كرامات، وللأعداء مخادعات.

وقال بعضهم: إنَّ كرامات الأولياء تجري عليهم من حيث لا يعلمون، والأنبياء تكون لهم المعجزات وهم بها عالمون، بإثباتها ناطقون؛ لأنَّ الأولياء قد يُخشى عليهم الفتنة مع عدم العصمة، والأنبياء لا يُخشى عليهم الفتنة بها؛ لأنهم معصومون.

قالوا: وكرامة الوليِّ بإجابة دعوةٍ، وتمام حالٍ، وقوةٍ على فعلٍ، وكفاية مؤنة يقوم لهم الحقُّ بها، وهي مما يخرج عن العادات.

ومعجزات الأنبياء إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وتقليب الأعيان.

وجوَّز بعض المتكلمين وقومٌ من الصوفية إظهارها على الكذَّابين مِن حيث لا يعلمون وقت ما يدَّعونها فيما لا يوجب شبهةً، كما روي في قصة فرعون مِن جري النيل معه، وكما أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قصة الدجال: «**أنه يقتل رجلًا ثُمَّ يُحييه فيما يُخيَّل إليه**»[1]، قالوا: إنما جاز ذلك لأنهما ادَّعيا ما لا يوجب شبهةً؛ لأنَّ أعيانهما تشهد على كذبهما فيما ادَّعياه من الربوبية.

---

(١) حديث: «**إنَّ الدجَّال يَقتـلُ رجلاً ثُمَّ يُحْييه فيما يُخيَّـلُ إليه**».

البخاريُّ، ومسلمٌ مِنْ طريق الزهريِّ، أخبرني عُبيدُ الله بنُ عبدِالله بنِ عُتبةَ بنِ مسعودٍ، أنَّ أبا سعيدٍ قال: حدَّثنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا حديثًا طويلًا عن الدَّجَّال، فكان فيما يُحدِّثُنا به أنَّه قال: «**يأتي الدَّجَّالُ وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يَدخلَ نِقابَ المدينة، فَـيَنزلُ بعضَ السِّباخِ التي تَلِي المدينةَ. فيَخرجُ إليه يومئذٍ رجلٌ هو خيرُ النَّاس، أو مِنْ خيرِ النَّاس. فيَقولُ: أشهدُ أنَّك الدَّجَّالُ الذي حدَّثنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديثَه. فيَقول الدَّجَّالُ:**

واختلفوا في الوليِّ: هل يجوز أن يعرف أنه وليٌّ أم لا؟

فقال بعضهم: لا يجوز ذلك؛ لأنَّ معرفة ذلك تُزيل عنه خوف العاقبة، وزوال خوف العاقبة يوجب الأمن، وفي وجوب الأمن زوال العبودية؛ لأنَّ العبد بين الخوف والرجاء، قال الله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال الأجلَّة منهم والكبار: يجوز أن يعرف الوليُّ ولايته؛ لأنها كرامةٌ من الله تعالى للعبد، والكرامات والنِّعم يجوز أن يُعلم ذلك فيقتضي زيادة الشكر.

والولاية ولايتان: ولايةٌ تُخرج من العداوة، وهي لعامَّة المؤمنين، فهذه لا توجب معرفتها والتحقق بها للأعيان، لكن من جهة العموم، فيقال: المؤمن وليُّ الله.

وولاية اختصاصٍ واصطفاءٍ واصطناعٍ، وهذه توجب معرفتها والتحقق بها، ويكون صاحبها محفوظًا عن النظر إلى نفسه فلا يدخله عجب، ويكون مسلوبًا من الخلق

أرأيتُم انْ قتلتُ هذا ثُمَّ أحييْتُه، هل تَشُكُّونَ في الأمر؟ فيقولُون: لا. فيَقتلُه ثُمَّ يُحيِيه. فيَقول: والله ما كنتُ فيك أشدَّ بصيرةً مِنِّي اليومَ. فيُريدُ الدَّجَّالُ أنْ يَقتلَه فلا يُسَلَّطُ عليه».

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، وابنُ ماجه مِنْ طريق عبدِالرحمنِ بنِ يزيد بنِ جابرٍ، عن يحيَى بنِ جابرِ الطَّائيِّ، عن عبدِالرَّحمن بنِ جُبيرِ بنِ نُفيرٍ، عن أبيه جُبيرِ بنِ نفير، عن النّوَّاسِ بنِ سَمعان قال: ذكرَ رسولُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الدَّجَّالَ ذاتَ غداةٍ، فخفضَ فيه ورفع، حتى ظننَّاه في طائفة النَّخل، فذكَرَ حديثاً طويلاً، وفيه: «**ثُمَّ يدعو رجلاً ممتلِئاً شَبابًا، فيَضربُه بالسَّيف فيَقطعُه جِزلَتَين رَمْيَةَ الغرض، ثُمَّ يَدعوه فيُقبِلُ**...» الحديث.

-بمعنى النظر إليهم بحظٍّ- فلا يفتنونه، ويكون محفوظًا عن آفات البشرية، وإن كان طبع البشرية قائمًا معه، باقيًا فيه، فلا يستحلي حظًّا من حظوظ النفس استحلاءً يفتنه في دينه واستحلاء الطبع قائمٌ فيه، وهذه هي خصوص الولاية من الله للعبد.

ومن كان بهذه الصفة: لم يكن للعدوِّ إليه طريق -بمعنى الإغواء-؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وهو مع هذا ليس بمعصومٍ من صغيرةٍ ولا كبيرةٍ، فإن وقع في أحديها قارنته التوبة الخالصة، والنبيُّ معصومٌ لا يجري عليه كبيرةٌ بإجماعٍ، ولا صغيرةٌ عند بعضهم.

وزوال خوف العاقبة ليس بممتنعٍ، بل هو جائزٌ؛ فقد أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه بأنهم من أهل الجنَّة[1]، وشهد للعشرة بالجنَّة، والراوي له سعيد بن

---

(١) **قوله**: أخبرَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابَه بِأَنَّهم مِنْ أهلِ الجَنَّة.

هذا الإخبار مأخوذٌ مِنْ طريق اللازم؛ لأنَّ الصَّحابةَ الذين أخبر الرسولُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنَّهم مِنْ أهل الجنَّة قليلون بالنسبة لجميع الصحابة. لكنْ أخبر أنَّ أصحابَه خيرُ القُرون، وأنَّ أحدَنا لو أنفقَ أُحُداً ذَهبًا لَما بلَغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفه، إلى غير هذا مِنَ الأخبار التي تَشْهدُ لِجميعِهم بالفضل.

وأمَّا كونُه بشَّرَ الكلَّ بالجنَّة، فهذا لم يَرِدِ التصريحُ به في خبرٍ مطلقًا. ولو وَرَدَ ذلك، لَما كان لِتخصيص العَشَرةِ المُبشَّرين بِالذِّكر معنًى.

واستدلَّ ابنُ حزمٍ لِقولِه: بأنَّهم كلَّهم مِنْ أهل الجنَّة بِقول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وبقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا

زيد[1]، وهو أحد العشرة المبشَّرة بالجنَّة، وشهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توجب سكونًا إليها، وطمأنينة بها، وتصديقًا لها، وهذا يوجب الأمن من التغيير، وزوال خوف التبديل لا محالة.

ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قال: «فثَبَتَ أنَّ الجميعَ مِنْ أهل الجنَّة وأنَّه لا يَدخلُ أحدٌ منهم النَّار؛ لأنَّهم المخاطَبُون بالآية السابقة».

قال الحافظُ رحمه الله في "الإصابة": «فإنْ قِيلَ التَّقييدُ بالإنفاقِ والقتال يُخرِجُ مَنْ لم يتَّصفْ بذلك، وكذلك التَّقييدُ بالإحسان في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠] الآية، يُخرِجُ مَنْ لم يتَّصف بذلك وهي مِنْ أصرَحِ ما ورد في المقصود. ولهذا قال المَازريُّ في شرْح البرهان: «لسنا نعني بقولنا: الصحابةُ عُدُولٌ كلَّ مَنْ رآه صلَّى الله عليه وآله وسلم يومًا ما، أوزاره لمامًا، أو اجتمع به لِغرضٍ وانصرفَ مِنْ كَـثَبٍ، وإنَّما نعنِي به الذين لازَمُوه وعزَّروهُ، ونصرُوه واتَّبَعوا النُّورَ الذي أُنْزِلَ معه، أولئك هم المفلحون».

قال الحافظُ رحمه الله: «والجوابُ عن ذلك، أنَّ التَّقييداتِ المذكورةَ خرجَتْ مَخرجَ الغالب، والَّا فالمرادُ مَنِ اتَّصَفَ بالإنفاق والقتالِ بالفعل أو القوة».

وأمَّا كلامُ المازريِّ فلم يُوافَقْ عليه، بل اعترضَه جماعةٌ مِنَ الفضلاء. ثُمَّ ذكَرَ مَنْ ردَّ ذلك، فليُراجع.

(١) **حديث سعيدِ بنِ زَيدٍ في العشرة المُبَشَّرين بالجنَّة.**

أبو داود، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ عبدِالبرِّ في "الاستيعاب" مِنْ طريقِ هِلالِ بنِ يَسَافٍ، عن عبدِالله بنِ ظالمٍ المازِنيِّ، عن سعيدِ بنِ زيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفَيلٍ رضى الله عنه أنَّه

قال: «أشهدُ على التسعة أنَّهم في الجنَّة، ولو شهدتُ على العاشر لم آثَمْ، قيل: وكيف ذلك؟، قال: كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بِحِراءَ، فقال: «**اُثْبُتْ فإنَّه ليس عليك إلَّا نبِيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شهيدٌ**»، قيل: ومَنْ هُم؟ قال: رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبو بَكرٍ، وعُمرُ، وعثمان، وعليٌّ، وطَلحةُ، والزُّبيرُ، وسعدٌ، وعبدُالرحمن بنُ عوْفٍ. قِيلَ: فمَنِ العاشر؟ قال: أنا».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وقد رُوِيَ مِنْ غيرِ وجهٍ عن سعيدِ بنِ زَيدٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال ابنُ عبدِالبرِّ في "الاستيعاب": «إسنادُه حسنٌ جيِّدٌ».

ورواه أبو داود، والترمذيُّ مِنْ طريقِ الحُرِّ بنِ الصَّيَّاح، عن عبدِالرحمنِ بنِ الأخيْنِسِ أنَّه كان في المسجد فذَكَرَ رجلٌ علِيًّا عليه السَّلام، فقام سعيدُ بنُ زَيدٍ فقال: أشهدُ علَى رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنِّي سمعتُه وهو يقولُ: «**عَشَرةٌ في الجَنَّة: النَّبيُّ في الجنَّة، وأبو بكر في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزُّبيرُ بنُ العوَّام في الجنَّة، وسعدُ بنُ مالِكٍ في الجنَّة، وعبدُالرحمن بنُ عوفٍ في الجنَّة**»، ولو شئتُ سَمَّيتُ العاشرَ، قال: فقالوا: فمَنْ هوَ؟ فسكت، قال: فقالوا، مَنْ هو؟ قال: سعيدُ بنُ زَيدٍ.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ».

ورواه أبو داود، وابنُ ماجه مِنْ طريقِ صَدقَة بنِ المثنَّى، عن جدِّه رباح بنِ الحَرِثِ، سمع سعيدَ بنَ زيدِ بنِ عَمرِو بنِ نُفيلٍ يقول: كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عاشِرَ عشرةٍ فقال: «**أبو بكرٍ في الجنَّة، وعمرُ في الجنَّة، وعثمانُ في الجنَّة، وعليٌّ في الجنَّة، وطلحةُ في الجنَّة، والزُّبيرُ في الجنَّة، وسعدٌ في الجنَّة، وعبدُالرحمنِ في الجنَّة**»، فقِيلَ له: مَنِ التاسع؟ قال: أنا.

والروايات التي جاءت في خوف المبشَّرين من قول أبي بكرٍ رضي الله عنه: «ليتَـنِي كنتُ تَمرةً يَنقُرُها الطَّيرُ»[1]. وقول عمر رضي الله عنه: «ليتني كنتُ هذه النَّبتَـةَ، ليتني لم أكُ شيئًا»[2]، وقول أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «ودِدْتُ أنِّي كبشٌ فيذبَحُنِي أهلي ويأكلون لحمي، ويَحْسُون مَرقِي»[3]. وقول عائشة رضي الله عنها: «ياليتني كنتُ وَرَقةً

---

(١) **قوله:** وقال أبُو بكرٍ: «ليتَـنِي كنتُ تَمرةً يَنقُرُها الطَّيرُ».

رواه ابنُ المبارَكِ في "الزهد"، أخبرنا سفيانُ بنُ عُيَينَةَ، عن رجلٍ، عن الحَسن قال: أبصَرَ أبو بكرٍ طائرًا على شجرةٍ، فقال: «طُوبَى لكَ يا طائر، تأكلُ التمرَ وتقع على الشجر. لوَدِدْتُ أنِّي تمرةً ينقرها الطيرُ».

(٢) **قوله:** وقال عمرُ: «ليتني كنتُ هذه النَّبتَـةَ، ليتني لم أكُ شيئًا».

رواه ابنُ المبارك في " الزهد ": أخبرنا شعبةُ بنُ الحَجاج، عن عاصمِ بنِ عُبيدِ الله، عن عبدِالله بنِ عامر بنِ ربيعةَ قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب أخذَ تبنةً من الأرض، فقال: «ليتني لم أكُ شيئًا، ليتَ أمِّي لم تَلدني، ليتني كنتُ نِسيًا مَنسيًّا».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق جُوَيْبرٍ، عن الضَّحَّاك، قال: قال عمرُ: «ليتني كنتُ كبشَ أهلي، يُسمِّنونِي ما بدا لهم، حتَّى إذا كنتُ أسْمَنَ ما أكون زارهم بعضُ مَنْ يُحِبُّون، فجعلوا بعضِي شواءً، وبعضي قديدًا، ثُمَّ أكلوني ثُمَّ أخْرَجُونِي عَذِرةً، ولم أَكُ بَشَرًا».

(٣) **قوله:** أبُو عُبَيدَةَ بنُ الجَرَّاحِ رضي الله عنه: «ودِدْتُ أنِّي كبشٌ فيذبَحُنِي أهلي ويأكلون لحمي، ويَحْسُون مَرقِي».

رواه ابنُ المبارك في "الزهدِ": أخبرنا مَعمرُ، عن قتادةَ قال: قالَ أبو عُبَيدةَ بنُ الجرّاح: «وددتُ أنِّي كبشٌ فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي، ويحسونَ مرقي». قال: قال عِمرانُ بنُ حُصينٍ: «لودِدتُ أني رمادٌ سفَّني الريحُ في يومٍ عاصفٍ».

ورواه أحمدُ في "الزهد" مِن طريقِ رَوحٍ، عن هشامِ بنِ أبِي عبدِالله، عن قتادةَ.

مِنْ هذه الشجرة»[1]. وهي مَن شهد لها عمّار بن ياسرٍ على منبر الكوفة، فقال: «أشهد أنها زوجة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة»[2].

---

(١) **قوله**: وقولُ عائشة رضى الله عنها: «ياليتني كنتُ وَرَقةً مِنْ هذه الشجرة».

رواه أحمدُ في "الزهد": حدثنا حَجَّاجُ، حدثنا شعبةُ، عن حمّاد، عن ابراهيمَ، عن عائشةَ «أنها مرَّتْ بشجرةٍ فقالت: يا ليتنِي كنتُ ورقةً مِنْ ورقِ هذه الشجرة».

ورواهُ ابنُ المبارك في "الزهد": أخبرنا شعبةُ بنُ الحَجاج، عن حمّاد، عن إبراهيم أنَّ عائشةَ مرَّت بشجرةٍ فقالتْ: «يا ليتني ورقة مِن هذه الشجرة».

ورواه أحمدُ في "الزهد" مِنْ طريق وَكيعٍ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ، عن إسحاقَ مولَى زائدة عن عائشة رضي الله عنها: «وَدِدتُ أنِّي شجرةٌ أُعْضَد، ودِدْتُ أنِّي لم أُخْلَق».

(٢) **قوله**: وهي مَنْ شهِدَ لها عَمَّارُ بنُ ياسِر علَى مِنبر الكوفة فقال: «أشهدُ أنَّها زوجةُ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة».

البخاريُّ في "صحيحه"، والترمذيُّ في "سننه"، والحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق عبدِالله بنِ زياد الأسدِيِّ قال: لَمَّا سار طلحةُ والزبيرُ وعائشةُ إلى البصرة، بعث عَلِيٌّ عَمَّارَ بنَ ياسِرٍ وحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، فقَـدِما علينا الكوفةَ فصعِدا المنبرَ، فكان الحَسنُ بنُ عَلِيٍّ فوق المنبر مِنْ أعلاه، وقام عَمَّارُ أسفلَ الحَسَنِ. فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عَمَّارَ يقول: إنَّ عائشةَ قد سارت إلى البصرة، وَوَالله انَّها لَزَوجَةُ نبيِّكُم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة، ولكنَّ اللهَ ابتلاكُم لِيَعْلَمَ ايَّاه تُطِيعُونَ أم هي؟

ورواه البخاريُّ مِنْ طريق أبِي وائِلٍ قال: قام عَمَّارٌ على منبر الكوفة فذَكَـرَ عائشةَ وذكَـرَ سَـيْرَها، وقال: إنَّها زوجةُ نبِيِّكُم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا والآخرة، ولكِنَّها مِمَّا ابْـتُلِيتُمْ.

إنما كان ذلك منهم خوفًا من جريان المخالفات عليهم، إجلالًا لله تعالى، وتعظيمًا لقَدْره، وهيبةً له، وحياءً منه، بأنهم أجلُّوا الحقَّ أن يُخالفوه وإن لم يُعاقبهم، كما قال عمر: «نِعْمَ العبدُ صُهيبٌ؛ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعْصِـهِ»[1]. يعني: أنَّ صهيبًا ليس يترك المعصية لله خوف عقوبته، ولكنه يتركها إجلالًا له، وتعظيمًا لقدره، وحياءً منه.

فخوف المبشَّرين لم يكن خوفًا من التغيير والتبديل؛ لأنَّ خوف التغيير والتبديل مع شهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوجب شكًّا في أخبار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا كُفْرٌ، ولم يكن ذلك خوف عقوبةٍ في النَّار دون الخلود فيها؛ لعلمهم بأنهم لا يعاقبون بالنَّار على ما يكون منهم، لأنها إمَّا أن تكون صغائر فتكون مغفورةً باجتناب الكبائر، أو بما يصيبهم من البلوى في الدنيا.

قال عبدالله بن عمر فيما روى عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق قال: كنتُ عندَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأُنْزِلَتْ هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال رسولُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلا أُقْرِئُكَ آيةً نَزلتْ عليَّ**» قلتُ: بلَى يارسول الله. قال: فأقْرَأَنِيها، فلا أعْلَمُ ما أصابني إلَّا أنِّي وجدتُ انقصامًا في ظهري فَتَمطَّيتُ لها. فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا شأنك يا أبا بكر؟**»، فقلتُ: يا رسولَ الله بأبي وأمِّي، وأيُّنا لم يعملْ سوءًا وإنَّا لَمُجزونَ بما عمِلنا. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله

---

(١) **قوله**: قال عمرُ رضي الله عنه: «نِعْمَ العبدُ صُهيبٌ؛ لو لم يَخَفِ اللهَ لم يَعْصِـهِ».
ذَكَره أبو عُبَيْدِ القاسِمُ بنُ سَلَّام في "غريب الحديث" ولم يُسنِدْه.

وسلم: «**أمَّا أنت يا أبا بكرٍ والمؤمنون فتُجزون بذلك فى الدنيا، حتى تلقوا اللهَ وليس لكم ذنوبٌ. وأمَّا الآخرون فيُجمَعُ لهم ذلك حتى يُجْـزَوْا به يوم القيامة**»[1].

---

(١) **حديثُ عبدِالله بنِ عُمر**، عن أَبِي بكرٍ قال: كنتُ عندَ رسولِ الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم فأُنْزِلَتْ هذه الآيةُ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] فقال رسولُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلَا أُقْرِئُكَ آيةً نَزلتْ عليَّ**» قلتُ: بلَى يارسول الله. قال: فأقْرَأَنِيها، فلا أعْلَمُ ما أصابني إلَّا أنِّي وجدتُ انقصامًا في ظهري فَتَمطَّيتُ لها. فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا شأنك يا أبا بكر؟**»، فقلتُ: يا رسولَ الله بأبي وأمِّي، وأيُّنا لم يعملْ سوءًا وإنَّا لَمجزونَ بما عمِلنا. فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أمَّا أنت يا أبا بكرٍ والمؤمنون فتُجزون بذلك فى الدنيا، حتى تلقوا اللهَ وليس لكم ذنوبٌ. وأمَّا الآخَرون فيُجمَعُ لهم ذلك حتى يُجْـزَوْا به يوم القيامة**».

الترمذيُّ في "السنن" من طريق موسى بنِ عُبَيدة، أخبرني مولَى ابنِ سَبَّاعٍ، قال: سمعتُ عبدَالله بنَ عُمر يُحدِّث عن أبي بكرٍ الصديق رضى الله عنه قال: كنتُ عند رسولِ الله صلِّى الله عليه وآله وسلَّم فأُنزلَتْ عليه هذه الأية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا بكرٍ ألا أُقرِئُكَ آيةً أُنزِلَتْ عليَّ؟**»، قلتُ: بلَى يا رسول الله، قال: فأقرَأَنِيها فلا أعلمُ الَّا أنِّي قد كنتُ وجدتُ انقصاماً في ظهري فتَمَطَّأتُ لها. فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما شأنك يا أبا بكرٍ؟**»، قلتُ: يا رسولَ الله بأبي أنت وأمِّي، وأيُّنا لم يعمل سوءًا وإنَّا لَمجزونَ بما عمِلنا. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَّا أنت يا أبا بكرٍ والمؤمنون فتُجزون بذلك في الدنيا، حتى تلقوا اللهَ وليس لكم ذنوبٌ. وأمَّا الآخرون فيُجمعُ ذلك لهم حتى يُجْزَوْا به يوم القيامة**».

أو تكون كبائر فتقارنها التوبة لا محالة، فتصحُّ بشارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم بالجنَّة، على أنَّ هذا الحديث قد بيَّن أنه يأتي يوم القيامة ولا ذنب له، قال النبيُّ

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وفي إسناده مقالٌ، موسَى بنُ عُبيدة يُضعَّف في الحديث، ضعَّفه يحيَى بنُ سعيدٍ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ. ومولَى ابنِ سَباعٍ مجهولٌ. وقد روي هذا الحديثُ مِنْ غيرِ هذا الوجه عن أبي بكرٍ، وليس له إسنادٌ صحيحٌ أيضًا، وفي الباب عن عائشة».

قلت: حديثُ عائشة رضي الله عنها رواه أحمدُ عن أمينة، أنها سألتْ عائشةَ زوجَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، قالت: ما سألني عنها أحدٌ منذ سألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت عائشة: هذه مبايعةُ الله العبدَ مِمَّا يُصيبُه مِنَ الحُمّى والنكبة والشوكة، حتى البضاعة يَضَعُها في كُمِّه فيَفقِـدُها فيَفْـزَعُ لها، فيَجِدُها فِي ضِبْنِهِ، حَتَّى انَّ المؤْمِنَ لَيَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ التِّبْرُ الْأَحْمَرُ مِنَ الْكِيرِ.

وأمينة، قال الحافظُ نُورُ الدِّين الهيثمي في "المجمع": لم أعرفها.

قلتُ: ذَكَر الذَّهَبي في فَصْلِ النساء المجهولات مِنَ "الميزان": أُمَـيَّة عن عائشة، قال: ويُقال لها: أمينة أمُّ محمد. تفرَّدَ عنها عِليُّ بنُ زيدِ بنِ جدعان، قال: وهي امرأةُ أَبِيـهِ.

وروَى لها الترمذي والنسائي. والله أعلم.

ورواه أحمدُ، وأبو يعلَى، ورجالهما رجال الصحيح، عنها أَنَّ رجلاً تلَا هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمل﴾ قال: انَّا لنُجْزَى بما عَمِلنا، هَلَكْـنا إذاً. فبلغ ذلك رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «نعم، يُجزَى به المؤمنُ في الدنيا مِنْ مصيبةٍ في جسدِه فيما يُـؤذِيـه».

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر: «**وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملُوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1].

---

(١) حديث: «**وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملُوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**».

البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ مِنْ طريق عَمْرِو بنِ دِينار، عن الحَسَنِ بنِ محمَّدِ بنِ عليٍّ أنَّه سمع عُبيدَ الله بنَ أبي رافِعٍ - كاتِبَ عِليٍّ - يقولُ: سمعتُ عليًّا رضي الله عنه يقول: بعثني رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنا والزبيرَ والمقدادَ، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضَةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ، فخُذُوهُ منها**». فذهبنا تُعادي بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخْرِجِي الكتابَ. فقالت: ما معي مِنْ كتابٍ. فقلنا: لتُخْرِجَنَّ الكتابَ أو لَتُلْقِيَنَّ الثيابَ؟ فأخرَجَتْه مِنْ عِقَاصِها. فأتينا به النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإذا فيه: مِنْ حاطِب ابنِ أبِي بَلْتَعَـة إلى أُناسٍ مِنَ المشركين مِمَّن بِمَكَّة، يُخبرهم ببعض أمْرِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما هذا يا حاطِبُ؟**». قال: لا تَعْجلْ عليَّ يا رسولَ الله، إنِّي كنتُ امرُؤًا مِنْ قريشٍ، ولم أكن مِن أنفُسِهم، وكان مَنْ معك مِنَ المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكَّة؛ فأحببتُ إذ فاتني مِنَ النَّسب فيهم أن أصطنع إليهم يدًا يَحْمونَ قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني. فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه قد صَدَقَكم**». فقال عُمر: دعني يا رسول الله فأضربُ عُنقَه. فقال: «**إنَّه شهد بدرًا، وما يُدريك؟ لعلَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعمَلُوا ما شئتم؛ فقد غفرتُ لكم**». قال عَمرٌو ونزلتْ فيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

ولو كان كما قال بعض الناس: إنهم بُشِّروا بالجنة، ولم يُبشَّروا بأنهم لا يعاقبون، فكان خوفهم من النَّار وإن علموا أنهم لا يُخلَّدون فيها! لكان المبشَّرون وغيرهم من المؤمنين في ذلك سواء؛ لأنهم لا محالة مُخرجون منها.

ولو جاز دخول أبي بكرٍ وعمر النَّار مع قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هما سيِّدا كُهولِ أهلِ الجنَّة مِنَ الأولين والآخرين**»[1] جاز دخول الحسن والحسين مع قوله: «**هما سيِّدا شباب أهل الجنَّة**»[2]، فإن كانت سادة أهل الجنَّة يجوز أن يدخلهم الله النَّار، ويعذِّبهم بها، لم يجز أن يدخل أحد الجنَّة إلَّا بعد أن يُعذَّب بالنَّار.

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ، وأبو داود مِنْ طريق سعْدِ بنِ عُـبيدة، عن أَبِي عبدِالرحمن السُّلمِيِّ، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «بعثني رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبَا مَرْثدٍ، والزُّبيرَ، وكلُّنا فارسٌ. قال: «**انطلِقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ...**» فذكر الحديث بمعنى ابنِ أَبِي رافعٍ.

(١) حديث: «**هما سيِّدا كُهولِ أهلِ الجنَّة مِنَ الأولين والآخرين**».

تقدَّم [ص: ١٤٢].

(٢) حديث: «**هُما سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

الترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق سفيان، عن يزيد بنِ أَبِي زيادٍ، عن ابنِ أَبِي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحَسَنُ والحُسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريق جريرٍ، ومحمَّدِ بنِ فُضيلٍ، عن يزيد.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.وابنُ أبي نُعْمٍ: هو عبدُالرحمن بنُ أَبِي نُعْمٍ، البَجَلِيُّ، الكوفيُّ، ويُكنَّى أبَا الحَكَم».

ورواه النَّسائيُّ في مناقب عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلام، مِنْ طريق محمَّدِ بنِ فُضيلٍ، عن يزيد، وزاد: «**ما استثنى مِنْ ذلك**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريق إسماعيلَ بنِ زكريَّا، عن يزيدَ بنِ أَبِي زيادٍ، عن عبدِالرحمن بنِ أبي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حَسَنٌ وحُسَينٌ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

قال أَبُو نُعيمٍ: «رواه الثوريُّ، وحمزَةُ الزَّيَّات، عن يزيدَ مثله».

ورواه النَّسائيُّ في مناقب عليٍّ عليه السَّلام، مِنْ طريقِ عَمرِو بنِ منصورٍ، حدَّثنا أبو نعيمٍ - هو الفضلُ بنُ دُكَينٍ- حدَّثنا يزيدُ مردانيه، عن عبدِالرَّحمن بنِ أَبِي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحَسنُ والحُسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

ورواه الخطيبُ في "التاريخ" مِنْ طريق بِشْرِ بنِ مُوسَى بنِ صالحِ الأسديِّ، حدَّثنا أبو نعيمٍ، حدَّثنا يزيدُ - يعني ابنُ مردانيه - عن عبدِالرحمن بنِ أبي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، به.

ورواه النَّسائيُّ في مناقب عليٍّ عليه السَّلام، مِنْ طريقِ يعقوبَ بنِ إبراهيمَ، ومحمَّدِ بنِ آدم بن مروان، عن الحَكَمِ بنِ عبدِالرحمن ــ وهو ابن أبي نُعْمٍ ــ عن أبيه، عن أَبِي سعيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحَسَنُ والحُسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ إلَّا ابْنَيِ الخالَةِ عيسَى بن مريم، ويحيى بن زكريَّا**».

ورواه الطحاويُّ في "مشكل الآثار" مِنْ طريق فهْدِ بنِ سُليمان، ثنا أبو نعيمٍ، ثنا الحَكَمُ بنُ عبدِالرحمن البجليُّ، ثنا أبِي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ مرفوعًا: «**الحَسَنُ والحُسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ إلَّا ابني الخالة عيسَى بن مريم، ويحيى بن زكريَّا**».

ورواه الخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق أحمدَ بنِ الصَّلتِ، حدَّثنا أبو نعيمٍ -الفَضلُ بنُ دُكَيْنٍ-، حدَّثنا الحَكمُ بنُ عبدِالرحمن بنِ أبي نُعمٍ، حدَّثني أبي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ مرفوعًا: «**الحَسَنُ والحُسَينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة إلَّا ابنَي الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريَّا**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق عليِّ بنِ عبدِالعزيز، ثنا أبو نعيمٍ، ثنا الحَكَمُ بنُ عبدِالرحمن بنِ أبِي نُعْمٍ به.

ورواه الخطيب في "التاريخ" مِنْ طريقِ سُوَيْدِ بنِ سعيدٍ، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيدٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

قال الخطيب: «سُوَيدٌ تَكلَّم فيه يحيَى بنُ مَعينٍ، وقال: حدَّث عن أبي معاوية، عن الأعمش عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ، أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحسن والحسين سيِّدا شباب أهلِ الجنَّة**».

قال يحيَى بنُ مَعينٍ: «فهذا باطلٌ عن أبي معاوية؛ لم يَروِهِ غيرُ سُويدٍ، وجُرِّحَ سُويدٌ لروايته هذا الحديث».

قال أبو الحَسنِ الدَّارَقطنيُّ: «فلم نَزَلْ نظنُّ أنَّ هذا كما قال يحيَى، وأنَّ سُوَيدًا أَتَى أمرًا عظيمًا في روايته هذا الحديث حتى دخلتُ مِصْرَ في سنة سبعٍ وخمسين، ووجدتُ هذا الحديث في مُسنَدِ أبِي يَعقوب إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بنِ يونسَ البغداديِّ، المعروف بالمنجنيقيِّ، وكان ثقةً،

روى عن أَبِي كريبٍ، عن أبي معاويةَ كما قال سُوَيدٌ سواء، وتخلَّصَ سُويدٌ، وصحَّ الحديثُ عن أبي معاوية. وقد حدَّث أبوعبدِالرحمن النَّسائيُّ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ هذا، ومات أبو عبدِالرحمن قَبله.

ورواه الترمذيُّ في "السنن"، والخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق إسرائيلَ بنِ مَيْسرة بنِ حَبيبٍ، عن المِنهال بنِ عَمرٍو، عن زرِّ بن حُبيشٍ، عن حذيفة قال: سألتْنِي أمِّي متَى عهدُك؟ - تعني بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فقلت: ما لِي به عهدٌ منذ كذا وكذا. فنالت مِنِّي. فقلتُ: دعِينِي آتِي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأصلِّي معه المغربَ وأسأله أنْ يستغفرَ لي ولكِ. فأتيتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلَّيتُ معه المغربَ، فصلَّى حتى صلَّى العشاء، ثُمَّ انفَتَل فتبِعتُه، فسمع صوتي فقال: «**مَنْ هذا، حُذيفة؟**»قلتُ: نعم، قال: «**ما حاجتكَ غفر الله لك ولأمِّك**» قال: «**إنَّ هذا مَلَكٌ لم ينزل الأرضَ قَطُّ قبل هذه الليلة، استأذنَ ربَّه أنْ يُسلِّمَ عليَّ ويبشِّرني أنَّ فاطمةَ سيِّدةُ نساء أهل الجنَّة وأنَّ الحَسنَ والحُسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه لا نعرفه إلَّا من حديث إسرائيل».

وراوه الطبرانيُّ في "الكبير"، و"الأوسط" عنه بلفظ: كنتُ عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فرأيتُ عنده شخصًا فقال لي: «**يا حذيفة هل رأيتَ؟**» قلتُ: نعم، قال: «**هذا مَلَكٌ لم يهبط منذ بُعِثتُ، أتاني الليلةَ يُبشِّرني أنَّ الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «وفيه أبو عُمرَ الأشجعيُّ ولم أعرفه، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ».

ورواه الطبرانيُّ عنه أيضًا، قال: رأينا في وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم السُّرُورَ يومًا من الأَيَّام، فقلنا: يا رسول الله لقد رأينا في وجهك تَبَاشِيرَ السُّرُورِ. فقال: «**وكيف لا أُسَرُّ وقد أتاني جبريلُ عليه السَّلام فبَشَّرَنِي أنَّ حَسَنًا وحُسَينًا سَيِّدا شبابِ أهلِ الجَنَّةِ، وأبوهما أفضلُ**

منهما». وقال: الهيثميُّ رحمه الله: «وفيه عبدُالله بنُ عامر أبو الأسود الهاشمي، ولم أعرفه، وبقيَّة رجاله وُثِّقوا، وفي عاصمِ بنِ بَهْدلة خلافٌ».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق منصور بنِ أبي الأسود، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدِالله مرفوعًا: «**الحسنُ والحسينُ سَيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

ورواه الطبرانيُّ، وأبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق حَكيمِ بنِ حزامٍ أَبِي سمير، عن الأعمش، عن إبراهيمَ بنِ يزيدٍ التَّيْميِّ، عن أبيه، قال: وجَدَ عليٌّ بن أبي طالبٍ دِرْعًا له عند يهوديٍّ الْتقَطَها فعرفها، فذكر قصةً، وفيها قولُ عليٍّ عليه السَّلام لِشُرَيْحٍ القاضِي: أما سمعتَ عُمرَ بنَ الخطَّاب يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سَيِّدا شبابِ أهلِ الجَنَّةِ**».

قال أبو نعيمٍ: «غريبٌ من حديث الأعمش، عن إبراهيم، تَفَرَّد به حَكيمٌ، ورواه أولادُ شُرَيحٍ عنه، عن عليٍّ نحوه».

قلتُ: وحكيمٌ متروكٌ.

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية"، والخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق عِليِّ بنِ عبدِالله بنِ معاويةَ بنِ شُرَيحٍ، حدَّثنا أَبِي، عن أبيه، عن معاويةَ بنِ شريحٍ، عن مَيْسرة، عن شُرَيحٍ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الحسن والحسين سَيِّدَا شبابِ أهلِ الجَنَّةِ**». وهذا لفظ الخطيب.

وذكر أبو نعيمٍ مِثلَ حديث حَكيمِ بنِ حزامٍ، عن الأعمش في قصة الدِّرع.

ورواه الطبرانيُّ مِنْ طريق الحارثِ الأعْوَرِ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

ورواه الخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق أَبان بنِ تَغْلب، عن أبي جعفرٍ، عن عليِّ بنِ الحُسين، عن الحسينِ بنِ عليٍّ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسول الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ، وأبوهما خيرٌ منهما**».

ورواه الخطيبُ أيضًا من طريق محمَّدِ بنِ أبان، عن أبي جَنَابٍ، عن الشَّعبيِّ، عن زيد بن يُثيعٍ، عن عليٍّ مرفوعًا: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

ورواه الطبرانيُّ من حديث قُـرَّةَ بنِ إياسٍ قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

وفيه عبدُالرحمن بنُ أبي زياد بنِ أنعم: مختلفٌ فيه، وبقيَّةُ رجاله رجال الصحيح.

ورواه الطبرانيُّ أيضًا مِنْ حديث مالِكِ بنِ حُوَيْرِث قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة، وأبوهما خير منهما**».

وفيه عِمرانُ بنُ أبان، ومالِكُ بنُ الحسن، ضعيفان وقد وُثِّـقا.

ورواه أيضًا من حديث جابرٍ مرفوعًا: «**حسنٌ وحسينٌ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ**».

وفيه جابرٌ الجعفيُّ ضعيفٌ.

ورواه في "الكبير" و"الأوسط"، عن أسامةَ بنِ زيد مرفوعًا: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

وفيه زيادُ الجصَّاص: متروكٌ، ووثَّقه ابنُ حِبان، وقال: «ربَّما يَهِـمُ».

ورواه في "الأوسط" مِنْ حديث الحسين بنِ عليٍّ مرفوعًا: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».قال الهيثميُّ رحمه الله: «وفيه مجاهيل».

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلَى لَيَراهُم مَنْ تَحتَهم كما ترونَ النَّجمَ الطَّالعَ في أُفُقِ السماء، وإنَّ أبا بكرٍ وعمر منهم، وأَنْعَما**»[1]، فإن كان هذان

ورواه بإسنادٍ حسنٍ مِنْ حديث البَرَاءِ بنِ عازبٍ مرفوعًا: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

ورواه ابنُ ماجه في "السنن" مِنْ طريق المعلَّى بنِ عبدِالرحمن، ثنا ابنُ أَبِي ذِئبٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ، وأبوهما خير منهما**».

والمعلَّى مُتكلَّم فيه.

(١) حديث: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلَى لَيَراهُم مَنْ تَحتَهم كما ترونَ النَّجمَ الطَّالعَ في أُفُقِ السماء، وإنَّ أبا بكرٍ وعمر منهم، وأَنْعَما**»(*).

الترمذيُّ، وابنُ ماجه في "سننيهما" مِنْ طريق الأعمش، عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلَى يَراهُم مَنْ تحتهم كما ترون النَّجمَ الطَّالع في أُفُقِ السَّماء، وإنَّ أبا بكرٍ، وعُمرَ منهم، وأَنْعَما**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ، رُوِيَ مِنْ غير وجهٍ عن عطيَّة».

ورواه الثقفي في الأول مِن "الفوائد" مِن طريق سالمٍ المرادي، عن عطيةَ، عن أبي سعيدٍ، به. بلفظ: «**يراهم مَنْ هو أسفل منهم كما ترون الكوكبَ**». الحديث.

ورواه الثقفي في الثاني من "الفوائد"، مِنْ طريق محمدِ بنِ عُبيدِ الله، ومالكِ بنِ مِغول، وقطر بن خليفة، وفُضَيل بن مرزوق، وعُبيد بنِ طُفيل، وبِشر بنِ دريد الأسديِّ، كلهم يُحدِّثون عن عطيةَ، =

(*) لهذا الحديث مُخرجون وطرقٌ كثيرةٌ عندنا يَطول بِذِكرِها المقامُ ولا يتسع لها. (أحمد بن الصديق).

يدخلان النَّار ويخزيان فيها؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢] فكيف بغيرهما!؟

وقال ابن عمر إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل المسجد، وأبو بكرٍ وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: «**هكذا نُبعثُ يومَ القيامةِ**»[١]، فإن جاز دخولهما النَّار جاز دخول الثالث.

= عن أبي سعيدٍ بلفظ: «**إنَّ أهلَ الدرجاتِ العُلَىَ مِنْ أهلِ الجنةِ لَيَراهُم مَنْ أسفلَ منهم كما ترَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ في أفقِ السماء**». الحديث.

ورواه الطبرانيُّ من حديث جابر بنِ سَمُرَةَ مرفوعًا، قال: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلَى لَيَراهُم مَنِ هو أسفل منهم كما تُرَى الكواكبُ في أُفُقِ السماء، وأبو بكرٍ وعمر منهم، وأَنْعَما**».

وفيه الربيع بنُ سهلٍ الواسِطِيُّ، قال الهيثميُّ: «لم أعرفه، وبقيَّةُ رجاله ثقاتٌ».

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" مِنْ حديث أبي هريرة «**إنَّ الرَّجلَ مِنْ أهلِ عِلِّيِّين يُشْرِفُ على أهل الجنَّة كأنَّه كوكبٌ دُرِّيٌّ، وإنَّ أبا بكرٍ وعمر منهم وأَنْعَما**».

ورجاله رجال الصَّحيح، غيرُ سلم بنِ قُتَيبة، وهو ثقةٌ.

(١) **حديثُ ابنِ عُمر**: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل المسجد وأبو بكرٍ وعمر أحدُهما عن يمينه والآخرُ عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما، قال: «**هكذا نُبعثُ يومَ القيامةِ**».

الترمذيُّ في "سننه"، والخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق سعيدِ بنِ مَسلمة، عن إسماعيلَ بنِ أميَّة، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمر: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خرج ذات يومٍ ودخل المسجدَ وأبو بكرٍ وعمرِ، أحدُهما عن يمينه والآخرُ عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما، وقال: «**هكذا نُبعثُ**».

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَدخلُ مِنْ أمَّتي الجنَّةَ سبعون ألفاً بِغَيرِ حِسابٍ**»[1]، فقال عُكَّاشة بن مِحْصَنٍ الأسديُّ: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنت منهم**»، وأبو بكرٍ وعمر أفضل من عُكَّاشة لا محالة؛ لقول النبيِّ: «**هما سيِّدا كُهُول أهلِ الجنَّةِ مِن الأوَّلين والآخرين**»[2]، فكيف يجوز أن يدخل عُكَّاشة الجنَّة بغير حسابٍ وهو دونهما في الفضل، وهما في النَّار؟! فهذا غلطٌ كبيرٌ.

قال الترمذيُّ: «وسعيدُ بنُ مَسلمة ليس عندهم بالقويِّ، وقد رُوِيَ هذا الحديث أيضًا من غير هذا الوجه عن نافعٍ، عن ابن عمر».

ورواه الخطيب في "التاريخ" من طريق الوليدِ أبِي همَّام الكنديِّ، عن إسماعيل بن أميَّة المكيِّ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمر، قال: دخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المسجدَ بين أبِي بكرٍ وعُمر، وهو مُعتمِدٌ عليهما، فقال: «**هكذا ندخلُ الجنَّة جميعًا**».

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" مِنْ حديث أبي هريرة، قال: خرج النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين أبِي بكرٍ وعُمر، فقال: «**هكذا نُبعثُ يومَ القيامة**».

وفيه خالدُ بنُ يزيد العمريُّ: كذَّابٌ.

(١) حديث: «**يَدخلُ مِنْ أمَّتي الجنَّةَ سبعون ألفاً بِغَيرِ حِسابٍ**».

تقدَّم في الباب الأول [ص: ٧١].

(٢) حديث: «**هما سيِّدا كُهُول أهلِ الجنَّةِ**».

تقدَّم [ص: ١٤٢].

فقد صحَّ بهذه الأخبار أنهما لا يجوز أن يكونا معذَّبين بالنَّار مع شهادة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهما بالجنَّة، فقد تبيَّن أمْنهما، فمهما قيل فيهما وفي غيرهما من المبشَّرين، كان ذلك قولًا فيمن سواهما من الأولياء من جواز الأمن.

وأمَّا طريق معرفة سائر الأولياء دون المبشَّرين - إذ كان المبشَّرون إنما علموا ذلك بأخبار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وغيرهم لم يكن فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيخبرهم - فإنهم إنما يعرفون بما يُحدِث الله فيهم من اللطائف التي يخصُّ بها أولياءَه، وبما يُورِد على أسرارهم من الأحوال التي هي أعلام ولايته من اختصاصه لهم به، وجذبه لهم مما سواه إليه، وزوال العوارض عن أسرارهم، وفناء الحوادث لهم، والصَّوارف عنه إلى غيره، ووقوع المشاهدات والمكاشفات التي لا يجوز أن يفعلها الله تعالى إلَّا بأهل خاصَّته ومَن اصطفاه لنفسه في أزله، ممَّا لا يفعل مثلها في أسرار أعدائه؛ فقد ورد الخبر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: «**لَمْ يَفْضُلْكم أبو بكرٍ بكثرة الصَّوم والصَّلاة؛ ولكن فَضَلَكُم بشيءٍ وَقَرَه اللهُ في صدره**»، أو «**في قلبِه**»[1]، فهذا معنى الحديث.

ويؤمنهم أن يجدوا في أسرارهم كرامات ومواهب، وأنها على الحقيقة، وليست بمخادعات كالذي كان للذي آتاه آياته فانسلخ منها، معرفتهم أنَّ أعلام الحقيقة لا يجوز

---

(١) حديث: «**لَمْ يَفْضُلْكم أبو بكرٍ بكثرة الصَّوم والصَّلاة؛ ولكن فَضَلَكُم بشيءٍ وَقَرَه اللهُ في صدره، أو في قلبِه**». لم أجده مرفوعًا.

ورواه الحكيم الترمذيُّ في "النوادر" (*)مِنْ كلام بَكْرِ بنِ عبدِالله المُزنيِّ.

(*) وفي كتاب "أسرار الصَّلاة" له، المحفوظ بخزانة البلدية، بالإسكندرية.

أن يكون كأعلام الخداع والمكر؛ لأنَّ أعلام المخادعات تكون في الظاهر من ظهور ما خرج من العادة مع ركون المخدوع بها إليها، واغترارهم بها، فيظنوا أنها علامات الولاية والقُرْب، وهو في الحقيقة خداعٌ وطردٌ.

ولو جاز أن يكون ما يفعله بأوليائه من الاختصاص كما يفعله بأعدائه من الاستدراج لجاز أن يفعل بأنبيائه ما يفعل بأعدائه، فيبعد أنبياءه ويلعنهم كما فعل بالذي آتاه آياته! وهذا لا يجوز أن يُقال في الله عزَّ وجلَّ.

ولو جاز أن يكون للأعداء أعلام الولاية، وأمارات الاختصاص، ويكون دلائل الولاية لا تدل عليها، لم يقم للحقِّ دليلٌ بتَّه، وليست أعلام الولاية من جهة حلية الظواهر، وظهور ما خرج من العادة لهم فقط، لكن أعلامها إنما تكون في السَّرائر، بما يُحدِثُ الله تعالى فيها مما يعلمه الله تعالى ومن يجده في سرِّه.

الباب السَّابع والعشرون

قوْلهم في صِفَة الإيمان

الإيمان عند الجمهور منهم قول وعمل ونية، ومعنى النية: التصديق؛ ورُوى عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من طريق جعفر بنِ محمَّد، عن آبائِه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمانُ اقرارٌ بِاللسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان**»[1].

---

(١) حديثُ جعفر بنِ محمَّد، عن آبائِه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمانُ اقرارٌ بِاللسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان**».

ابنُ ماجه في "السنن"، والطبرانيُّ، والبيهقيُّ في "شُعَب الإيمان"، والمهروانيُّ في الأول مِنَ "الفوائد المنتخَبة"، وابنُ ترتال في "جزئه"، مِنْ طريق أَبِي الصَّلت عبدِالسَّلام بنِ صالِحٍ الهرويِّ، عن عليِّ بنِ موسَى الرِّضا، عن أَبِي موسَى، عن أبي جعفرٍ، عن أبيه محمَّدِ بنِ عليٍّ، عن أبيه عليِّ بنِ الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليٍّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان**».

والهرويُّ: وثَّقه ابنُ معينٍ، وقال: «ليس ممَّن يَكذبُ». وقال غيره: كان مِنَ المعدودين في الزهد. وقال الذهبيُّ: «رجلٌ صالحٌ إلَّا أنَّه شيعيٌّ».

وقال ابنُ ترتال في "جزئه": «قال حسن وهو الإسكاف الراوي عن أبي الصلت؛ فذهب أصحاب الحديث بهذا إلى أبي عبدِالله أحمدَ بنِ حنبل فقال لهم: هذا إسنادٌ هاشميٌّ، وعليُّ بنُ موسَى ثقةٌ رِضا. وهذا ديني: الإيمان قولٌ وعملٌ عليه أحيَا، وعليه أموت، وعليه أُبعَثُ إنْ شاء الله».

وأفرط ابنُ الجوزيِّ رحمه الله كعادته؛ فأورد هذا الحديثَ في "الموضوعات"، وأعلَّه بأبِي الصَّلت. وأبو الصَّلت رغم ما قيل فيه مِنْ جرْحٍ، فحديثُـه لم يَنزلْ إلى هذه الدرجة؛ فقد

علمتَ توثيقَ ابنِ مَعينٍ له، وهو إمامٌ نقَّادٌ، وأثنَى عليه غيرُ واحدٍ أيضًا، فكيف يُدرَجُ حديثُ مَنْ هذا حاله في الموضوعات؟! ومع هذا لم ينفرد به، فقد توبع بأكثر مِنْ متابعةٍ.

الأولى: قال الخطيب في "التاريخ": أنبأنا عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ الحربيُّ: أنبأنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ دينارٍ: حدَّثني أبو جعفر محمَّدُ بنُ إسحاق الهرويُّ: حدَّثنا عبدُالله بنُ عُروَة: حدَّثنا عليُّ بنُ عزب: حدَّثنا عليُّ بنُ موسَى الرِّضا، به.

وعليُّ بنُ عزب روى له النَّسائيُّ، وابنُ ماجه، ووثَّـقه ابنُ مَعينٍ، والدارقطنيُّ، وقال أحمد: «سمعتُ فيه مجلسًا، كان يُدلِّس، وما رأيته إلَّا صدوقًا»، وقال ابنُ مَعينٍ: «صدوقٌ».

وقال الخطيب: «تُكُـلِّمَ فيه لأجل مذهبِه، وكان مُغاليًا في التشيع. وأمَّا روايته فقد وصفوه بالصدق فيها».اهـ. وأدنَى مِنْ ذلك يَصلُح في المتابَـعات.

الثانية: قال الخطيب أيضًا: أنبأنا أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِالله الكاتب، قال: قُرِىءَ علَى منصورِ بنِ محمَّدِ الأصبهانيِّ وأنا أسمع: حدَّثنا إسحاقُ بنُ أحمدَ بنِ زَيْرَكٍ: حدَّثنا محمَّدُ بنُ سهلِ بنِ عامرٍ البَجَليُّ: حدَّثنا عليُّ بنُ موسَى الرِّضا، به. وابنُ سهلٍ مجهولٌ.

الثالثة: قال أبو زكريَّاء البخاريُّ في "فوائده": أنبأنا أبو العبَّاس أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ يزداد الرازيُّ: حدَّثنا أبو الحسين عليُّ بنُ مهْرَوَيه القَزْوينِيُّ: حدَّثنا داودُ بنُ سليمان الغازيُّ: حدَّثنا عليُّ بنُ موسى الرِّضا به. وداود مجهولٌ.

الرابعة: قال الخطيب في "التاريخ": أنبأنا محمَّدُ بنُ عبدِالملِكِ القرشيُّ: أنبأنا عمرُ بنُ أحمدَ الواعظ: حدَّثنا عبدُالله بنُ أحمدَ بنِ عامرِ بنِ سليمان الطائيُّ: حدَّثني أبي، حدَّثني عليُّ بنُ موسَى الرِّضا، به.

ورواه مِنْ هذا الطريق ابنُ الأبَّارِ في "مُعجَم أصحابِ أبِي عِلِيٍّ الصَّدفيِّ"، وقال: «قال أبو ذرٍّ: سألتُ الدارقطنيَّ عن هذا الإسناد، فقال: لا يصحُّ؛ وإنَّما فسادُه مِنْ طريقِ مَنْ يرويه عن عليِّ بنِ موسى».اهـ

وقال ابنُ الجَوزيِّ: «عبدُالله بنُ أحمدَ بنِ سليمان يروي عن أهل الحديث نسخةً باطلةً».

الخامسة: قال الصابونيُّ في المأتين: أنبأنا أبو بكرٍ بنُ مهران: حدَّثنا أبو محمد زنجَوَيه بنُ محمَّدِ بنِ الحسن اللَّباد: حدَّثنا أبو حاتمٍ محمَّدُ بنُ إدريس الرازيُّ: حدَّثنا محمَّدُ بنُ زياد السَّهميُّ: حدَّثنا عليُّ بنُ موسى الرِّضا، به.

قال الصابونيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ لم أكتبه إلَّا مِنْ حديثِ أهل البيت».

السادسة: قال البيهقيُّ في "الشُّعَب": حدَّثنا أبو محمَّد عُبيدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدِ بنِ مهديٍّ الشيرازيُّ: أنبأنا أبو محمَّد عبدُالله بنُ محمَّدِ بنِ موسى بنِ كعبٍ: حدَّثنا أبو محمَّد بنُ الفضلِ بنِ محمَّدِ المُسَيب: حدَّثنا أبو الصَّلت الهرويُّ عبدُالسَّلام، ومحمدُ بنُ أسلم قالا: حدَّثنا عليُّ بنُ موسى الرِّضا، به.

غير أنَّه قال: «**الإيمانُ إقرارٌ باللسان، ومعرفةٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح**».

قال البيهقيُّ: «وشاهِدُ هذا الحديث ما أخبرنا أبو نصر بنُ قتادة، أنبأنا أبو عَمرِو بنُ مطر: حدَّثنا خشنام بنُ بشير بنِ العنبر: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المنذر الحزاميُّ: حدَّثنا أبو ضمرة أنسُ بنُ عِياضٍ: حدَّثني عبدُالله بنُ يرفأ، عن عبدِالرَّحمن بنِ فرُّوخ، عن عبدِالله بنِ أبِي قتادة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ شهِد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، فذلَّ بها لسانُه واطمأنَّ بها قلبُه لم تَطْعَمْه النَّارُ**».

السابعة: قال أبو بكرٍ السنيُّ في "كتاب الأخوة والأخوات": أخبرني أبو يحيَى الساجيُّ: حدَّثنا عبدُالعزيز بنُ محمَّدِ بنِ الحسنِ بنِ زبالة: حدَّثنا عبدُالله بنُ موسى بنِ جعفرٍ: حدَّثني عليُّ بنُ موسَى، به.

الثامنة: قال الشيرازيُّ في "الألقاب": أنبأنا أبو بكرٍ محمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عقيلٍ الورَّاق: حدَّثنا أبو محمَّدٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ هاشِمٍ البَلاذُرِيُّ الحافظُ: حدَّثنا الحسنُ بنُ محمَّدٍ، عن عليِّ بنِ موسَى الرِّضا، به.

فهذه متابَعاتٌ تامَّةٌ لِعبدِالسَّلام بنِ صالحٍ، عن عليِّ بنِ موسى الرِّضا عليه وعلى آبائه السَّلام. وله متابَعاتٌ أخرى قاصرةٌ:

الأولى: قال تمَّامٌ في "فوائده": حدَّثنا أحمدُ بنُ محمَّد الطَّبرستانيُّ: حدَّثنا الحسنُ بنُ عليٍّ التميميُّ: حدَّثنا صدقةُ بنُ محمد العنبريُّ: حدَّثنا موسى بنُ جعفرٍ، عن أبيه.

الثانية: قال تمَّام أيضًا: حدَّثنا أحمدُ بنُ محمَّد الطبرستانيُّ: حدَّثنا أحمدُ بنُ عيسَى الحلويُّ: حدَّثنا عبَّادُ بنُ صهيبٍ، عن جعفرَ بنِ محمَّدٍ، به.

وللحديث طرقٌ أخرى عن عائشة، وأنسٍ.

فحديثُ عائشة رضي الله عنها: قال الشيرازيُّ في "الألقاب": أنبأنا أبو عَمرٍو سعيدُ بنُ القاسم: حدَّثني أحمدُ بنُ اللَّيث بنِ الخليل: حدَّثني أحمدُ بنُ أبي حاتمٍ المُهلَّبيُّ: حدَّثني أحمدُ بنُ خالدِ بنِ أيُّوبَ المؤذِّن: حدَّثنا الحسن بنُ بِشرِ بنِ القاسم، عن عيسى بنِ إبراهيم، عن الزهريِّ، عن عُروةَ، عن عائشة، قالت: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمان إقرارٌ باللسان، وتصديقٌ بالقلب، وعملٌ بالأركان**».

قالوا: أصل الإيمان إقرار اللسان بتصديق القلب، وفروعه العمل بالفرائض.

وقالوا: الإيمان في الظاهر والباطن، والباطن شيءٌ واحدٌ وهو القلب، والظاهر أشياء مختلفة.

وأجمعوا أنَّ وجوب الإيمان ظاهرًا كوجوبه باطنًا وهو الإقرار، غير أنه قسط جزء من أجزاء الظاهر دون جميعه، ولما كان قِسْطُ الباطن من الإيمان قِسْطُ جميعه، وجب أن يكون قِسْطُ الظاهر من الإيمان قِسْطُ جميعه، وقِسْط جميعه: هو العمل بالفرائض؛ لأنه يعمُّ جميع الظاهر، كما عمَّ التصديق جميع الباطن.

وقالوا: الإيمان يزيد ويَنقُص.

وقال الجنيد وسهل وغيرهما من المتقدِّمين منهم: «إنَّ التصديق يزيد ولا ينقص، ونقصانه: يُخرج من الإيمان؛ لأنه تصديق بأخبار الله تعالى وبمواعيده، وأدنى شكٍّ فيه

ورواه الدَّيلميُّ في "مسنَد الفردوس" مِنْ طريقٍ آخرَ عن الحسنِ بنِ بشرٍ: حدَّثنا عيسى بنُ إبراهيم: حدَّثنا الحَكَمُ بنُ عبدِالله، عن الزهريِّ، به.

وحديثُ أنسٍ رضي الله عنه: قال ابنُ الجَوزيِّ في "الموضوعات": أخبرنا عليُّ الموحِّد: أنبأنا هنَّادُ بنُ إبراهيم النسفيُّ: حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ المَرْوزيُّ: حدَّثنا أبو مالكٍ سعيدُ بنُ هُبَيرة: حدَّثنا حمَّادُ بنُ سلمة، عن ثابتٍ البُنانيِّ، عن أنسٍ مرفوعًا: «**الإيمانُ: الإقرار بالله، والتصديق بالقلب، والعمل بالأركان**».

قال ابن الجوزيِّ: «فيه مجاهيل، وسعيدٌ ضعيفٌ، قال الدارقطنيُّ: لم يُحدِّث به إلَّا مَنْ سرقه مِنْ أَبِي الصَّلت». والله أعلم

كفرٌ. وزيادته: من جهة القوة واليقين وإقرار اللسان لا يزيد ولا ينقص، وعمل الأركان يزيد وينقص».

وقال قائلٌ منهم: «المؤمن اسم الله تعالى، قال الله جلَّ جلاله: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وهو يؤمن المؤمن بإيمانه من عذابه، والمؤمن إذا أقر وصدَّق وأتى بالأعمال المفترضات، وانتهى عن المنهيَّات أَمِنَ من عذاب الله، ومن لم يأتِ بشيءٍ من ذلك فهو مخلَّدٌ في النَّار، والذي أقرَّ وصدَّق وقَصَّر في الأعمال فجائزٌ أن يكون معذَّبًا غير مخلَّدٍ، فهو آمنٌ من الخلود غير آمنٍ من العذاب، فكان أمنه ناقصًا غير كاملٍ، وأَمِن من أتى بها كلها أمنًا تامًّا غير ناقصٍ، فوجب أن يكون نقصان أمنه لنقصان إيمانه؛ إذ كان تمام أمنه لتمام إيمانه».

وقد وصف النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إيمان من قصر في واجبٍ بالضعف فقال: «**وذلك أضعفُ الإيمان**»[1]، وهو الذي يرى المُنكَرَ فينكِره بباطنه دون ظاهره، فأخبر أنَّ إيمان الباطن دون الظاهر إيمانٌ ضعيفٌ.

---

(١) حديث: «**وذلك أضعفُ الإيمان**».

مسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه مِنْ طريق قَيْسِ بنِ مسلمٍ، عن طارقِ بنِ شهابٍ، قال: أوَّلُ مَنْ بدأ بالخطبة يومَ العيد مَرْوان، فقام إليه رجلٌ فقال: الصَّلاةُ قبلَ الخطبة. فقال: قد ترك ما هنالك، قال أبو سعيدٍ: أمَّا هذا فقد قضَى ما عليه، سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». ولم يذكر النَّسائيُّ القصَّة.

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، وابنُ ماجه مِنْ طريق الأعمش، عن إسماعيلَ بنِ رجاء، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، بِمِثل حديثِ قيسٍ.

ووصفه بالكمال فقال: «أكملُ المُؤمِنينَ ايمانًا أحسنُهم خـلُقًا»[1]، والأخلاق تكون في الظاهر والباطن، فما عمَّ الجميع وصف بالكمال، وما لم يعم الجميع وصف بالضعف.

---

(١) حديث: «أكملُ المُؤمِنينَ ايمانًا أحسنُهم خـلُقًا»(*).

أبو داود، والترمذيُّ مِنْ طريق محمَّدِ بنِ عَمرٍو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

زاد الترمذيُّ: «وخيارُكم خيارُكم لِنِسائهم خُلُقًا».

قال: «وفي الباب عن عائشة، وابن عبَّاسٍ، وحديث أبي هريرة حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ورواه الحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق القعقاعِ بنِ حكيمٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ، فقد احتجَّ بأحاديث للقعقاع، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة».

ورواه الترمذيُّ في "السنن"، والحاكم في "المستدرك" مِنْ طريق أَبِي قِلابة، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا وألطفهم بأهله».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ، ولا نعرف لأَبِي قِلابة سماعًا مِنْ عائشة. وقد روَى أبو قِلابة، عن عبدِالله بنِ يزيد -رضيعٌ لعائشة-، عن عائشة غيرَ هذا الحديث. وأبو قِلابة: عبدُالله بنُ زيد الجرميُّ».

وقال الحاكم: «وأنا أخشَى أنَّ أبا قِلابة لم يَسمعه مِنْ عائشة».

(*) ولنا جزءٌ في طُرُقِ هذا الحديث يُسمَّى:" الهديُ المتلقَّى في طرقِ حديثِ: أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا" (أحمد بن الصديق).

وقال بعضهم: «زيادة الإيمان ونقصانه من جهة الصفة لا من جهة العين، فزيادة الإيمان من جهة الجودة والحسن والقوة، ونقصانه من نقصانها لا من جهة العين».

وقد قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كَمُلَ مِن الرجال كثيرٌ ولم يكملْ مِنَ النساء إلَّا أربعُ**»[1]، وهنَّ: مريم، وفاطمة، وخديجة، وعائشة رضي الله عنهنَّ، ولم يكن

---

(١) حديث: «**نقصان النِّساء في العقل والدِّين بتركِهِنَّ الصَّلاةَ والصِّيامَ في الحيْض**».

البخاريُّ، واللفظُ له، ومسلمٌ مِنْ طريق محمَّدِ بن جَعفرٍ: أخبرني زيدُ -هو ابنُ أَسْلَمَ-، عن عِيَاضِ بنِ عبدِالله، عن أبي سعيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه، قال: خَرَجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أضْحَى يومٍ أو فِطْرٍ، إلى المُصَلَّى، فمَرَّ على النِّساء، فقال: «**يا معشرَ النِّسَاء تَصَدَّقنَ؛ فإنِّي رأَيتُكُنَّ أكثرَ أهل النَّار**» فقلنَ: وبِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «**تُكثِرنَ اللَّعنَ وتَكفُرنَ العَشِيرَ، ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إحداكُنَّ**» قلن: وما نُقصَانُ دينِنا وعقلِنا يا رسولَ الله؟ قال: «**أليسَ إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تَصُم**» قلن: بلى، قال: «**فذلك نُقصَانُ دينِها**».

ورواه مسلمٌ، وأبو داود، مِنْ طريقِ ابنِ الهادِ، عن عبدِالله بنِ دِينارٍ، عن عبدِالله بنِ عُمر، عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: «**يا معشرَ النِّساءِ تَصَدَّقنَ وأكثِرنَ الاستغفارَ؛ فإنِّي رأيتكُنَّ أكثرَ أهلِ النَّار**» فقالت امرأةٌ مِنهنَّ جَزْلَةٌ: وما لَنا يا رسولَ الله أكثر أهلِ النَّار؟ قال: «**تُكثِرنَ اللَّعْـنَ، وتَكْفُرنَ العَشِيرَ؛ ما رأيتُ مِنْ ناقِصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنكنَّ**» قالت: يا رسولَ الله وما نُقصانُ العقلِ والدِّين؟ قال: «**أمَّا نقصانُ العقلِ فشهادةُ امرأتيْنِ تَعْـدِلُ شهادة رجلٍ؛ فهذا نقصانُ العقل. وتَمكثُ الليالي ما تُصلِّي وتُفْـطِرُ في رمضان؛ فهذا نقصان الدِّين**».

نقصان سائر النساء من جهة أعيانهنَّ، ولكن من جهة الصِّفة،ووصَفَهنَّ أيضًا بنقصان العقل والدين، وفَسَّر نقصان دينهنَّ بتركهن الصَّلاة والصِّيام في الحيض.

والدين الإسلام، وهو والإيمان واحدٌ عند من لا يرى العمل من الإيمان.

وسئل بعض الكبراء عن الإيمان؟ فقال: «الإيمان من الله لا يزيد ولا ينقص، ومن الأنبياء يزيد ولا ينقص، ومن غيرهم يزيد وينقص».

فمعنى قوله: «من الله لا يزيد ولا ينقص»: أنَّ الإيمان صفة لله تعالى وهو موصوف به؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وصفات الله لا توصف بالزيادة والنقصان.

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق إسماعيلَ -هو ابن جعفرٍ- عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو، عن المَقبريِّ، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بمعنَى حديث ابنِ عُمر.

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريق عبدِالعزيزِ بنِ محمَّدٍ، عن سُهَيلِ بنِ أَبِي صالِحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خَطَبَ النَّاس فوعظهم، ثُمَّ قال: «**يا معشرَ النِّساء تَصَدَّقن، فإنكنَّ أكثرُ أهلِ النَّار**» فقالت امرأةٌ منهن: ولِمَ ذاك يا رسولَ الله؟ قال: «**لِكثرةِ لَعْنِكُنَّ -يعني- وكُفرِكُنَّ العَشِيرَ**» قال: «**وما رأيتُ مِنْ ناقصات عَقلٍ ودينٍ أغْلَبَ لِذوي الألباب وذوي الرأي مِنكنَّ**» قالت امرأةٌ مِنهنَّ: وما نقصانُ دِينِها وعقلِها؟ قال: «**شهادة امرأتيْنِ بشهادة رجلٍ، ونُقصَان دينِكنَّ: الحيضةُ؛ تَمكثُ إحداكُنَّ الثلاثَ والأربعَ لا تُصلِّي**».

قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن أبي سعيدٍ، وابنِ عُمرَ، وهذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ حسنٌ مِنْ هذا الوجه».

ويجوز أن يكون الإيمان من الله عزَّ وجلَّ: هو الذي قسمه للعبد منه في سابق علمه، لا يزيد وقت ظهوره ولا ينقص عما علمه منه، وقسمه له.

والأنبياء في مقام المزيد من الله تعالى من جهة القوة واليقين، ومشاهدات أحوال الغيوب، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيَ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

وسائر المؤمنين يزيد إيمانهم في بواطنهم بالقوة واليقين، وينقص من فروعه بالتقصير في الفرائض وارتكاب المناهي.

والأنبياء معصومون عن ارتكاب المناهي، ومحفوظون في الفرائض عن التقصير، فلا يوصفون بالنقصان في شيء من أوصافهم في حقائق الإيمان.

الباب الثامن والعشرون

قولهم في حَقَائق الإيمان

قال بعض الشيوخ: حقائق الإيمان أربعة: توحيدٌ بلا حدٍّ، وذكرٌ بلا بتٍّ، وحالٌ بلا نعتٍ، ووجدٌ بلا وقتٍ.

معنى حال بلا نعتٍ: أن يكون وصفه حاله، حتى لا يَصِف حالًا من الأحوال الرفيعة إلَّا وهو بها موصوفٌ؛ «ووجدٌ بلا وقتٍ»: أن يكون مشاهِدًا للحقِّ في كلِّ وقتٍ.

وقال بعضهم: من صحَّ إيمانه لم ينظر إلى الكون وما فيه؛ لأنَّ خَسَاسَة الهِمَّة: من قِلَّة المعرفة بالله تعالى.

وقال بعضهم: صِدْق الإيمان: التعظيم لله، وثمرته: الحياء من الله.

وقيل: المؤمن مشروح الصَّدر بنور الإسلام، مُنيب القلب إلى ربِّه، شهيد الفؤاد لربِّه، سليم اللُّبِّ، مُتعوِّذٌ بربِّه، مُحترقٌ بقُرْبه، صارخٌ مِن بُعْدِهِ.

وقال بعضهم: الإيمان بالله مشاهدة ألوهيَّته.

وقال أبو القاسم البغداديُّ: «الإيمان: هو الذي يجمعك إلى الله، ويجمعك بالله، والحقُّ واحدٌ، والمؤمن متوحِّدٌ، ومَن وافق الأشياء فرقَّته الأهواء، ومن تفرَّق عن الله بهواه وتَبع شهوته وما يهواه فاته الحقُّ؛ ألا ترى أنه أمرهم بتكرير العقود عند كلِّ خطرةٍ ونظرةٍ، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشِّركُ أخفَى في أمَّتي مِنْ دَبِيبِ النَّملِ على الصَّـفا فِي الليلةِ الظلماء**»(١).

---

(١) حديث: «**الشِّركُ أخفَى في أمَّتي مِنْ دَبِيبِ النَّملِ على الصَّـفا فِي الليلةِ الظلماء**». =

أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريق مَعروفٍ أَبِي مَحفُوظٍ: ثنا عبدُالله بنُ موسى: ثنا عبدُالأعلى بنُ أَعيَن، عن يحيَى بنِ أَبِي كثيرٍ، عن عُروَةَ، عن عائشة قالت: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشِّركُ أَخفَى في أُمَّتي من دَبِيبِ النَّملِ على الصَّفَا في اللَّيلَة الظَّلماءِ، وأدناه أَنْ تُحِبَّ على شيءٍ مِنَ الجَوْرِ، أو تُبغِضَ على شيءٍ مِنَ العدلِ، وهل الدِّينُ إلَّا الحُبُّ في الله والبُغْضُ في الله. قال الله تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ورواه البزَّار، وأبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق عبدِالأعلى، عن أَعْيَنَ، عن يحيَى بنِ أَبِي كثيرٍ، عن عُرْوَةَ، عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشِّركُ أَخْفَى من دَبِيبِ النَّملِ على الصَّفَا في اللَّيلة الظَّلماءِ، وأدناه أن تُحِبَّ على شيءٍ من الجَوْرِ وتُبغِضَ على شيءٍ من العدل، وهل الدِّينُ إلَّا الحُبُّ في الله والبُغضُ في الله؟ قال الله تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ حَسَّان بنِ عَبَّادٍ البَصريِّ، عن أبيه، عن سُليمانَ التَّيمِيِّ، عن أَبِي مِجْلَزٍ، وعِكْرِمَةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشِّركُ في أُمَّتي أخفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ على الصَّفَا، وليس بين العبد والكُفرِ إلَّا تَركُ الصَّلَاة**».

قال أبو نعيمٍ: «غريبٌ مِنْ حديثِ سُليمان، وأَبِي مِجْلَزٍ، وعِكرِمَةَ. تفرَّد به عَبَّادُ البصريُّ، وعنه ابنُه حسَّان».

ورواه أيضًا مِنْ طريق يحيَى بنِ محمَّدٍ البَختَرِيُّ: ثنا شَيبَانُ بنُ فَرُّوخٍ: ثنا يحيى بنُ كثيرٍ، عن سُفيانَ الثَّوريِّ، عن إسماعيلَ بن أَبِي خالدٍ، عن قَيسِ بنِ أَبِي حازمٍ، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشِّركُ أَخْفَى في أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ النَّملِ على الصَّفَا**»، فقال أبو بكرٍ: يا رسولَ الله، وكيف النَّجاةُ والمَخرَجُ؟ فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ شيئًا إذا قُلتَهُ بَرِئتَ مِنْ قَلِيلِه، وكَثِيرِه، وصَغِيرِه، وكَبِيرِه**»، قال: قُلْ: «**اللهمَّ إنِّي**

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عبدُ الدِّرهم، تَعِسَ عبدُ بَطنِه، تَعِسَ عبدُ فَرجِه، تَعِسَ عبدُ الخَمِيصَة**»[1]. وسألت بعض مشايخنا عن الإيمان؟ فقال: «هو أن يكون الكلُّ منك مستجيبًا في الذعوة مع حذف خواطر الانصراف عن الله بسِرِّك، فتكون شاهدًا لما له، غائبًا عما ليس له».

أعوذُ بكَ أنْ أُشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرك ممَّا تعلمُ ولا أعلمُ». قال أبو نعيمٍ: «تفرَّدَ به عن الثَّوريِّ، يحيَى بنُ كثيرٍ».

(١) حديث: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، تَعِسَ عبدُ الدِّرهم، تَعِسَ عبدُ بَطنِه، تَعِسَ عبدُ فَرجِه، تَعِسَ عبدُ الخَمِيصَة**».

البخاريُّ في "صحيحِه"، وابنُ ماجه في "سننه" مِنْ طريق أبِي بكرٍ بنِ عَيَّاشٍ، عن أبِي حصينٍ، عن أبِي صالحٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار والدِّرهمِ والقَطِيفَةِ والخَمِيصَةِ؛ انْ أُعْطِـيَ رَضِيَ، وانْ لمْ يُعطَ لمْ يَرضَ**».

ورواه ابنُ ماجه مِنْ طريقِ صفوان، عن عبدِالله بنِ دينارٍ، عن أبِي صالحٍ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَعِسَ عبدُ الدِّينار وعبدُ الدِّرهم، وعبدُ الخَمِيصَة، تعِسَ وانْتكَس، وإذا شِيكَ فلا انتَقَش**».

ورواه الترمذيُّ في "السنن"، والخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق بِشْرِ بنِ هلالٍ الصَّوَّاف، حدَّثنا عبدُالوارثِ بنِ سعيدٍ، عن يونسَ، عن الحَسَنِ، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لُعِـنَ عبدُ الدينار، وعبدُ الدرهم**». قال الترمذيُّ: « حديثٌ حسنٌ غريبٌ مِنْ هذا الوجه، وقد رُوِيَ هذا الحديثُ مِنْ غيرِ هذا الوجه عن أبِي صالِحٍ، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أتَـمَّ مِنْ هذا وأطوَلَ».

وسألته مرة أخرى عن الإيمان؟ فقال: «الإيمان: ما لا يجوز إتيان ضدِّه، ولا ترك تكليفه».

وفي قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [النساء: ١٣٦] يا أهل صفوتي ومعرفتي، يا أهل قُرْبي ومُشاهدتي.

وجعل بعضهم الإيمان والإسلام واحدًا، وفرَّق بعضهم بينهما، فقال من فرَّق بينهما: «الإسلام عامٌّ والإيمان خاصٌّ».

وقال بعضهم: «الإسلام ظاهرٌ، والإيمان باطنٌ».

وقال بعضهم: «الإيمان تحقيقٌ واعتقادٌ، والإسلام خُضُوعٌ وانقيادٌ».

وقال بعضهم: «التوحيد سِرٌّ، وهو تنزيه الحقِّ عن دَرْكِه، والمعرفة بِرٌّ وهو أن تعرفه بصفاته، والإيمان عقد القلب بحفظ السِّرِّ ومعرفة البرِّ. والإسلام: مشاهدة قيام الحق بكلِّ ما أنت به مطالبٌ».

الباب التاسع والعشرون

قولهم في المذاهب الشَّرعِيَّة

إنهم يأخذون لأنفسهم بالأحوط والأوثق فيما اختلف فيه الفقهاء، وهم مع إجماع الفريقين فيما أمكن.

ويرون اختلاف الفقهاء صوابًا، ولا يعترض الواحد منهم على الآخر، وكلُّ مجتهدٍ عندهم مصيبٌ.

وكلُّ من اعتقد مذهبًا في الشرع وصحَّ ذلك عنده بما يصح مثله مما يدل عليه الكتاب والسُّنَّة وكان من أهل الاستنباط فهو مصيبٌ باعتقاده ذلك.

ومن لم يكن من أهل الاجتهاد أخذ بقول من أفتاه ممَّن سبق إلى قلبه من الفقهاء أنه أعلم، وقوله حُجَّةٌ له.

وأجمعوا على تعجيل الصَّلوات -وهو الأفضل عندهم مع التيقُّن بالوقت- ويرون تعجيل أداء جميع المُفترضات عند وجوبها، لا يرون التقصير والتأخير والتفريط فيها إلَّا لعُذرٍ.

ويرون تقصير الصَّلاة في السفر، ومن أدمن السفر منهم ولم يكن له مَقرٌّ أتمَّ الصلاة.

ورأوا الفِطْرَ في السفر جائزًا، ويصومون.

واستطاعة الحجِّ عندهم الإمكان من أي وجهٍ كان، ولا يشترطون الزاد والراحلة فقط، قال ابن عطاء: «الاستطاعة اثنان: حالٌ ومالٌ، فمن لم يكن له حالٌ يُقِلُّه، ولا مالٌ يبلِّغه، لا يجب عليه».

الباب الثلاثون

قوْلهم في المكاسِب

أجمعوا على إباحة المكاسب من الحِرَف والتجارات والحَرْث، وغير ذلك ممَّا أباحته الشريعة على تيقُّظٍ وتثبُّتٍ وتحرُّزٍ من الشُّبهات.

وأنها تُعمل للتعاون، وحسم الأطماع، ونية العود على الأغيار، والعطف على الجار.

وهي عندهم: واجبةٌ لمن رُبِط به غيره ممَّن يلزمه فرضه.

وسبيل المكاسب عند الجنيد على ما سبق من الشرط: سبيل الأعمال المُقرِّبة إلى الله عزَّ وجلَّ، ويشتغل العبد بها على حسب ما يشتغل في إتيان ما نُدب إليه من النوافل، لا على أنَّ بها تُجلب الأرزاق، وتُجرُّ المنافع.

وهي عند غيره مباحٌ للفرد ليس بواجبٍ عليه، من غير أن يقدح في توكُّله، أو يجرح دينه.

والاشتغال بوظائف الحقِّ أولى وأحقُّ، والإعراض عنه عند صحَّة التوكُّل والثقة بالله أوجب.

وقال سهل: «لا يصح الكسب لأهل التوكُّل إلَّا لاتباع السُّنَّة، ولا لغيرهم إلَّا للتعاون».

هذا ما تحقَّقناه وصحَّ عندنا من مذاهب القوم من أقاويلهم في كتبهم، ممن ذكرنا أساميهم ابتداءً، وما سمعناه من الثقات ممن عرف أصولهم، وتحقَّق مذاهبهم، والذي فهمناه من رموزهم وإشاراتهم في ضمن كلامهم.

وليس كلُّ ذلك مسطورًا لهم على حسب ما حكيناه، وأكثر ما ذكرنا من العلل والاحتجاج فمن كلامنا، عبارة عما حصَّلناه من كتبهم ورسائلهم.

ومن تدبَّر كلامهم وتفحَّص كتبهم عَلِمَ صحَّة ما حكيناه، ولولا أنَّا كرهنا الإطالة والإكثار لكنَّا نذكر مكان ما حكيناه من كلامهم من كتبهم نصًّا ودلالةً؛ إذ ليس كلُّ ذلك مرسومًا في الكتب على التصريح.

ونذكر الآن بعض ما تخصَّصوا به من أقاويلهم، وما استعملوه من ألفاظهم، ممَّا تفرَّدوا به، والعلوم التي عُنُوا بها، وما يدور كلامهم عليه، ونشرح بعض ما يمكن شرحه، وبالله نستعين، ولا حول وقوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

الباب الحادي والثلاثون

عُلوم الصُّوفيَّة علوم الأحوال

أقول وبالله التوفيق: اعلم أنَّ علوم الصُّوفيَّة علوم الأحوال، والأحوال مواريث الأعمال، ولا يَرِث الأحوال إلَّا من صحَّح الأعمال.

وأوَّل تصحيح الأعمال معرفة عُلومها، وهي علم الأحكام الشرعيَّة: من أصول الفقه وفروعه من الصَّلاة، والصَّوم، وسائر الفرائض.. إلى علم المعاملات من النكاح، والطلاق، والمبايعات.. وسائر ما أوجب الله تعالى ونَدَب إليه، وما لا غناء به عنه من أمور المعاش.

وهذه علوم التعلُّم والاكتساب.

فأول ما يلزم العبد الاجتهاد في طلب هذا العلم وإحكامه على قدر ما أمكنه ووسعه طَبْعُه وقوي عليه فهمه، بعد إحكام علم التوحيد والمعرفة، على طريق الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصَّالح عليه، القدر الذي يتيقَّن بصحَّة ما عليه أهل السُّنَّة والجماعة.

فإن وُفِّقَ لما فوقه من نفي الشُّبه التي تعترضه من خاطرٍ، أو ناظرٍ فذاك، وإن أعرض عن خواطر السوء اعتصامًا بالجملة التي عرفها، وتجافى عن المُنَاظِرِ الذي يُحاجِّه فيه ويجادله عليه وباعده، فهو في سعةٍ إن شاء الله عزَّ وجلَّ، واشتغل باستعمال علمه وعمل بما عَلِم.

فأول ما يلزمه علم آفات النفس، ومعرفتها، ورياضتها، وتهذيب أخلاقها، ومكائد العدوِّ، وفتنة الدنيا، وسبيل الاحتراز منها، وهذا العلم علم الحكمة.

فإذا استقامت النفس على الواجب، وصلحت طباعها، وتأدَّبت بآداب الله عزَّ وجلَّ من زمِّ جوارحها، وحفظ أطرافها، وجمع حواسِّها، سهل عليه إصلاح أخلاقها، وتطهير الظاهر منها، والفراغ مما لها، وعزوفها عن الدنيا، وإعراضها عنها.

فعند ذلك يمكن العبد مراقبة الخواطر، وتطهير السرائر، وهذا هو علم المعرفة.

ثُمَّ وراء هذا علوم الخواطر، وعلوم المشاهدات والمكاشفات، وهي التي تختصُّ بعلم الإشارة، وهو العلم الذي تفرَّدت به الصُّوفيَّة بعد جمعها سائر العلوم التي وصفناها.

وإنما قيل: علم الإشارة؛ لأنَّ مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تُعلم بالمنازلات والمَواجيد، ولا يعرفها إلَّا من نازل تلك الأحوال، وحلَّ تلك المقامات.

روى سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **إنَّ مِنَ العِلم كهيئة المكنون، لا يَعلمُه إلَّا أهلُ المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم يُنْكِره إلَّا أهلُ الغِـرَّةِ بِالله**»[1].

---

(١) حديثُ سعيدِ بنِ المُسيَّب، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ مِنَ العِلم كهيئة المكنون، لا يَعلمُه الَّا أهلُ المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم يُنْكِره إلَّا أهلُ الغِـرَّةِ بِالله**».

أبو عبدِالرحمنِ السُّلَمِيُّ في "الأربعين" له في التصوف، قال: حدثنا حامدُ الهرويُّ، عن نصرِ بنِ محمدِ بنِ الحارثِ، عن عبدِالسلامِ بنِ صالحٍ، عن سُفيانَ بنِ عُيينةَ، عن ابنِ جريجٍ، عن عطاءٍ، عن أبي هريرة، به. فهو لم يروِه مِن طريق سعيدِ بنِ المسيب كما ذكره المصنِّف.

قال العراقيُّ رحمه الله في المُغنِي: «إسناده ضعيفٌ».

وعن عبدالواحد بن زيدٍ قال: سَألتُ الحَسَنَ عن عِلمِ الباطن، فقال: سَألتُ حذيفةَ عن عِلم الباطن، فقال: سَألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن عِلمِ الباطن، فقال: «**سَألتُ جبريلَ عن عِلمِ الباطن، فقال: سَألتُ اللهَ عن عِلمِ الباطن، فقال: هو سِرٌّ مِنْ أسراري أجعَلُه في قلبِ عبدِي، لا يقِفُ عليه أحدٌ مِنْ خلقِي**»[1].

ورواه الطبسيُّ في "ترغيبه" مِنْ طريقِ نصرِ بنِ أحمدَ البوزجانيِّ: حدَّثنا عبدُالسَّلامِ بنُ صالحٍ: حدَّثنا سفيانُ بنُ عُيَينة، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **إنَّ مِنَ العِلمِ كهيئة المكنون، لا يَعلَمُه إلَّا أهلُ العلمِ بالله، فإذا نطقوا به لم يُنكره إلَّا أهلُ الغرَّة بالله. إنَّ اللهَ جامِعُ العلماء يوم القيامة في صعيدٍ واحدٍ، فيقولُ لهم: إنِّي لم أُودِعْكُم عِلمِي وأنا أريدُ أنْ أعَذِّبَكُم**». ونصرُ بنُ أحمد: لم أعرفه.

وقال إمامُنا الشيخ الأكبرُ رضي الله تعالى عنه في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة مِنَ "الفتوحات" بعدَ أنْ ذكر الحديثَ: «وهذا مِن طريق الكشف عند أهله حديث صحيحٌ مُجمعٌ عليه عندهم خاصةً عرفوه وتحققوه».

(١) حديث عبدِالواحدِ بنِ زَيْدٍ، قال: سَألتُ الحَسَنَ عن عِلمِ الباطن، فقال: سَألتُ حذيفةَ عن عِلم الباطن، فقال: سَألتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن عِلمِ الباطن، فقال: «**سَألتُ جبريلَ عن عِلمِ الباطن، فقال: سَألتُ اللهَ عن عِلمِ الباطن، فقال: هو سِرٌّ مِنْ أسراري أجعَلُه في قلبِ عبدِي، لا يقِفُ عليه أحدٌ مِنْ خلقِي**»[*]. =

(*) ورويناه مسلسلًا بهذه الصفة أيضًا.

قال أبو الحسن بن أبي ذرٍّ في كتابه "منهاج الدين": أنشدونا للشّبليِّ:

عِلـمُ التصـوف عِلـمٌ لا نَفَـادَ لَـهُ عِلْـمٌ سَـنِيٌّ سَـمَاويٌّ رَبُـوبِي

فيـه الفوائـد للأَربَـابِ يَعرِفُهـا أهـلُ الجَزَالـةِ والصُّـنع الخُصُـوصي

ثُمَّ لكلِّ مقامٍ بدءٌ ونهايةٌ، وبينهما أحوالٌ متفاوتةٌ، ولكلِّ مقامٍ علمٌ، وإلى كلِّ حالٍ إشارةٌ، ومع كلِّ.مقامٍ إثباتٌ ونفيٌ، وليس كلُّ ما نُفي في مقامٍ كان منفيًّا فيما قبله، ولا كلُّ ما أُثبت فيه كان مُثبتًا فيما دونه.

= أبو القاسمِ القشيريُّ في "الرسالة"، والديلميُّ في "المسنَد"، والطّيلَسانِيُّ في مُسلسلاتِه، وابنُ أبِي عصرونَ مِنْ طريق حمَّاد بنِ عطاء الهُجَيميِّ، قال: سألتُ عبدَالواحِدِ بنَ زيدٍ عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألتُ الحَسَنَ البصريَّ عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألتُ حذيفةَ بنَ اليَمانِ عن الإخلاص: ما هو؟ قال: سألتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الإخلاص ما هو؟ قال: «**سألتُ جبريلَ عليه السَّلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألتُ ربَّ العزَّةِ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سِرٌّ مِنْ أسرَارِي استودعتُه قلبَ مَنْ أحببتُه مِنْ عِبادي**».

أحمدُ بنُ عطاءٍ، قال الدارقطنيُّ: «متروكٌ». والحَسَنُ لم يسمع مِنْ حذيفةَ، وعبدُالواحد: ضعيفٌ.

ومع هذه العلل القادحة في ضعفِه فضلًا عن صِحَّتِه، صحَّحه ابنُ العَربيِّ المالِكيُّ صاحبُ "الأحكام" في كتابه "سراج المريدين"؛ وهذا دليلٌ واضحٌ على أنَّه كان جاهلًا بعلم الحديث جهلًا عظيمًا، لا يدري فيه قليلًا ولا كثيرًا. وقد أخطأ الحافظُ الذهبيُّ خطأً كبيرًا، حيث تَرْجَمَ له في "تذكرة الحُفَّاظ"، وأدخَلَه في عدادهم، مع أنَّه لا ينبغي أَنْ يُذكَرَ في عداد طلبة الحديث، فضلًا عن حُفَّاظه.

وهو كما روى عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لا إيمان لِمَنْ لا أمانةَ له**»[1]، فنفى إيمان الأمانة لا إيمان العقد، والمخاطبون أدركوا ذلك؛ إذ كانوا قد حلوا مقام الأمانة، أو جاوزوه إلى ما فوقه.

---

(١) حديث: «**لا إيمان لِمَنْ لا أمانةَ له**».

أحمد، وأبُو يعلَى، والبزَّار، والطبرانيُّ في "الأوسط"، وابنُ حِبان في "صحيحه"، والقضاعيُّ في "المسند"، والبيهقيُّ في "الشُّعَب"، والخرائطيُّ في "مكارم الأخلاق" مِنْ طريقِ حجَّاج بنِ مِنهالٍ، ثنا أبو هِلالٍ، عن قتادةَ، عن أنسٍ، قال: قَـلَّ: ماخطبَنَا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا قال: «**لا إيمان لِمن لا أمانة له، ولا دِينَ لِمَنْ لا عهْدَ له**».

ورواه القضاعيُّ في "مسنَد الشهاب"، مِنْ طريقِ مُغيرة بنِ زِياد الثقَفِيِّ، عن أنسٍ، به.

وإسنادُه جيِّـدٌ.

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، و"الصغير"، وابنُ ترتال في جزئِه مِنْ طريقِ الحسينِ بنِ الحَكَمِ بنِ مُسلمٍ: ثنا حَسنُ بنُ حُسينٍ: ثنا مِنْـدَلٌ: عن عُبَيدِ الله، عن نافعٍ، عن ابن عُمرَ، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لِمن لا طهورَ له، ولا دِينَ لمن لا صلاة له. إنَّما موضعُ الصَّلاة مِنَ الدِّينِ، كموضع الرأس مِنَ الجسد**».

قال الطبرانيُّ: «تفرَّد به الحُسينُ بنُ الحَكمِ الحبريُّ».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ موسى بنِ عُبيدة، عن القُرَظِيِّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دِينَ لمن لا عقْـلَ له**».

قال أبو نعيمٍ: «هذا حديثٌ غريبٌ مِنْ حديث القُرَظِيِّ؛ تَفَرَّدَ به موسى بنُ عُبيدة».

قلتُ: وفي البابِ عن جماعةٍ مرفوعًا، وموقوفًا.

وكان عليه السَّلام مُشرفًا على أحوالهم فصرَّح لهم، فأمَّا من لم يشرف على أحوال السامعين، وعبَّر عن مقامٍ فنفى فيه وأثبت جاز أن يكون في السامعين من لم يحلّ ذلك المقام، وكان الذي نفاه القائل مُثبتًا في مقام السامع، فيسبق إلى وهم السامع أنه نفى ما أثبته العلم، فخطَّأ قائله، أو بدَّعه، وربما كَفَّره.

فلما كان الأمر كذلك؛ اصطلحت هذه الطائفة على ألفاظ في علومها، تعارفوها بينهم ورمزوا بها، فأدركه صاحبه، وخفي على السامع الذي لم يحل مقامه، فإمَّا أن يُحسن ظنَّه بالقائل فيقبله ويرجع إلى نفسه فيحكم عليها بقصور فهمه عنه، أو يسوء ظنَّه به فيُهوِّس قائله وينسبه إلى الهَذَيان؛ وهذا أسلم له من ردِّ حقٍّ وإنكاره.

قال بعض المتكلِّمين لأبي العباس بن عطاء: «ما بالكم - أيها المتصوِّفة- قد اشتققتم ألفاظًا أغربتم بها على السامعين، وخرجتم عن اللسان المعتاد! هل هذا إلَّا طلب للتمويه، أو ستر لعَوَار المذهب؟ فقال أبو العباس: ما فعلنا ذلك إلَّا لغيرتنا عليه؛ لعزَّته علينا كيلا يُشربها غير طائفتنا، ثُمَّ اندفع يقول:

أحسن ما أُظْهِرُهُ وَنُظْهِرُهُ ... بادئ حَقٍّ للقلوب نشْعُرُه

يُخبرني عَنِّي وعَنْهُ أُخْبِرُهُ ... أَكْسُوهُ مِنْ رونَقِه ما يَسْتُرُه

عن جاهل لا يستطيع ينشُرُه ... يُفْسِد مَعناه إذا ما يَعْبُرُه

فلا يُطِبقُ اللَّفظَ بل لا يَعْشُرُه ... ثُمَّ يُوافِي غَيْرَه فيُخْبِرُه

فَيَظْهَرُ الجَهْلُ وتَبدو زُمَرُه ... ويُدْرَسَ العِلْمُ وَيَعْفُو أثرُه

وأنشدونا أيضًا له:

إذا أهلُ العِبَارَة سَاءلونا ... أَجَبنَاهم بأعلام الإشارة

نُشِيرُ بها فنَجعلها غُمُوضًا ... تُقَصِّرُ عَنهُ ترجمةُ العِبَارة

ونَشْهَدُهَا وتُشْهِدُنا سرورًا ... لَه في كُلّ جارِحَةٍ إثارة

ترى الأقوالَ في الأحوال أسْرَى ... كأسْرِ العارِفِين ذوي الخَسَارة

الباب الثاني والثلاثون

في التَّصَوّف ما هو؟

سمعت أبا الحسن محمَّد بن أحمد الفارسي يقول: «أركان التصوف عشرة: أولها تجريد التوحيد، ثُمَّ فهم السماع، وحُسْن العِشْرة، وإيثار الإيثار، وترك الاختيار، وسرعة الوجد، والكشف عن الخواطر، وكثرة الأسفار، وترك الاكتساب، وتحريم الادِّخار».

معنى تجريد التوحيد: أن لا يشوبه خاطر تشبيهٍ، أو تعطيلٍ.

وفهم السماع: أن يسمع بحاله، لا بالعلم فقط.

وإيثار الإيثار: أن يؤثر على نفسه غيره بالإيثار؛ ليكون فضل الإيثار لغيره.

وسرعة الوجد: أن لا يكون فارغ السِّرِّ ممَّا يُثير الوجد، ولا مُمتلئ السِّرِّ ممَّا يمنع من سماع زواجر الحقِّ.

والكشف عن الخواطر: أن يبحث عن كلِّ ما يخطر على سرِّه، فيتابع ما للحقِّ، ويدع ما ليس له.

وكثرة الأسفار: لشهود الاعتبار في الآفاق والأقطار؛ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الروم: ٩]، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]؛ قيل في قوله عزَّ وجلَّ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: قال بضياء المعرفة لا بظلمة النكرة؛ ولقطع الأسباب ورياضة النفوس.

وتَرْكُ الاكتساب لمطالبة النفوس بالتوكل.

وتحريم الادِّخار في حالة، لا في واجب العلم؛ كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الذي مات مِنْ أهلِ الصُّفَّة، وتَرَكَ دِينارًا، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كـيَّة»[1].

---

(١) حديثُ الرجلِ الذي مات مِنْ أهلِ الصُّفَّة، وتَرَكَ دِينارًا، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كـيَّة».

أحمد، والطبرانيُّ مِنْ حديثِ أبِي أمامة، وسندُه حسنٌ.

ورواه أحمد، وابنُ حِبان في "صحيحه" مِنْ حديث عبدِالله بنِ مسعودٍ قال: تُوُفِّيَ رجلٌ مِنْ أهل الصُّفَّة، فوجدوا في شَملَتِهِ دِينارَيْنِ. فذكروا ذلك لِلنَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «كَيَّـتَانِ».

ورواه الخطيب في "التاريخ" مِنْ طريق عُـتْبَةَ الضَّرير، عن يَزيد بنِ أَصْـرَم، عن عليِّ بنِ أبِي طالِبٍ، قال: مات رجلٌ مِنْ أهلِ الصُّفَّة وترك دينارًا ودرهمًا، فذكروا ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «كيَّتان، صَلُّوا على صاحِبِكم».

الباب الثالث والثلاثون
في الكشف عن الخَواطِر

قال بعض الشيوخ: الخاطر على أربعة أوجه: خاطرٌ من الله عزَّ وجلَّ، وخاطرٌ من المَلَك، وخاطرٌ من النفس، وخاطرٌ من العدوِّ.

فالذي من الله تنبيه، والذي من المَلَك حثٌّ على الطاعة، والذي من النفس مطالبة الشهوة، والذي من العدوِّ تزيين المعصية.

فبنور التوحيد يَقبل من الله، وبنور المعرفة يَقبل من المَلَك، وبنور الإيمان يَنْهى النفس، وبنور الإسلام يَردُّ على العدوِّ.

الباب الرابع والثلاثون
في التَّصوف والاسْتِرْسَال

قال الجنيد: «التصوف: حفظ الأوقات»، قال: «وهو أن لا يُطالع العبد غير حدِّه، ولا يُوافق غير ربِّه، ولا يُقارن غير وقته».

وقال ابن عطاء: «التصوف: الاسترسال مع الحقِّ».

قال أبو يعقوب السوسيُّ: «الصوفيُّ: هو الذي لا يُزعجه سلبٌ، ولا يُتْعِبه طَلَبٌ».

قيل للجنيد: ما التصوف؟ قال: «لحوق السِّرِّ بالحقِّ، ولا يُنال ذلك إلَّا بفناء النفس عن الأسباب؛ لقوَّة الرُّوح والقيام مع الحقِّ».

وسُئل الشبليُّ: لِمَ سُمِّيت الصُّوفيَّة صوفيَّة؟ قال: «لأنها ارتسمت بوجود الرَّسم وإثبات الوصف، ولو ارتسمت بمحو الرَّسم لم يكن إلَّا اسم الرَّسم ومثبت الوصف، فأحالهم على رسومهم، وأنكر أن يكون للمتحقِّق رسمٌ أو وصفٌ».

قال أبو يزيد: «الصُّوفيَّة أطفالٌ في حِجْرِ الحقّ».

قال أبو عبدالله النباجيُّ: «مثل التصوف مثل علة (البرسام)، في أولها هذيان، فإذا تمكنت أخرست»، يعني: أنه يُعبر عن مقامه، وينطق بعلم حاله، فإذا كوشف تحيَّر وسكت.

سمعت فارسًا يقول: «متى تظاهر في خواطر الهُجُوس على دواعي مُلِمَّات النفوس، وجد السبيل إلى ترجيح الأولى، فيقع النشر. وأمَّا الوصلة فإنها تحجب موادَّ الإملاء، فيكون المرجع إلى الخرس عن كلِّ نَفْسٍ».

سُئل النوريُّ عن التصوف؟ فقال: «نشر مقامٍ، واتِّصالٌ بقوامٍ»، قيل له: فما أخلاقهم؟ قال: «إدخال السُّرور على غيرهم، والإعراض عن أذاهم؛ قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]

معنى «نشر مقامٍ»: هو أن يعبِّر عن حاله إذا عبَّر، لا عن حال غيره، بلسان العلم.

ومعنى «اتصالٌ بقوامٍ»: هو أن يَحمِلَهُ حاله في حاله عن حال غيره.

وأنشدونا للنوريِّ:

أزعَجْتَنِي عن نُعُوت الحالِ بالحالِ ... وكيف يُنْعَتُ مَنْ لا قال بالقالِ

ما كلُّ مَنْ يدَّعى حالًا تُصدِّقُه ... حتى يُترجِمَ عنه صاحِبُ الحال

ونُريد أن نُخبر الآن ببعض المقامات على لسان القوم من غير بسطٍ؛ كراهة الإطالة، ونحكى من مقالات المشايخ فيها ما قَرُب منها إلى الأفهام، دون الرُّموز الخفيَّة، والإشارات الدقيقة، ونبدأ بالتوبة.

الباب الخامس والثلاثون

قولهم في التَّوبة

سُئل الجنيد بن محمَّد عن التوبة ما هي؟ فقال: «هو نسيان ذنبك».

وسُئل سهل عن التوبة؟ فقال: «هو أن لا تنسى ذنبك».

فمعنى قول الجنيد: أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك، خروجًا لا يبقى له في سِرِّك أثرٌ، حتى تكون بمنزلة من لا يَعرف ذلك قطُّ.

وقال رُوَيمٍ: «معنى التوبة: أن تتوب من التوبة». معناه: ما قالت رابعة: «أستغفر الله مِن قِلَّة صدقي في قولي أستغفر الله».

سُئل الحسين المغازلي عن التوبة؟ فقال: «تسألني عن توبة الإنابة، أو توبة الاستجابة؟» فقال السائل: ما توبة الإنابة؟ قال: «أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك»، قال: فما توبة الاستجابة؟ قال: «أن تستحي من الله لقُرْبِه مِنك».

قال ذو النون: «توبة العامِّ من الذنب، وتوبة الخاصِّ من الغفلة، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما ناله غيرهم».

وقال النوريُّ: التوبة: «أن تتوب من ذكر كلِّ شيءٍ سوى الله جلَّ وعزَّ».

قال إبراهيم الدقَّاق: «التوبة: أن تكون لله وجهًا بلا قفا، كما كنت له قفًا بلا وجهٍ»، والله الموفِّق.

الباب السادس والثلاثون

قولهم في الزُّهد

قال الجنيد: «الزهد: خُلُوُّ الأيدي مِن الأملاك، والقلوب من التَّتَبُّعِ».

قال عليُّ بن أبى طالبٍ رضي الله عنه، وسئل عن الزهد ما كان؟ فقال: «هو أن لا تُبالي مَنْ أكل الدنيا، من مؤمنٍ أو كافرٍ».

قال يحيى: «الزهد: تَرْك البُدِّ».

قال مسروق: «الزاهد: الذي لا يملكه مع الله سببٌ».

سُئل الشبليُّ عن الزُّهد؟ فقال: «ويلكم، أيُّ مِقدارٍ لأقلَّ من جَناح بعوضةٍ حتى يُزهد فيها!؟».

قال أبو بكرٍ الواسطيُّ: «كم تصول بترك كنيفٍ، وإلى متى تصول بإعراضك ما لا يَزِنُ عند الله جَناح بعوضةٍ!؟».

وسُئل الشبليُّ عن الزهد؟ فقال: «لا زهد في الحقيقة؛ لأنه إمَّا أن يزهد فيما ليس له، فليس ذلك بزهدٍ. أو يزهد فيما هو له، فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده؟ فليس إلَّا ظَلَفُ النفس، وبذلٌ، ومواساةٌ»، كأنه جعل الزهد ترك الشيء فيما ليس له، وما ليس له لا يصح له تركه؛ لأنه متروكٌ، وما هو له لا يمكنه تركه.

الباب السَّابع والثلاثون
قولهم في الصَّبر

قال سهل: «الصبر: انتظار الفرج من الله تعالى». قال: «وهو أفضل الخدمة وأعلاها».

وقال غيره: «الصبر: أن تصبر في الصَّبر». معناه: أن لا تُطالع فيه الفرج.

قال بعضهم:

صابَر الصَّبرَ فاسْتَغاثَ به الصَّبْـ ـرُ فنادى الصَّبورُ يا صَبْرُ صَبْرا

قال سهل في قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]: «أي: استعينوا بالله واصبروا على ما أمر الله، واصبروا على أدب الله سبحانه».

قال سهل: «الصبر مُقدَّسٌ، تُقدَّس به الأشياء».

قال أبو عمرو الدمشقي في قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]: أي: مَسَّني الضُّر فصبِّرني؛ لأنك أرحم الراحمين.

وقال غيره: «مسَّني الضُّر الذي تَخُصُّ به أنبيائك وأوليائك بلا استحقاقٍ مني، لكن لأنك أرحم الراحمين». وقال بعضهم: «إنما جَزَع مِن أجله، لا من أجل نفسه؛ وذلك أنَّ الألم استولى على بدنه، فخاف زوال عقله».

أنشدونا لأبي القاسم سَمْنُون:

تجرَّعتُ من حَالَيْهِ نُعْمَى وأبْؤسا زَمانٌ إذا أمضى عَزَالَيْه احتسى
فكم غَمْرةٍ قد جَرَّعَتْني كُؤوسُها فجَرَّعتُها من بحر صبري أَكْؤسا
تدرَّعتُ صبري والتحقتُ صُرُوفَه وقلت لنفسي الصَّبرَ أو فاهلكي أسا
خُطُوبٌ لو انَّ الشُّمَّ زاحَمْنَ خَطْبَها لساخَتْ ولم تُدْرِك لها الكفُّ مَلْمَسا

الباب الثامن والثلاثون

قولهم في الفَقْر

قال أبو محمَّدٍ الجُرْيْريُّ: «الفقر: أن لا تطلب المعدوم حتى تفقد الموجود»، معناه: أن لا تطلب الأرزاق إلَّا عند خوف العجز عن القيام بالفرض.

قال ابن الجلاء: «الفقر: أن لا يكون لك، فإذا كان لك لا يكون لك». على معنى قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قال أبو محمَّد رويم بن محمَّدٍ: «الفقر: عُدْمُ كلِّ موجودٍ، وتَرْكُ كلِّ مفقودٍ».

وقال الكنانيُّ: «إذا صحَّ الافتقار إلى الله، صحَّ الغنى بالله؛ لأنهما حالان لا يتمُّ أحدهما إلَّا بالآخر».

قال النوريُّ: «نعت الفقير: السكون عند العُدْمِ، والبذل والإيثار عند الوجود».

وقال بعض الكبراء: «الفقير: هو المحروم من الإرفاق، والمحروم من السؤال، لقوله عليه السَّلام: «**لو أقْسَمَ على الله لأبرَّه**»[1]، فدلَّ أنه لا يُقسم.

قال الدَّرَّاج: فتَّشتُ كَنفَ أستاذي أُريد مَكْحَلَةً، فوجدتُ فيه قطعة فضَّةٍ، فتحيَّرتُ، فلما جاء قلت له: إني وجدت في كنفك قطعةً؟! قال: قد رأيتها؟ رُدَّها، ثُمَّ

---

(١) حديث: «**لو أقْسَمَ على الله لأبَرَّه**».

مسلمٌ في "صحيحه" مِنْ طريق العلاءِ بنِ عبدِالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رُبَّ أشْعَثٍ مَدفوعٍ بالأبواب، لو أقسَمَ على الله لأبرَّه**».

وفي الباب عن جماعةٍ.

قال: خذها واشتر بها شيئًا. فقلت له: ما كان أمر هذه القطعة بحقِّ معبودك؟ قال: ما رزقني الله من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها، فأردت أن أوصي أن تشدَّ في كفني فأردَّها إلى الله عزَّ وجلَّ».

سمعت أبا القاسم البغداديَّ يقول: سمعت الدوريَّ يقول: كنَّا ليلة العيد مع أبي الحسن النوريِّ في مسجد الشُّونيزي، فدخل علينا إنسانٌ، فقال للنوريِّ: أيها الشيخ، غدًا العيد، ماذا أنت لابسه؟ فأنشأ يقول:

قالوا غَدا العِيدُ ماذا أنت لابِسُهُ ... فقلت خِلْعَة ساقٍ عَبدَه جُرُعَا

فَقرٌ وصبرٌ هما ثَوْبايَ تحتهما ... قلبٌ يرى ربَّه الأعيادَ والجُمُعَا

أَحْرَى الملابسِ أن تَلْقى الحبيبَ بها ... يوم التَّزاورِ في الثَّوبِ الذي خَلَعَا

الدَّهْرُ لي مَأْتمٌ إن غِبْتَ يا أَمَلي ... والعيدُ ما دُمتَ لي مَرْأًى ومُسْتَمَعَا

سُئل بعض الكبراء: ما الذي منع الأغنياء عن العود بفضول ما عندهم على هذه الطائفة؟ فقال: «ثلاثة أشياء: **أحدها**: أنَّ الذي في أيديهم غير طيِّبٍ، وهؤلاء خالصة الله، وما اصطنع إلى أهل الله فمقبولٌ، ولا يقبل الله تعالى إلَّا الطيب.

والثاني: أنهم مستحقُّون، فيحرم الآخرون بركة العود عليهم والثواب فيهم.

والثالث: أنهم مرادون بالبلاء، فيمنعهم الحقُّ عن العود عليهم ليتمَّ مراده فيهم».

سمعت فارسًا يقول: قلت لبعض الفقراء مرَّة -ورأيت عليه أثر الجوع والضُّرِّ-: لِمَ لا

تسأل الناس فيطعموك؟ قال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني، فلا يُفلحوا؛ وقد بلغني عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لو صَدَقَ السَّائلُ ما أفـلَحَ مَنْ منَعَـه**»[1].

---

(١) حديث: «**لو صَدَقَ السَّائلُ ما أفـلَحَ مَنْ منَعَـه**».

الطبرانيُّ في "الكبير" مِنْ طريقِ جعفر بنِ الزُّبير، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**لولا المساكينُ يَكذِبُونَ ما أفلَحَ مَنْ رَدَّهُم**».

جعفرُ بنُ الزبير مِنْ رجال الترمذي، لكن كذَّبَه شعبةُ، وقال ابنُ مَعينٍ: «ليس بثقةٍ»، وقال البخاريُّ: «تركوه»، وقال ابنُ عَدِيٍّ: «الضعفُ على حديثِه بيِّنٌ».

وتُوبع فرواه ابنُ عديٍّ مِنْ طريق عُمَرَ بنِ موسَى، عن القاسم، عن أَبِي أُمامَة مرفوعًا: «**لولا أنَّ المساكينَ يَكذِبُونَ ما أفلحَ مَنْ رَدَّهُم**».

وعُمرُ بنُ موسَى: قال البخاريُّ: «منكَرُ الحديث»، وقال ابنُ معينٍ: «ليس بثقةٍ»، وقال ابنُ عديٍّ: «هو ممَّن يضع الحديث متنًا وإسنادًا»، وقال النَّسائيُّ: «متروكٌ»، وقال أبو حاتمٍ: «ذاهِبُ الحديث، كان يضع الحديث».

ورواه العُقَيليُّ مِنْ طريق عبدِالأعلَى بنِ حُسَينِ بنِ ذَكْوانَ المُعلِّم، عن أبيه، عن عَمرِو بنِ شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو صَدَقَ المساكينُ ما أفلح مَنْ رَدَّهم**».

قال العُقَيليُّ: «عبدُالأعلى مُنكَرُ الحديث، وحديثُه غيرُ محفوظٍ، ولا يصحُّ في هذا الباب شيءٌ».

قلتُ: عبدُالأعلى ذكره ابنُ حِبان في "الثقات"، كما في "لِسان الميزان"، والله أعلم.

ورواه البيهقيُّ في "شُعب الإيمان"، والعُقيليُّ مِنْ طريق عبدِالله بنِ عبدِالملكِ بنِ عثمانَ بنِ كرز بنِ جابرٍ، عن يزيدَ بنِ رُومان، عن عروة، عن عائشة، قالت: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ السُّؤَّالَ لو صَدقوا ما أفلح مَنْ ردَّهم**».

قال العُقيليُّ: «عبدُالله بنُ عبدِالملِكِ: منكَرُ الحديث».

ورواه ابنُ صصري في "أماليه" من طريق عُمرَ بنِ صُبحٍ، عن مقاتلِ بنِ حَيان، عن عبدِالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لولا أنَّ المساكينَ يَكذِبُونَ ما أفلَحَ مَنْ رَدَّهُم**».

عُمرُ بنُ صُبح: مِنْ رجال ابنِ ماجه، كذَّبه إسحاقُ بنُ رَاهَـوَيْه، وقال ابنُ حِبان: «يَضعُ الحديثَ على الثقات، لا يَحِلُّ كَتْبُ حديثِه إلَّا على وجه التعجُّب»، وقال الدارقطنيُّ: «**متروك**»، وقال أبو نعيمٍ: «روَى عن قتادة ومُقاتِلِ الموضوعات».

ورواه العُقيليُّ، والثَّـقَفيُّ في الثاني مِنْ فوائده، مِنْ طريق بِشْرِ بنِ الحُسينِ الأصبهانيِّ، عن الزبير بنِ عَدِيٍّ، عن أنسٍ أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لولا أنَّ السُّؤَّالَ يَكذبونَ ما أفلح مَنْ ردَّهم**».

وبِشرُ بنُ الحسين: كذَّابٌ، وقال ابنُ حِبان: «**يروي بِشرُ بنُ الحسين عن الزبير نسخةً موضوعةً، شبيهاً بِمائةِ وخمسين حديثًا**». والله أعلم.

الباب التاسع والثلاثون

قولهم في التَواضُع

سئل الجنيد عن التواضع؟ فقال: «هو خَفْضُ الجَناح وكَسْرُ الجانب».

قال رويم: «التواضع: تذلُّل القلوب لعلَّام الغيوب».

قال سهل: «كمال ذكر الله المشاهدة، وكمال التواضع الرِّضا به».

وقال غيره: «التواضع: قبول الحقِّ من الحقِّ للحقِّ».

وقال آخر: «التواضع: الافتخار بالقِلَّة، والاعتناق للذِّلة، وتحمُّل أثقال أهل المِلَّة».

الباب الأربعون

قولهم في الخَوْف

قال أبو عمرو الدمشقي: «الخائف: من يخاف مِن نفسه أكثر ممَّا يخاف من العدوِّ».

قال أحمد السيد حمدويه: «الخائف: الذي يخافه المخلوقات».

قال أبو عبدالله بن الجلاء: «الخائف: الذي تأمنه المخلوقات».

قال ابن خُبَيقٍ: «الخائف: الذي يكون بحكم كلِّ وقتٍ، فوقت تخافه المخلوقات، ووقت تأمنه، الذي تخافه المخلوقات هو الذي غلب عليه الخوف فصار خوفًا كُلُّه، فيخافه كلُّ شيءٍ، كما قيل: «مَنْ خافَ الله خافه كلُّ شيءٍ»[1].

---

(١) **قولُه**: كَما قيل: «مَنْ خاف اللهَ خافه كلُّ شيءٍ».

هذا لفظُ حديثٍ رواه أبو الشيخ في "الثواب" مِنْ حديثِ أَبِي أُمامة بسندٍ ضعيفٍ جدًّا. =

والذي أمنته المخاوف هو الذي إذا طرقت المخاوف أذكاره لم تؤثِّر فيه؛ لغيبته عنها بخوف الله تعالى، ومن غاب عن الأشياء غابت الأشياء عنه».

أنشدونا:

يُحْـــرَقُ بالنَّـــار مَـــن يُحِـــسُّ بهـــا فمـــن هـــو النَّـــار كيـــف يَحـــتَرِقُ

قال رويم: «الخائف: الذي لا يخاف غير الله»، معناه: لا يخافه لنفسه، وإنما يخافه إجلالًا له، والخوف للنفس خوف العقوبة.

قال سهل: «الخوف: ذَكَرٌ، والرجاء: أُنثى»، معناه: منهما يتولد حقائق الإيمان.

وقال: «إذا خاف العبد غير الله ورجا الله تعالى، أمَّنَ الله خَوْفَه وهو محجوبٌ».

= كذا قال العراقيُّ في "المُغنِي"(*).

ورواه ابنُ أبي الدُّنيا في "كتاب الخائفين" بإسنادٍ ضعيفٍ مُعْضَلٍ، كما قال في "المُغنِي" أيضًا. والله أعلم.

(*) قلتُ: رواه أبو نعيم في "الحلية" مِن حديث عليٍّ، فقال: حدثنا محمد بنُ عمرَ بنِ سلم.. إلخ، وأولُه:«**مَنْ نَقَله الله عز وجلَّ مِن ذُلِّ المعاصي إلى عِزِّ التقوى**.. الحديث»؛ وفيه: «**ومَنْ خاف اللهَ تعالى**.. الحديث». ورواه القضاعيُّ في "مسنَد الشهاب" مِنْ حديثِ واثلةَ بنِ الأسقَعِ، وكذلك الحكيمُ في الأصل ١٢٥ من النوادر بِلفظ: «**مَنِ اتَّقى اللهَ أهابَ اللهُ منه كلَّ شيءٍ**» الحديث. وأما ابنُ أبي الدنيا فقال في "كتاب الخائفين": ثنا أبو عمرَ حفصُ بنُ عمرَ المُقرِي، ثنا إسماعيلُ بنُ عيَّاش، قال: حدثنا مشيختُنا، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:« **مَنْ خاف اللهَ**.. الحديث». وقال الدولابي في "الكنى": ثنا أبو بكرٍ بنُ أبي الدنيا، به. (أحمد بنُ الصديق).

الباب الحادي والأربعون

قولهم في التَّقْوى

قال سهل: «التقوى مشاهدة الأحوال على قدم الانفراد». معناه: أنَّ يتَّقي ممَّا سوى الله سكونًا إليه، واستحلاءً له.

وفي قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦] أي: بجميع استطاعتكم.

قال سهل: «ما استطعتم إظهار الفقر والفاقة إليه».

قال محمَّد بن سنجان: «التقوى: ترك ما دون الله».

قال سهل في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ﴾ [الحج: ٣٧]، قال: هو التبرِّي وهو الإخلاص.

قال غيره: «أصل التقوى مُجانبة النَّهي، ومُباينة النفس، فعلى قدر ما فاتهم من حظوظ أنفسهم أدركوا اليقين».

أنشدونا للنوريِّ:

إني اتَّقَيْتُك لا مَهَابَةَ مِن مُحَاذَرَة المَصِير
إنِّي وَكَيْفَ وأنت لِي إلْفٌ يفوق مَدى السَّمِير
تُوفِي السَّرائِرَ سِرَّها وتَحُوطُ مَكْنُونَ الضَّمِير
لكن أُجِلُّك أَنْ أُجِلَّ سِواكَ للخَطَر الحَقِير

الباب الثاني والأربعون

قولهم في الإخْلاص

قال الجنيد: «الإخلاص: ما أُريد به الله، من أيِّ عملٍ كان».

قال رويم: «الإخلاص: ارتفاع رؤيتك من الفعل».

سمعت فارسًا يقول: قَدِم على أبي بكرٍ القحطبيِّ قومٌ من الفقراء من أهل خراسان، فقال لهم أبو بكرٍ: بِمَ يأمركم شيخكم - يعني: أبا عثمان-؟ فقالوا: يأمرنا بكثرة الطاعة مع التزام رؤية التَّقصير فيها. فقال: ويْحَهُ، ألا يأمركم بالغيبة عنها برؤية مُبدِيها.

قيل لأبي العباس بن عطاء: ما الخالص من الأعمال؟ قال: «ما خَلَصَ من الآفات».

قال أبو يعقوب السوسيُّ: «الخالص من الأعمال: ما لم يعلم به مَلَكٌ فيكتبه، ولا عدوٌّ فيُفْسِدَه، ولا النفس فتُعجبَ به». معناه: انقطاع العبد إلى الله جلَّ وعزَّ، والرجوع إليه من فعله، والله الموفِّق.

الباب الثالث والأربعون

قولهم في الشُّكْر

قال الحارث المحاسبيُّ: «الشكر: زيادة الله للشاكرين». معناه: إذا شكر زاده الله توفيقًا فزاد شكرًا.

قال أبو سعيدٍ الخرَّاز: «الشكر: الاعتراف للمُنعِم، والإقرار بالربوبية».

قال أبو عليٍّ الرُّوذباريُّ:

لــو كــلُّ جارحــةٍ مِنِّــي لهــا لُغــةٌ   تُثنـي عليـك بـما أولَيْـتَ مِـنْ حَسَـنِ

لكــان مــا زاد شُــكْري إذْ شَــكَرتُ بــه   إليــك أزْيَــدَ في الإحْسَــان والمِـنَنِ

قال بعض الكبراء: «الشكر: هو الغَيْبَة عن الشكر برؤية المُنعِم».

قال يحيى بن معاذ: «لستَ بشاكرٍ ما دُمتَ تَشْكُر، وغاية الشكر التَّحيُّر؛ وذلك أنَّ الشكر نعمةٌ من الله يجب الشكر عليها، وهذا لا يتناهى».

أنشدونا لأبي الحسين النوريِّ:

سَأشْــكُر لا أنِّي لا أُجَازيــك مُــنْعِمًا   بشُـكري ولكِـنْ كَـيْ يُقـالَ لـه الشُّـكْرُ

وأَذْكُــرُ أيَّــامي لــدَيْكَ وحُسْــنَها   وآخِـرُ مـا يَبْقـى عـلى الشَّـاكِرِ الـذِّكرُ

كان بعض الكبراء يقول في مناجاته: «اللهم إنك تعلم عجزي عن مواضع شكرك، فاشكر نفسك عنِّي».

الباب الرابع والأربعون
قولهم في التوكُّل

قال سَرِيٌّ السَّقطيُّ: «التوكل: الانخلاع من الحول والقوة».

وقال ابن مسروق: «التوكل: الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام».

قال سهل: «التوكل: الاسترسال بين يدي الله تعالى».

قال أبو عبدالله القرشيُّ: «التوكل: ترك الإيواء إلَّا إلى الله».

قال أبو أيوب: «التوكل: طَرْحُ البدن في العبودية، وتعلُّق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية».

قال الجنيد: «حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن، فيكون الله له كما لم يزل».

قال أبو سعيد الخرَّاز: «قامت الكفايات مِن السيِّد لأهل مملكته، فاستغنوا عن مقامات التوكُّل عليه ليكفيهم، فما أقبح التقاضي بأهل الصَّفاء». جعل التوكل عليه لأجل الكفاية تقاضي القيام بالكفاية.

كما قال الشِّبليُّ: «التوكل كُدْيةٌ حَسنةٌ».

قال سهلٌ: «كلُّ المقامات لها وجهٌ وقفا غير التوكل، فإنه وجهٌ بلا قفا». يريد توكل العناية، لا توكل الكفاية، وهو أن لا يطالبه بالأعواض.

وقال بعضهم: «التوكل: سِرٌّ بين العبد وبين الله». معناه كما قال بعض الكبراء: «حقيقة التوكل ترك التوكل، وهو أن يكون الله لهم حيث كان لهم إذ لم يكونوا موجودين».

قال بعض الكبار لإبراهيم الخواص: إلى ماذا أدَّى بك التصوف؟ فقال: إلى التوكل.

فقال: ويحك، بعد أن تسعى في عُمْران بطنك!». معناه: إنَّ توكلك عليه لأجل نفسك احترازٌ من مكروهٍ يُصيبها.

الباب الخامس والأربعون

قولهم في الرِّضا

قال الجنيد: «الرضا: ترك الاختيار».

قال الحارث المحاسبيُّ: «الرِّضا: سكون القلب تحت جريان الحكم».

قال ذو النون: «الرِّضا: سرور القلب بمُرِّ القضاء».

قال رويم: «الرِّضا: استقبال الأحكام بالفرح».

قال ابن عطاء: «الرِّضا: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، فإنه اختار له الأفضل».

قال سفيان عند رابعة: اللهم ارضَ عنِّي. فقالت له: أما تستحي أن تطلب رضا من لستَ عنه براضٍ؟!.

قال سهلٌ: «إذا اتصل الرِّضا بالرضوان، اتصلت الطمأنينة، فطوبى لهم وحُسْنُ مآبٍ».

يريد قوله عزَّ وجلَّ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

فمعناه: الرِّضا في الدنيا تحت مجاري الأحكام، يورث الرضوان في الآخرة بما جرت به الأقلام. قال الله تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، فهو قول الفريقين من أهل الجنَّة والنَّار من الموحِّدين من أهلها؛ فإنَّ المشركين لا يُؤذَنُ لهم في الحمد؛ لأنهم محجوبون.

أنشدونا للنوريِّ:

إنَّ الرِّضا لَمرارَاتٌ تجرُّعُها ... عن القُنُوع إذا ما استُعْذِب الكَدَرُ

عواقبٌ أشهدتْ بعض الحُضُور فما ... يَرْعى التَّكَثُّر إلا ناقَةٌ نزْرُ

الباب السَّادس والأربعون

قولهم في اليقين

قال الجنيد: «اليقين: ارتفاع الشَّكِّ».

قال النوريُّ: «اليقين: هو المشاهدة».

قال ابن عطاء: «اليقين: ما زالت عنه المعارضة على دوام الوقت».

قال ذو النون: «كلُّ ما رأته العيون نُسب إلى العلم، وما علمته القلوب نُسب إلى اليقين».

وقال غيره: «اليقين عين القلب».

قال عبدالله: «اليقين: اتصال البَيْنِ، وانفصال ما بين البَيْنِ». معناه: قول حارثة: «كأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا»[1]، اتصلت رؤيته بالغيب، وارتفع ما بينه وبين الغيب من الحُجُب.

قال سهل: «اليقين: المكاشفة، كما قال: «لو كُشف الغطاء ما ازددت يقينًا»، وبالله التوفيق

---

(١) قوله: قال حارثة: «**كأنِّي أنظرُ إلى عرْشِ ربِّي بارزًا**».

تقدَّم. [ص: ٦٥].

الباب السَّابع والأربعون

قولهم في الذِّكْرِ

حقيقة الذِّكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر، لقوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٩]. يعنى: إذا نسيت ما دون الله فقد ذكرت الله.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سَبَقَ المُفْرِّدون**»، قِيلَ: ومَنِ المُفْرِّدون يا رسولَ الله؟ فقال: «**الذاكرون اللهَ كثيرًا والذاكرات**»[1]، والمفرِّد: الذي ليس معه غيره.

(١) حديث: «**سَبَقَ المُفْرِّدون**»، قِيلَ: ومَنِ المُفْرِّدون يا رسولَ الله؟ فقال: «**الذاكرون اللهَ كثيرًا والذاكرات**».

مسلمٌ في "صحيحِه" مِنْ طريق روْحِ بنِ القاسم، عن العلاءِ، عن أبي هريرة قال: كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَسيرُ في طريق مكَّةَ، فمرَّ على جبلٍ يقال له جمدان، فقال: «**سِيرُوا هذا جمدان، سبَقَ المُفْرِّدون**» قالوا: وما المُفْرِّدون يا رسولَ الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات**».

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريق عُمرَ بنِ راشدٍ، عن يحيَى بنِ أبِي كثيرٍ، عن أبِي سلَمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سَبَقَ المُفْرِّدُونَ**»، قالوا: وما المُفْرِّدُونَ يا رسول الله؟ قال: «**المُسْتَهْتَرُونَ في ذِكرِ الله. يَضَعُ الذِّكرُ عنهم أثقَالَهم فيأتُون يوم القيامة خِفَافًا**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

وقال بعض الكبار: «الذكر: طَرْدُ الغَفْلة، فإذا ارتفعت الغَفْلة فأنت ذاكرٌ وإن سكت».

وأنشدونا للجنيد:

ذَكَرتُكَ لا أنِّي نَسِيتُكَ لَمحَةً وأَيْسَرُ ما في الذِّكْرِ ذِكْرُ لِسَاني

سمعت أبا القاسم البغداديَّ يقول: «سألت بعض الكبار فقلت: ما بال نفوس العارفين تَتبرَّمُ بالأذكار، وتَستَروح إلى الأفكار، وليس يُفضي الفِكْر إلى مَقرٍّ، ولأذكارها أعواض تُسرُّ؟ فقال: استصغرتْ ثمراتِ الأذكار، فلم تحملها عن مكابداتها، وبَهَرَها شرف ما وراء الأفكار فغيَّبها عن ألم مجاهداتها». معنى قوله: «استصغرتِ ثمراتِ الأذكار»: لأنها كلُّها حظوظ النفس، والعارفون قد أعرضوا عن النفوس وحظوظها. وأمَّا أفكارهم فإنها تكون في جلال الله وهيبته ومِنَّته وإحسانه، فهي تفكِّر فيما لله تعالى عليها إجلالًا له، وتَعْرِضُ عمَّا لها عند الله حرمةً له، في قوله عليه السَّلام خبرًا عن الله عزَّ وجلَّ: «**مَنْ شغَلَه ذِكري عن مسألتي، أَعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**»[1]. معناه: مَن شغله مشاهدة عظمتي عن ذكر لسانه؛ لأنَّ ذكر اللسان كلُّه مسألة.

---

(١) حديث: «**مَنْ شغَلَه ذِكري عن مسألتي، أَعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**».

الترمذيُّ في "سننه"، وأبو نعيمٍ في "الحلية"، وابنُ الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء" مِنْ طريق محمَّدِ بنِ الحَسن بن أَبِي يَزِيدَ الهَمْدانيِّ، عن عمرِو بنِ قَيسٍ، عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقولُ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: مَنْ شَغَلَهُ القُرآنُ وذِكري عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطِي السَّائلين، وفضلُ كلام الله على سائر الكلام كفَضْلِ الله على خَلْقِه**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

ورواه أبو مسلمٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ الحسين البغداديُّ الكاتب مِنَ الأول مِنَ "الفوائد" انتقاء ابنِ فورك: حدثنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ القاسمِ بنِ يسار الأنباري: ثنا بشار بنُ موسى: ثنا حسينُ بنُ عبدِالأولِ: ثنا محمدُ بنُ الحسينِ بنِ أبي يزيدَ الهمداني: ثنا عمرُو بنُ قيسٍ الملائي، عن عطيةَ، عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ شَغَله قراءةُ القرآن عن دعائي ومَسألتي أعطيتُه أفضلَ ثواب الشَّاكرين**».

ورواه البخاريُّ في "خَلْقِ أفعالِ العِباد"، وابنُ شاهين في "الترغيب" مِنْ طريق صفوانَ بنِ أَبِي الصَّهباء، عن بكيرِ بنِ عتيقٍ، عن سالمِ بنِ عبدِالله بنِ عُمرَ، عن أبيه، عن عمرَ بنِ الخطَّاب، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إنَّ الله تعالى يقول: «**مَنْ شَغَله ذِكري عن مَسألتي أعطيتُه ما أُعْطِي السَّائِلين**».

صفوانُ، قال ابنُ حِبان: «لا يُحتجُّ به»، وتَبِعَه ابنُ الجوزيِّ فأَوْرَدَ الحديثَ في "الموضوعات"، وأعلَّه بِصَفوان.

قال الحافظ ابنُ حَجرٍ رحمه الله ورضي عنه في "أماليه": «هذا حديثٌ حَسنٌ، وأورده ابنُ الجوزيِّ في "الموضوعات" فلم يُصِب، واستندَ إلى ذِكرِ ابنِ حِبان لِصَفوان في "الضعفاء". ولم يستمر ابنُ حِبان على ذلك، بل ذكر صفوانَ في كتاب "الثقات". وذَكَره البخاريُّ في التاريخ ولم يَحْكِ فيه جَرحًا. وذَكره ابنُ شاهين في "الترغيب" مِنَ الثقات، وكذا ابنُ خلفون وقال: «أرجو أن يكون صدوقًا»، وابنُ مَعينٍ وثَّـقَه في روايةِ أَبِي سعيدٍ بنِ الأعرابيِّ، عن عبَّاسٍ الدُّوريِّ عنه». هذا آخرُ كلامِ الحافظِ رحمه الله.

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ أبي مُسلمٍ عبدِالرَّحمنِ بنِ واقدٍ: ثنا سُفيانُ بنُ عُيَينَةَ، عن منصورٍ، عن رِبْعِيٍّ، عن حُذَيْفَةَ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «قال الله تعالى: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكري عن مسألتي أعطيتُهُ قبلَ أنْ يَسألني**».

قال أبو نعيمٍ: «غريبٌ، تَفَرَّدَ به أبُو مسلمٍ، عن ابنِ عُيَينةَ».

ورواه ابنُ أبِي شيبة، عن نميرٍ، عن موسى بنِ مُسلمٍ، عن عَمرِو بنِ مرَّة، رفَعَه، قال: «**مَنْ شَغَـله ذِكري، عن مَسألتي أعطيتُه فوق ما أُعْطِي السَّائلين**» يعني الرَّب.

ولِلحديثِ شواهدُ، منها:

ما رواه عبدُالرزاق في "المصنَّف" عن الثوريِّ، عن منصورٍ، عن مالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ، قال: يقول الله عزَّ وجلَّ: «**إذا أَشْغَـلَ العبدَ ثناؤُه عليَّ عن مسألتي إيَّايَ، أعطيتُه أفضلَ ما أعْطِي السَّائلين**».

ورواه ابنُ أبِي شيبة في "المصنَّف"، وأحمد في "الزهد"، مِنْ طريقِ أبِي معاويةَ، عن الأعمش، عن مالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ، بمثله.

ورواه ابنُ أبِي الدنيا مِنْ طريق أبِي الأحْوَصِ، عن منصورٍ، عن مالِكِ بنِ الحُوَيرِث، قال: يقول الله تعالى: «**مَنْ شَغَله ذِكري عن مَسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**».

ورواه الخَطَّابي مِنْ طريقِ محمدِ بنِ المُظَفر، عن أحمدَ بنِ صالِحِ الكيلانِيِّ، عن الحَسنِ بنِ الحُسينِ المَرْوَزيِّ، قال: سألتُ سفيانَ بنَ عُيينة عن حديث: «**أفضلُ الدعاءِ الحمدُ لله**»، فقلتُ له: هذا ثناءٌ، وليس بدعاءٍ. فقال: أمَا بَلَغَـك حديثُ منصورٍ، عن مالِكِ بنِ حُوَيْرِث، يقول الله تعالى: «**إذا أشْغَلَ العبدَ ثناؤُه عليَّ عن مَسألتِي أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**».

ورواه الدِّينَوْرِيُّ في "المُجالَسة": ثنا إبراهيمُ بنُ دازيل الهمدانيُّ: ثنا الحُميديُّ: ثنا سفيانُ يومًا بحديث النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**أفضلُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون مِنْ قَبلي يومَ عَرَفَة: لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له**». فقِيلَ لِسفيانَ بنِ عُيينة: يشتغل الإنسانُ بهذه عن المسألة؟ فقال: نَعم. ونا منصورٌ، عن مالِكِ بنِ الحُوَيْرِث، قال: قال الله تبارك وتعالى: «**مَنْ شَغَله الثناءُ عليَّ عن مسألتي، أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**».

ثُمَّ التفتَ إلينا سفيانُ بنُ عُيينة، فقال: أما سمعتُم قولَ أميَّةَ بنِ أبِي الصَّلتِ، حيث أتَى ابنَ جُدعانَ يَطلبُ نائِلةً، فقال: أأذكرُ حاجتِي أمْ قد كفاني... إلى آخر الأبيات، فأعطاه وَوَصَلَه.

فهذا مخلوقٌ اكتفَى بالثناء عليه عن المسألة، فكيف الخالقُ الذي ليس كمِثلِه شيءٌ.

قال الحافظُ السيوطيُّ رحمه الله في "اللآلِئ المصنوعة": «وممَّا يدلُّ على شهرة الحديث، ما أخرجَه ابنُ عَساكِر في "تاريخه" عن سفيانَ بنِ عُيَينة، أنَّه قال: «يا أصحابَ الحديث بما تُشَبِّهون حديث النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما شَغَل عبدي ذِكري عن مسألتي، إلَّا أعطيتُه أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**». فقالوا له: نقول ما يرحمك الله، قال بقول الشاعر:

وفتًى خَلا مِن مَالِهِ ... ومِنَ المُرُوءَةِ غيرُ خَالِ

أعطاكَ قَبلَ سُؤالِهِ ... وكَفاكَ مكروهَ السُّؤالِ

انتهى.

قلتُ: وقرأتُ في الثاني مِنْ كتاب "شِعار الأبرار في الأدعية والأذكار" مِنْ حديثِ أبِي الفَرَجِ بنِ الشيخَةِ، تخريج أبِي الضِّيَاء خَليلِ بنِ محمَّدِ الأقفهَسِيِّ: أخبرتنا أمُّ الخير عائشةُ بنتُ عِليِّ بنِ عمرَ الصنهاجيِّ قراءةً عليها وأنا أسمعُ بالقاهرة، قالت: أنا أحمدُ بنُ عليِّ بنِ يُوسفَ: أنا هِبةُ الله بنُ عِليٍّ الأنصارِيُّ: أنا عليُّ بنُ الحسينِ المَوصِليُّ: أنا عبدُالعزيزِ بنُ الحَسنِ بنِ

إسماعيلَ: أنا أبِي: ثنا أحمدُ بنُ مَروانَ القاضِي: ثنا إبراهيمُ بنُ دازيل الهمْدانيُّ: ثنا الحُمَيديُّ: ثنا سفيانُ بنُ عُيينة يومًا بحديث النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**أفضَلُ ما قُلتُ أنا والنَّبيُّون مِنْ قَبلِي يومَ عَرفة: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له**».

فقِيل لِسفيانَ بنِ عُيينة: يشتَغلُ بهذا عن المسألة؟ فقال: نعم. حدَّثنا منصورٌ، عن مالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ، قال الله تعالى: «**مَنْ أشغَلَه الثناءُ عليَّ عن مسألتِي أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعْطِي السَّائلين**».

ثمَّ التفتَ إلينا سفيانُ بنُ عُيينة، فقال: أما سمعتم قولَ أميَّةَ بنِ أبِي الصَّلتِ حين أتَى ابنِ جدعان يَطلبُ نائلةً:

أأذْكُـرُ حـاجتِي أمْ قـد كَفَـاني ... حيـاؤُك إنَّ شِيمتَـكَ الحيـاءُ

إذا أثنَـى عليـك المَـرءُ يومًـا ... كفـاهُ مِـنْ تَعرُّضِـكَ الثَّنـاءُ

كـريـمٌ لا يُغيِّـرُه صَبَـاحٌ ... عـن الخُلُـقِ الجميـلِ ولا مَسـاءُ

يُبـاري الـرِّيحَ مَكْرُمَـةً وَجُـوداً ... إذا مَـا الضَّـبُّ أَحْجَـرَهُ الشِّتـاءُ

فأرضُـكَ كـلُّ مَكْرُمَـةٍ بَناهـا ... بنُـو تَمِيـمٍ وأنـتَ لهـا سـماءُ

فأعطاه وَوَصَله؛ فهذا مخلوقٌ اكتفَى بالثناء عليه عن المسألة، فكيف بالخالق الذي ليس كمِثْلِه شيءٌ.

وأخرى: أنَّ مشاهدة العظمة تُحيِّره، فتقطعه عن الذِّكر له، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا أُحْصِي ثناءً عليكَ»[1].

أنشدونا للنوريِّ:

أريدُ دَوامَ الذِّكر مِن فَرْطِ حُبِّه ... فيا عَجَبًا من غَيْبةِ الذِّكر في الوَجْدِ

وأعجَبُ مِنْه غَيْبةُ الواجِدِ تارةً ... وغَيْبةُ عَينِ الذِّكر في القُرْبِ والبُعْدِ

قال الجنيد: «من قال الله عن غير مشاهدةٍ فهو مفتري». يدلُّ على صحَّة قوله: قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، ثُمَّ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

(١) حديث: «لا أُحْصِي ثناءً عليكَ». مسلمٌ في "صحيحه"، وأبو داود، وابنُ ماجه، مِنْ طريق عُبيدِ الله بنِ عُمرَ، عن محمَّدِ بنِ يحيَى بنِ حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن عائشة قالت: فقدتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله سلَّم ليلةً مِنَ الفراش فالتَمَستُه، فوقعتْ يدي علَى بطن قدمِهِ وهو في المسجد وهُما منصوبتان وهو يقولُ: «اللهم إنِّي أعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعافتِكَ مِنْ عُقوبتِك، وأعوذُ بك منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك».

ورواه الترمذيُّ، والنَّسائيُّ مِنْ طريق يحيَي بنِ سعيدٍ، عن محمَّدِ بنِ إبراهيمَ التَّيميِّ، أنَّ عائشة قالت: كنتُ نائمةً إلى جنب رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ففقدتُه مِنَ الليل، فلمستُه فوقعتْ يدي على قدميْهِ وهو ساجدٌ وهو يقول: «أعوذُ بِرضاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبِمُعافتِك مِنْ عقوبتِكَ، لا أُحْصِي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسِك ».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ قد رُوِيَ مِنْ غيرِ وجهٍ عن عائشة».

لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. أكذبهم الله وإن كانت الكلمة صِدْقًا؛ لأنها لم تكن عن مشاهدةٍ.

وقال غيره: «القلب للمشاهدة، واللسان للعبارة عن المشاهدة، فمن عبَّر عن غير مشاهدةٍ فهو شاهد زورٍ».

أنشدونا لبعض الكبار:

أنـــت المُوَلِّـــهُ لي لا الـــذِّكرُ وَلَّهَنِـــي   حاشَـــا لقلبـــي أن يَعْلَـــق بـــه ذِكْـــري

الـــذِّكرُ واســـطةٌ يَحْجُبْـــكَ عـــن نظـــري   إذا توَشَّـــحَهُ مـــن خـــاطري فِكْـــري

معناه: الذِّكر صفة الذَّاكر، فإن غبتُ في ذكري كانت غيبتي فيَّ، وإنما يحجب العبد عن مشاهدة مولاه أوصافه.

قال سريٌّ السقطيُّ: «صحبت زنجيًّا في البرِّيَّة، فرأيته كلما ذكر الله تغيَّر لونه وابيضَّ! فقلت: يا هذا، أرى عجبًا! إنك كلما ذكرت الله حَالتْ لِبْسَتُك، وتغيَّرتْ صفتك! فقال: يا أخي، أما أنك لو ذكرت الله حَقَّ ذِكْره، لحالت لِبْسَتُك، وتغيَّرت صفتك، ثُمَّ أنشأ يقول:

ذَكَرنـــا ومـــا كنَّـــا لنَنْســـى فنـــذكُرُ   ولكـــن نســـيمَ القُـــرْبِ يبـــدو فيَبْهَـــرُ

فـــأفْنى بـــه عَنِّـــي وأبْقـــى بـــه لـــه   إذِ الحـــقُّ عنـــه مُخْـــبِرٌ ومُعـــبِّرُ

أنشدونا لابن عطاء:

أرى الـــذِّكر أصـــنافًا مـــن الـــذِّكرِ حَشْـــوها   وِدادٌ وشَـــوْقٌ يبعثـــان عـــلى الـــذِّكرِ

فـــذِكرٌ أليـــفُ الـــنَّفس مُمتـــزِجٌ بهـــا   يَحِـــلُّ محـــلَّ الـــرُّوح في طَرْفِهـــا يَســـري

وذِكـــرٌ يُعـــزِّي الـــنَّفس عنهـــا لأنَّـــه   لها مُتْلِفٌ مِنْ حيثُ تَـدري ولا تَـدْري

وذِكــرٌ عــلا منِّــي المَفَــارق والــذُّرَى يجِــلُّ عــن الإدراك بــالوَهْمِ والفِكْــرِ
يــراه لِحــاظُ العَــينِ بالقلــب رؤيــةً فيجفُــو عليــه أن يُشــاهد بالــذِّكرِ

صنَّفَ الذكر أصنافًا:

فالأول: ذكر القلب، وهو أن يكون المذكور غير منسيٍّ فيذُكر.

والثاني: ذِكرُ أوصاف المذكور.

والثالث: شهود المذكور، فيفني عن الذِّكر؛ لأنَّ أوصاف المذكور تُفنيك عن أوصافك، فتَفْنى عن الذِّكر.

الباب الثامن والأربعون

قولهم في الأُنسِ

سُئل الجنيد عن الأنس: ما هو؟ فقال: «الأنس: ارتفاع الحِشْمةِ مع وجود الهَيْبة»، معنى «ارتفاع الحِشْمةِ»: أن يكون الرجاء أغلب عليه من الخوف.

وسُئل ذو النون عن الأنس، فقال: «هو انبِساطُ المُحبِّ إلى المحبوب». معناه: ما قال الخليل عليه السَّلام ﴿أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، وما قال الكليم عليه السَّلام: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]: شبه العذر، أي: لا تطيق.

وسُئل إبراهيم المارستانيُّ عن الأنس، فقال: «هو فرح القلب بالمحبوب».

وسُئل الشبليُّ عن الأنس، فقال: «هو وَحْشَتُك منه».

وقال ذو النون: «أدنى مقام الأنس أن يلقى في النَّار فلا يُغيِّبُه ذلك عمَّن أنس به».

وقال بعضهم: «الأنس: هو أن يستأنس بالأذكار، فيغيب به عن رؤية الأغْيَار».

أنشدونا لرويم:

شَغلتَ قلبي بما لَدَيْك فما ... يَنفكُّ طولَ الحياةِ مِنْ فِكْري

أَنَسْتَني مِنك بالوِدَادِ وقَدْ ... أوْحَشْتني مِنْ جَميعِ ذَا البَشَرِ

ذِكْركُ لي مُؤنسٌ يُعارِضُني ... يوعدني عنك منك بالظَّفرِ

وحيثُ ما كنتَ يا مَدى هِمَمِي ... فأنت مِنِّي بموضعِ النَّظرِ

الباب التاسع والأربعون

قولهم في القُرْبِ

سُئل سريٌّ السقطيُّ عن القُرْب، فقال: «هو الطاعة».

وقال غيره: «القرب: أن يتدلَّل عليه، ويتذلَّل له، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

سُئل رُوَيْم عن القرب، فقال: «إزالة كلِّ مُعتَرِضٍ».

وسُئل غيره عن القرب، فقال: «هو أن تُشاهد أفعاله بك». معناه: أن ترى صنائعه ومِنَنَه عليك، وتغيب فيها عن رؤية أفعالك ومُجاهداتك.

وأُخرى: أن لا تراك فاعلًا، لقوله عزَّ وجلَّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧].

وأنشدونا للنوريِّ:

أَراني جَمْعي في فَنائي تَقرُّبًا ... وهيهات إلَّا منك عنك التَّقرُّبُ

فما عنك لي صبرٌ ولا فيك حِيلةٌ ... ولا مِنك لي بدٌّ ولا عنك مَهْرَبُ

تقرَّب قومٌ بالرَّجا فوصلتهم ... فما لي بعيدًا مِنك والكلُّ يَعْطَبُ

معناه: أراني حالي أنَّ جمعي بك وفنائي عمَّا سواك تقرُّبٌ إليك، والجمع والفناء صفتان، ولا يكون القُرْب منك بصفتي، بل بك يكون القرب إليك منك.

ثُمَّ قال: تقرَّب إليك أقوامٌ بأفعالهم وطاعاتهم فوصلتهم تفضُّلًا منك، وليست لي أفعال أتقرَّب بها إليك، وأنا أهلك شوقًا إلى القرب منك، ولا سبيل لي إليه من حيث أنا.

أنشدونا للنوريِّ أيضًا:

يـــا مَـــنْ أُشـــاهِدُهُ عنِّـــي فأحْسَـــبُهُ   مِنِّـــي قريبًـــا وقـــد عـــزَّتْ مَطَالبُـــهُ
إذا سَـــمَتْ نفـــسي سَـــلْوةً عنـــه ردَّني   إليـــه شُـــهُودٌ لـــيس تَفْنـــى عجائِبُـــهُ

معنى السَّلْوة: الإياس، يقول: كلما أيستُ من حيث أنا، ردَّني عن الإياس ما منه من الفضل الذي بدا به.

وقال الشبليُّ: «قد تحيَّرتُ فيك، خذ بيدي يا دليلًا لمن تحيَّر فيك».

الباب الخمسون

قولهم في الاتِّصَالِ

معنى الاتصال: أن ينفصل بسره عمَّا سوى الله، فلا يَرَى بسِرِّه -بمعنى التعظيم- غيرَه، ولا يسمع إلَّا منه.

قال النوريُّ: «الاتصال: مكاشفات القلوب، ومشاهدات الأسرار»، مكاشفات القلوب: كقول حارثة: «**كأنِّي أنظرُ إلى عرشِ ربِّي بارزًا**»[1]، ومشاهدات الأسرار، كقوله عليه السَّلام: « **أُعْبُدِ اللهَ كأنَّك تَراه**»[2]، وكقول ابن عمر: «كنَّا نَتَراءَى الله في ذلك المكان»[1].

---

(١) حديث حارثة: «**كأنِّي أنظرُ إلى عرشِ ربِّي بارزًا**».

تقدَّم [ص: ٦٥].

(٢) حديث: « **أُعْبُدِ اللهَ كأنَّك تَراه** ».

الطبرانيُّ مِنْ طريق أبِي سَلَمَة مرفوعًا عن معاذٍ قال: قلتُ: يا رسولَ الله أوصِينِي. قال: «**اعْبُدِ الله كأنَّك تراه، واعْدُدْ نفسَكَ في الموتَى، واذْكُرِ اللهَ عند كلِّ حَجَرٍ، وعند كلِّ شجرٍ، وإذا عمِلتَ سيِّئةً فاعمَلْ بِجنبِها حسنةً: السِّرُّ بالسِّرِّ والعلانيةُ بالعلانيةِ**».

ورواتُه ثِقاتٌ كذا قال المنذريُّ في "الترغيب" غير أنَّ أبَا سَلمةَ لم يُدرِكْ مُعاذًا.

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ الفِريابيِّ، وأبِي المغيرة قالا: ثنا الأوزاعيُّ، عن عَبدَةَ، عن ابنِ عُمرَ قال: أخذ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببعض جسدي فقال: «**اعْبُدِ اللهَ كأنَّك تراه، وكُنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ أو عابِرُ سبيلٍ**».

قال أبونعيمٍ: «رواه الفريابيُّ، عن الأوزاعيِّ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عُمَرَ مِثله».

وقال بعضهم: «الاتصال وصول السِّرِّ إلى مقام الذهول». معناه: أن يشغله تعظيم الله، عن تعظيم سِواه.

وقال بعض الكبار: «الاتصال: أن لا يشهد العبدُ غير خالقه، ولا يتَّصل بسِرِّه خاطرٌ لغير صانعه».

قال سهل: «حُرِّكوا بالبلاء فتحرَّكوا، ولو سَكَنوا اتَّصَلُوا».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ عبدِالعزيزِ بنِ أَبِي رَوَّادٍ، عن أَبِي سعيدٍ، عن زَيدِ بنِ أَرْقَم قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اعْبُدِ اللهَ كأَنَّك تراه، فإنَّك انْ لم تكن تراه فإنَّه يَراك...**»الحديث.

قـلتُ: والحديث في "صحيح مسلمٍ" مِنْ حديثِ عُمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنه في سؤال جبريلَ للرسول عليه الصَّلاة والسَّلام بلفظ: «**فأخبِرْني عنِ الإحسان، قال: أنْ تَعـبُدَ اللهَ كأنَّك تراه، فانْ لم تَـكُنْ تراه فإنَّه يَراك...**» الحديث.

(١) قوله: قال ابنُ عُمرَ: «كُـنَّا نَتَراءى اللهَ في ذلك المكان».

ابنُ سعدٍ في "الطبقات" (٤/ ١٦٧)، وأبو نعيمٍ في "الحلية" (١/ ٣٠٩) بلفظ:«نتخايل اللهَ عزَّ وجلَّ بينَ أعينِنا».

والترمذيُّ الحكيم في "مقاصد الصلاة".

الباب الحادي والخمسون

قولهم في المحبَّة

قال الجنيد: «المحبَّة: مَيْلُ القلوب». معناه: أن يميل قلبه إلى الله، وإلى ما لله من غير تكلُّفٍ.

وقال غيره: «المحبَّة: هي الموافقة». معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتهاء عمَّا زَجَر، والرِّضا بما حَكَم وقدَّر.

قال محمَّد بن عليٍّ الكَتَّانيُّ: «المحبَّة: الإيثار للمحبوب».

قال غيره: «المحبَّة: إيثار ما تحبُّ لمن تُحب».

قال أبو عبدالله النباجيُّ: «المحبَّة: لذَّةٌ في المخلوق، واستهلاكٌ في الخالق». معنى الاستهلاك: أن لا يبقي لك حظٌّ، ولا يكون لمحبَّتك عِلَّة، ولا تكون قائمًا بعلَّة.

قال سهيلٌ: «مَن أحبَّ الله فهو العيش، ومن أحبَّ فلا عيش له». معنى «هو العيش»: أنه يطيب عيشه؛ لأنَّ المُحبَّ يتلذَّذ بكلِّ ما يرد عليه من المحبوب من مكروهٍ أو محبوبٍ.

ومعنى «لا عيش له»: لأنه يطلب الوصول إليه، ويخاف الانقطاع دونه، فيذهب عيشه.

وقال بعض الكبار: «المحبَّة لذَّةٌ، والحقُّ لا يُتلَذَّذ به؛ لأنَّ مواضع الحقيقة دَهَشٌ واستيفاءٌ وحيرةٌ».

فمحبَّة العبد لله تعظيمٌ يحلُّ الأسرار فلا يستجيز تعظيم سواه، ومحبَّة الله للعبد هو أن يُبْلِيه به فلا يصلح لغيره، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١]. ومعنى لا يصلح لغيره: أن لا يكون فيه فضلٌ لمراقبة الأغيار ومُراعاة الأحوال.

قال بعضهم: المحبَّة على وجهين: محبَّة الإقرار، وهو للخاصِّ والعامِّ. ومحبَّة الوجد من طريق الإصابة، فلا يكون فيه رؤية النفس والخَلْق، ولا رؤية الأسباب والأحوال، بل يكون مُستغرقًا في رؤية ما لله وما منه.

وأنشدونا لبعضهم:

أُحِبُّك حُبَّين حُبَّ الهوى ... وحبًّا لأنَّك أهلٌ لذاكا

فأمَّا الذي هو حبُّ الهوى ... فشُغْلي بذكرك عمَّن سِواكا

وأمَّا الذي أنت أهلٌ له ... فلست أرى الكَوْنَ حتَّى أراكا

فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمدُ في ذا وذاكا

قال ابن عبدالصمد: «المحبَّة هي: التي تُعْمى وتَصُم، تُعْمي عمَّا سِوى المحبوب، فلا يشهد سواه مطلوبًا؛ قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ**»[1].

---

(١) حديث: «**حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ**».

أحمد، والبخاريُّ في "التاريخ"، وأبوداود في "سننه"، والعَسكريُّ في "الأمثال"، والقُضاعيُّ في "مسنَد الشهاب" مِنْ طريق ابنِ أَبِي مَريم، عن خالِدِ بنِ محمَّدٍ الثقفيِّ، عن بلال بنِ أَبِي الدَّرداء، عن أبيه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وابنُ أَبِي مَريم ضعيفٌ، لكن سكت عنه أبو داود، فهو صالحٌ على قاعدتِه المُقرَّرة.

وورد مِنْ حديث أَبِي بَرْزَةَ، رواه الخَرائِطيُّ في "اعتلال القلوب". ومِنْ حديث أنسٍ، رواه ابنُ عساكر.

وأنشَد:

أصـــمَّني الحـــبُّ إلَّا عـــن تَســـامُرِه ... فمَن رأى حــبَّ حــبٍّ يـورث الصَّـمَما

وَكَـــفَّ طَـــرْفي إلَّا عـــن رِعَايَتـــهِ ... والحــبُّ يُعمـى وفيـه القتـل إن كَـتَما

وأنشد أيضًا:

فَـــرْطُ المحبَّـــة حـــالٌ لا يُقاومُهـــا ... رأيُ الأصِـــيلِ إذا محـــذورَهُ قَهَـــرَا

يلـــذُّ إن عَـــدَلَتْ منـــه قَوَارَعَـــهُ ... وإن تَزيَّـــدَ في تَعْدِيلِـــهِ بَهَـــرَا

فصلٌ

إنَّ للقوم عبارات تفرَّدوا بها، واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم، نُخبر ببعض ما يَحْضُرُ، ونكشف معانيها بقولٍ وجيزٍ.

وإنما نقصد في ذلك إلى معنى العبارة دون ما تتضمَّنه العبارة، فإنَّ مضمونها لا يدخل تحت الإشارة فضلًا عن الكشف، وأمَّا كُنْه أحوالهم فإنَّ العبارة عنها مقصورةٌ، وهي لأربابها مشهورةٌ.

الباب الثاني والخمسون

قولهم في التَّجْريد والتَّفْريد

فمعنى التجريد: أن يتجرَّد بظاهره عن الأعراض، وبباطنه عن الأعواض.

وهو ألَّا يأخذ من عَرَض الدنيا شيئًا، ولا يطلب على ما ترك منها عِوَضًا من عاجلٍ ولا آجلٍ، بل يفعل ذلك لوجوب حقِّ الله تعالى، لا لعلَّةٍ غيره، ولا لسببٍ سِواه، ويتجرَّد بسِرِّه عن ملاحظة المقامات التي يحلُّها، والأحوال التي يُنازلها بمعنى السُّكون إليها والاعتناق لها.

والتفريد: أن يتفرَّد عن الأشكال، وينفرد في الأحوال، ويتوحَّد في الأفعال.

وهو أن تكون أفعاله لله وحده، فلا يكون فيها رؤية نفسٍ، ولا مراعاة خَلْقٍ، ولا مُطالعة عِوَضٍ، ويتفرَّد في الأحوال عن الأحوال، فلا يرى لنفسه حالًا، بل يغيب برؤية مُحوِّلها عنها، ويتفرَّد عن الأشكال، فلا يأنس بها، ولا يستوحش منها.

وقيل: التجريد: أن لا يَمْلِك. والتفريد: أن لا يُمْلَك.

أنشدونا لعمرو بن عثمان المكِّيِّ:

تَفَرَّدَ بالله الفَرِيْدِ فَرِيْدُ ... فَظَلَّ وحيدًا، والمَشُوقُ وحيدُ

وذاك لأنَّ المُفْرَدين رأيتُهم ... على طبقاتٍ والدُّنُوُّ بعيدُ

فمِن مُفْرَدٍ يَسْمو بهمَّة قَلبِه ... عن المُلْكِ جَمْعًا فهو عنه يَحِيدُ

وأَدْمن سيرًا في السُّموِّ توحُّدًا ... وكلُّ وحيدٍ بالبلاءِ فريدُ

وآخرَ يسمو في العلوِّ تفرُّدًا ... عن النَّفس وَجْدًا فهي منه تَبيدُ

وآخر مَفْكُوكٌ مِن الأَسْرِ بالفنا ... فأصبح خِلْواً واجْتَباه وَدُودُ

فالذي أدمن سيرًا في السُّموِّ متوحِّدٌ بالبلاء؛ لأنه لا سبيل له إلى ما يطلب، ولا يُساكِن شيئًا دونه.

والذي تفرَّد عن النفس وَجْدًا: فلا يُحِسُّ بالبلاء، والذي فُكَّ من أسْر النفس بالفناء عنها: هو المُجتبي المُقرَّب المُتفرِّد بالحقيقة.

الباب الثالث والخمسون

قولهم في الوَجْد

ومعنى الوجد: هو ما صادف القلب من فَزَعْ، أو غَمٍّ، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالةٍ بين العبد والله عزَّ وجلَّ.

قالوا: وهو سمع القلوب وبصرها؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فمن ضعف وَجْدُه تَواجَد.

والتواجد: ظهور ما يَجِد في باطنه على ظاهره، ومن قوى تمكَّن فسكن؛ قال الله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

قال النوريُّ: «الوجد لهيبٌ ينشأ في الأسرار، ويَسْنَحُ عن الشَّوق، فتضطَّرب الجوارح طربًا أو حُزْنًا عند ذلك الوارد».

وقالوا: «الوجد مَقرونٌ بالزَّوال، والمعرفة ثابتةٌ بالله تعالى لا تزول».

أنشدونا للجنيد:

الوَجْدُ يُطْربُ مَن في الوَجْدِ رَاحتُهُ ... والوَجْدُ عند حُضُورِ الحقِّ مَفْقُودُ

قد كان يُطْربني وَجدِي فأشْغَلني ... عن رؤية الوَجْدِ ما في الوَجْدِ مَوجودُ

وأنشدونا لبعض الكبار:

أبــدى الحِجــابَ فــذلَّ في سُــلْطانه ... عِــزُّ الرُّســومِ وكــلُّ معنــى يُحْضَــرُ

هيهــاتَ يُــدْرَكُ بــالوجودِ وإنَّــما ... لَهَــبُ التَّواجُــد رَمْــزُ عَجْــزٍ يُقْهــرُ

لا الوجــدُ يُــدْرِكُ غــير رَسْــمٍ داثــرٍ ... والوجــدُ يَــدْثرُ حــين يَبــدو المَنظْــرُ

قــد كنــتُ أَطْــرَبُ للوجــود مُرَوَّعًــا ... طَــوْرًا يُغيِّبُنــي وطَــوْرًا أَحْضُــرُ

أَفْنَــى الوجــودَ بشــاهدٍ مَشْــهودُهُ ... أَفْنَــى الوجــودَ وكــلَّ معنــى يُــذْكَرُ

وقال بعضهم: «الوجد بشاراتُ الحقِّ بالترقِّي إلى مقامات مشاهداته».

وأنشدونا لبعضهم:

مَــنْ جــاد بالوجْــدِ أَحْــرَى أن يَجُــودَ بــما ... يُفْنِــي الوجــودَ مِــن الأَفضــال والمِــنَنِ

أيقنــتُ حــين بَــدَا بالوجــدِ يَبعثُنــي ... إنَّ الجــوادَ بــه يُــوفي عــلى الحَسَــنِ

وللشبليِّ:

الوَجْــــدُ عِنــــدي جُحُــــودٌ ... مــــا لم يكــــن عــــن شُــــهُودِي

وشَــــاهدُ الحــــقِّ عِنْــــدِي ... يُفْنِــــي شُــــهودَ الوُجُــــودِ

الباب الرابع والخمسون

قولهم في الغَلَبَة

الغَلَبَة: حالٌ تَبدو للعبد لا يُمكنه معها ملاحظة السَّبب، ولا مُراعاة الأدب، ويكون مأخوذًا عن تمييز ما يستقبله؛ فربما خرج إلى بعض ما يُنْكِر عليه من لم يعرف حاله، ويرجع على نفسه صاحبه إذا سَكَنَتْ غَلَباتُ ما يَجِدُه.

ويكون الذي غَلَبَ عليه: خوفٌ، أو هيبةٌ، أو إجلالٌ، أو حياءٌ، أو بعض هذه الأحوال، كما جاء في الحديث عن أبي لُبابَةَ بنِ عبدِ المنذرِ حين اسستشاره بَنُو قُريظَة لَمَّا استنزلَهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على حُكمِ سعْـدِ بنِ مُعاذٍ، فأشار بيده إلى حلْقِـه أنَّه الذَّبحُ، ثُمَّ ندم على ذلك، وعلِمَ أنَّه قد خان اللهَ ورسولَه. فانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى عمودٍ مِنْ عُمُدِه، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ اللهُ عليَّ ممَّا صَنَعْتُ.

فهذا لما غَلَبَ عليه الخوف مِن الله عزَّ وجلَّ، حال بينه وبين أن يأتي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان هو الواجب عليه لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ [النساء: ٦٤]، وليس في الشريعة ارتباطٌ بالسَّواري والعُمُد!

وقال النَّبيُّ صلَّى عليه وآله وسلَّم لَمَّا أنِ استبطأه: «**أمَا لو جاءني لاسْتغفرتُ له، فأمَّا إذْ فَعَـل ما فعَـل؛ فما أنا بالذي أُطْـلِقُه مِنْ مكانِه حتى يتوبَ الله عليه**»[1].

---

(١) حديث أبِي لُبابَةَ بنِ عبدِ المنذرِ حين اسستشاره بَنُو قُريظَة لَمَّا استنزلَهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن حُكمِ سعْـدِ بنِ مُعاذٍ، فأشار بيده إلى حلْقِـه أنَّه الذَّبحُ، ثُمَّ ندم على ذلك، وعلِمَ أنَّه قد خان اللهَ ورسولَه. فانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد إلى عمودٍ مِنْ عُمُدِه، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ اللهُ عليَّ ممَّا صنعتُ. وقال النَّبيُّ صلَّى عليه وآله وسلَّم لَمَّا أنِ استبطأه: «**أمَا لو جاءني لاسْتغفرتُ له، فأمَّا إذْ فَعَـل ما فعَـل؛ فما أنا بالذي أُطْـلِقُه مِنْ مكانِه حتى يتوبَ الله عليه**».

ابنُ إسحاق في "مغازيه" مِنْ طريقِ أبِي إسحاق بنِ يَسارٍ، عن مَعْـبَدِ بنِ كعْبِ بنِ مالكٍ الأنصاريِّ، أنَّ رسولَ الله صلَّى عليه وآله وسلَّم حاصرَهم -يعني قُرَيْظَةَ- خمسًا وعشرين ليلةً، فذَكَرَ القصة، وفيها: أنَّهم بعثوا إلى رسول الله صلَّى عليه وآله وسلَّم أن ابْعثْ إلينا أبَا لُبابةَ ابنَ عبدِ المنذر، أخَا بَنِي عَمْرِو بنِ عَـوفٍ -وكانوا حُلفاءَ الأوس- نستشيره في أمرنا. فأرسلَه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليهم، فلمَّا رأوه قام إليه الرِّجالُ، وجَهَشَ إليه النِّساءُ والصِّبيانُ يبكون في وجهه، فرَقَّ لهم. وقالوا له: يا أبَا لُبابةَ، أترَى أنْ نَنْزِلَ على حُكمِ محمَّدٍ؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حَـلقِه أنَّه الذبحُ. قال أبُو لُبابَةَ: فوَالله ما زَلتْ قدمايَ مِنْ مكانِهما حتى عرفتُ أنِّي قد خُـنتُ اللهَ ورسولَه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ثمَّ انطلق أبُو لُبابةَ على وجهه ولم يأتِ رسولَ الله صلَّى عليه وآله وسلَّم حتى ارتبط في المسجد إلى عمودٍ مِنْ عُمُدِه، وقال: لا أبرَحُ مِنْ مكاني هذا حتى يتوبَ اللهُ عليَّ ممَّا صنعتُ، وأعاهِدُ اللهَ أنْ لا أطأ بَنِي قريظة أبدًا ولا أُرَى في بلدٍ خُنْتُ اللهَ ورسولَه فيه أبدًا.

فلمَّا بلغ رسولُ الله صلَّى عليه وآله وسلَّم خبرَه وكان قد استبطأه، قال: «**أمَا انَّه لوْ جاءني لاستغفرتُ له، فأمَّا إذْ فَعلَ ما فَعل؛ فما أنا بالذي أُطْلِقُه مِنْ مكانه حتى يتوبَ الله عليه**».

ورواه البيهقيُّ في "دلائل النُّبوة" مِنْ طريق سعيدِ بنِ المُسيَّب في قصةٍ طويلةٍ.

قال أَبُو عُمرَ ابنُ عبدِالبرِّ رحمه الله في "الاستيعاب": « اختُلِفَ في الحال التي أوجبَتْ فِعلَ أَبِي لبابةَ هذا بنفسه، وأحسنُ ما قيلَ في ذلك: ما رواه مَعمرٌ، عن الزهريِّ قال: كان أبو لبابة مِمَّنْ تَخَلَّف عن رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تَبُوك، فربط نفسَه بِسَارِيَـةٍ وقال: والله لا أَحُـلُّ نفسي منها، ولا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى يتوبَ اللهُ عليَّ أو أموت. فمكث سبعةَ أَيَّامٍ لا يَذوقُ طعامًا ولا يشرب شرابًا حتى خرَّ مغشيًّا عليه، ثُمَّ تاب الله عليه، فقِيلَ له: قد تاب الله عليك يا أبا لُبابة. فقال: واللهِ لا أَحُلُّ نفسي حتى يكون رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي يَحُلني. قال: فجاء رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحلَّه بيده الشريفة المباركة المطهَّرة، ثمَّ قال أبو لُبابة: يا رسولَ الله انَّ مِنْ توبتي أنْ أهجر دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذنبَ، وأنْ أنخلِعَ مِنْ مالي كـلِّه صدقةً إلى الله وإلى رسولِه. قال: «**يُجْـزِئك يا أبا لُبابة الثلثُ**».

ورُوي عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما مِنْ وجوهٍ في قول الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ الآية [التوبة: ١٠٣] أنَّها نزلتْ في أَبِي لُبابة ونَفَرٍ معه، سبعةٍ أو ثمانيةٍ أو تسعةٍ سواه، تَخلَّفوا عن غزوة تبوك، ثُمَّ ندموا وتابوا، وربطوا أنفسَهم بالسَّواري. فكان عملُهم الصالحُ توبتَهم وعملُهم السيِّءُ تخلُّفَهم عن الغزوِ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال ابنُ عبدِالبرِّ رحمه الله: «وقد قيل: انَّ الذنبَ الذي أتاه أبو لُبابةَ كان إشارتُه إلى حلفائه مِنْ بَنِي قُريظة أنَّه الذبحُ انْ نزلتم على حُكمِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ، وأشار إلى حَلقِه، فنزلتْ فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال ٢٧]. ثُمَّ تاب الله عليه» الحديث.

فلمَّا علم الله صِدْقَهُ، وأنَّ ذلك صَدَرَ عنه لِغَلَبة الخوف عليه غفر له، فأنزل الله توبته؛ فأطلقه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فأبو لُبَابة رضي الله عنه لَمَّا أن غَلَبَ عليه الخوفُ، لم يُمْكِنه مُلاحظة السَّبب وهو استغفار الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٦٤]، ولم يُمكِنه مُراعاة الأدب، والأدب: أن يَعتذِرَ إلى مَن أذنب إليه وهو الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وكما غَلَبَ على عمرَ رضي الله عنه حَمِيَّة الدِّين: حين اعترض على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أراد أن يُصالِحَ المشركين عام الحُديبية، فوثب عمرُ حتى أتى أبا بكرٍ رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكرٍ، أليس هذا برسول الله؟ قال: بلى! قال: أَلَسنا بالمسلمين؟ قال: بلى! قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى! قال: فعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّة في ديننا؟ فقال أبو بكرٍ: يا عمر، الزم غِرْزَهُ؛ فإني أشهد أنه رسول الله. فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثُمَّ غَلَبَ عليه ما يجدُ حتى أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له مِثْل ما قال لأبي بكرٍ، وأجابه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما أجابه أبو بكرٍ، حتى قال: «**أنا عبدالله، ورسوله لن أُخالف أَمْرَهُ ولن يُضَيِّعَني**». فكان عمر يقول فما زلت أصوم وأتصدَّق وأُعتق وأُصلِّي مِن الذي صنعتُ يومئذ؛ مخافة كلامي الذي تكلَّمتُ به، حتى رجوتُ أن يكون خيرًا[1].

---

(١) حديث اعتراضِ عُمَرَ رضي الله عنه على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أراد أنْ يُصالِحَ المشركين يومَ الحُدَيْبِيَةِ، فوَثَبَ حتى أتى أبا بكرٍ رضي الله عنه، فقال: يا أبا بكرٍ أَلَيْسَ هذا رسول الله؟ قال: بلى. قال: أَلسْنَا بِالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أليسُوا بالمشركين؟ قال: بلى.

قال: فعَلَى مَا نُعْطِي الدَّنِيَّةَ في دِينِنا؟ فقال أبو بكرٍ: يا عُمر، الزَمْ غِرْزَه؛ فإنِّي أشهدُ أنَّه رسولُ الله. فقال عمرُ: وأنا أشهد أنَّه رسولُ الله، ثُمَّ غلب عليه ما يَجِدُ حتى أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له مِثلَ ما قال لأبِي بَكْرٍ، وأجابه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما أجابه أبو بكرٍ، حتى قال: «**أنا عبدُالله ورسولُه، لم أُخالِفْ أمرَهُ، ولنْ يُضيِّعَـنِي**». فكان عمرُ يقول: فما زِلتُ أصوم، وأتصدَّق، وأُعْتِقُ، وأُصلِّي، مِنَ الذي صنعتُ يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلَّمتُ به، حتى رجوتُ أنْ يكونَ خيرًا.

ابنُ إسحاق في "السيرة"، عن الزُّهريِّ مرسَلًا، قال: فلمَّا انتهَى سُهَيلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تكلَّم فأطال الكلام وتراجعا، ثُمَّ جرَى بينهما الصُّلحُ. فلمَّا الْـتَأَمَ الأمرُ ولم يَبقَ إلَّا الكتاب، وثَبَ عمرُ بنُ الخطَّاب فأتَى أبا بكرٍ، فقال له: يا أبا بكرٍ، أَلَيْسَ رسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسْنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلَامَ نُعْطِي الدنيَّةَ في دينِنا؟ فقال أبو بكرٍ: يا عمر، الْزَمْ غِرْزَه فإنِّي أشهدُ أنَّه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال عمرُ: وأنا أشهد أنَّه رسول الله. ثُمَّ أتى رسولَ الله فقال: يا رسول الله ألستَ برسول الله؟ قال: بلى. قال: أولسْنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أوليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعَلَامَ نُعْطي الدَّنيَّةَ في دينِنا. قال: «**أنا عبدُالله ورسولُه، لم أُخالف أمرَهُ، ولن يُضيِّعَـني**».

قال: فكان عمرُ يقول: ما زِلتُ أصوم، وأتصدَّق، وأُصلِّي، وأُعْتِـقُ، مِنَ الذي صنعتُ يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلَّمتُ به حتى رجوتُ أنْ يكون خيرًا.

ورواه البخاريُّ في "صحيحه" مِنْ طريق الزُّهْرِيِّ، قال: أخبرني عُروةُ بنُ الزُّبيرِ، عن المِسوَرِ بنِ مَخْرَمَة، ومروان يُصَدِّقُ كلَّ واحدٍ منهما حديثَ صاحِبه، قالا: خَرَجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زَمَن الحُدَيبِيَة، فذكر القصَّة وفيها: فقال عمرُ: فأتيتُ نبيَّ الله

وكاعتراضه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيضًا: حين صَلَّى على عبدِالله بنِ أُبَيٍّ، قال عمرُ: فتحوَّلتُ حتى قمتُ في صدره، وقلتُ: يا رسولَ الله، أتُصلِّي على هذا وقد قال: يوم كذا، كذا -يُعدِّدُ أيامًا له- حتى قال له: «**أَخِّرْ عنِّي يا عمر، إنِّي خُيِّرْتُ**

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: ألستَ نبيَّ الله حَقًّا؟ قال: «بلى»، قلتُ: ألسْنا على الحقِّ، وعَدُوُّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، قلتُ: فلِمَ نُعْطِي الدَّنيَّةَ في دينِنا إذًا؟ قال: «**إنِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولستُ أعصِيه، وهو ناصري**».

ثُمَّ قال: فأتيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكرٍ أليس هذا نبيَّ الله حَقًّا؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعَدُوُّنا على الباطل؟ قالَ بلى، قلتُ: فلِمَ نُعطِي الدَّنيَّة في ديننا إذًا؟ قال: أيُّها الرَّجُلُ إنَّه لَرَسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وليس يَعْصِي ربَّه وهو ناصِرُهُ، فاستَمْسِكْ بِغَرْزِه، فواللهِ إنَّه على الحقِّ.

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ مِنْ طريق عبدِالعزيزِ بنِ سِيَاهٍ، عن حَبِيبِ بنِ أبي ثابتٍ، قال: أتيتُ أبا وائِلٍ أسألُه، فقال: كُنَّا بِصِفِّين، فقال رجلٌ: ألم تَرَ إلى الذين يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله، فقال عِليٌّ: نعم، فقال سَهْلُ بنُ حُنَيفٍ: اتَّهِموا أنفسَكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصُّلحَ الذي كان بين النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمشركين، ولو نرَى قتالًا لقاتَلْنا، فجاء عُمرُ فقال: ألسنا على الحقِّ وهم على الباطل؟ أليس قَتْلانا في الجنَّة، وَقَتْلاهُم في النَّار؟ قال: «بلى» قال: ففِيمَ نُعطِي الدَّنيَّةَ في ديننا ونَرْجِعُ، ولَمَّا يَحكم اللهُ بيننا؟ فقال يا ابنَ الخَطَّاب: «**إنِّي رسول الله ولن يُضَيِّعني اللهُ أبدًا**» فرجع مُتغيِّظًا فلم يَصْبِرْ حتَّى جاء أبا بكرٍ، فقال: يا أبا بكرٍ ألسْنَا على الحقِّ وهُمْ على الباطل؟ قال: يا ابنَ الخطَّاب، انَّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولن يُضَيِّعَه اللهُ أبدًا، فنَزَلتْ سورةُ الفتح.

فاخترت»، وصلَّى عليه، فقال عُمر: فعَجَبٌ لِي وجرأتي على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم![1]

ومنه: حديث أَبِي طيبة حين حَجَم النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشرب دمَه، فعَـذَره النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال: «**لقد احتظرتَ بِحظائرَ مِنَ النَّار**»[2].

---

(١) حديث: اعْتِراض عُمر رضي الله عنه على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين صَلَّى على عبدِالله بنِ أُبَيٍّ، قال عمرُ: فتحوَّلتُ حتى قمتُ في صدره، وقلتُ: يا رسولَ الله، أتُصلِّي على هذا وقد قال: يوم كذا، كذا -يُعدِّدُ أيامًا له- حتى قال له: «**أَخِّرْ عنِّي يا عمر، إنِّي خُيِّرتُ فاخترت**»، وصلَّى عليه، فقال عُمر: فعَجَبٌ لِي وجرأتي على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أحمدُ في "المسنَد"، والبخاريُّ في "الصحيح"، والترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق الزهريِّ، عن عُبيدِ الله بنِ عبدِالله، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن عُمرَ بنِ الخطَّاب رضي الله عنهم أنَّه قال: لَمَّا مات عبدُالله بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولَ دُعِيَ له رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لِيُصَلِّي عليه، فلمَّا قام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وثَـبْتُ إليه، فقلت: يا رسولَ الله، أتُصَلِّي على ابنِ أُبَيٍّ، وقد قال يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ أُعَدِّدُ عليه قولَه. فتبسَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**أَخِّر عنِّي يا عُمرُ**»، فلمَّا أكثرتُ عليه قال: «**إنِّي خُيِّرتُ فاخترتُ لو أعلمُ أنِّي انْ زِدتُ على السَّبعين فَغُفِرَ له، لَزِدتُ عليها**»، قال: فصلَّى عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ انصرف فلم يَمكُثْ إلَّا يَسِيرًا حتَّى نزلتِ الآيتان مِنْ بَراءةٌ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] قال: فعجِبتُ بَعْدُ مِنْ جُرأَتي على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومئذٍ، والله ورسوله أعلم.

(٢) حديث أَبِي طيبة حين حَجَم النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشرب دمَه، فعَـذَره النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال: «**لقد احتظرتَ بِحظائرَ مِنَ النَّار**».=

=لم أجده لأبي طيبة، قال الحافظُ ابنُ حجر رحمه الله ورضي عنه في "تخريج أحاديث الشرح الكبير": «بل الظاهرُ أنَّ صاحبَها غيرُه؛ لأنَّ أبا طيبة مولَى بنِي بَيَاضَةَ مِنَ الأنصار، والذي وقَعَ لي فيه أنَّه صَدَرَ مِنْ مولًى لِبعض قريشٍ ولا يصِحُّ أيضًا.

فروَى ابنُ حبَّان في "الضُّعفاء" مِنْ حديث نافعٍ أبِي هُرْمُز، عن عطاءٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ قال: حَجَمَ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غلامٌ لبعض قريشٍ، فلمَّا فَرَغَ مِنْ حِجَامَته أخذ الدَّمَ فذهب به مِنْ وراء الحائط، فنَظَرَ يمينًا وشمالًا فَلَمْ يرَ أحدًا فَحَسا دمَه حتَّى فرغ؛ ثُمَّ أقبلَ فنظر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه فقال: «**وَيْحَك ما صنعْتَ بالدَّم؟**» قلتُ: غَيَّبْتُه مِنْ وراء الحائط. قال: «**أين غَيَّبْتَه؟**» قلتُ: يا رسولَ الله، نَفِسْتُ على دمك أنْ أُهْرِيقَهُ في الأرض فهو في بَطْنِي، قال: «**اذهبْ فقدْ أُحْرِزَتْ نَفسُك مِنَ النَّار**».

ونافعٌ قال ابنُ حِبَّان: «روَى عن عطاءٍ نسخةً موضوعةً، وذكر منها هذا الحديث»، وقال يحيى بنُ سعيدٍ: «كذَّابٌ».

ورواه أبو نعيمٍ في "معرفة الصَّحابة" مِنْ حديث سالمٍ أبِي هِندٍ الحجَّام، قال: حجمْتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا فرغتُ شربتُه، فقلتُ: يا رسولَ الله شربتُه، فقال: «**ويحَكَ يا سالمُ، أمَا علِمتَ أنَّ الدمَ حرامٌ؛ لا تعُدْ**». وفي إسناده أبو الحجاف، وفيه مقالٌ.

وفي الباب: عن سفينة، رواه البزَّارُ، والطبرانيُّ، وابنُ أبِي خَيثَمة، والبيهقيُّ في "الشُّعَب" و"السنن"، مِنْ طريق بريَّة بنِ عُمرَ، عن سفينة، عن أبيه، عن جَدِّه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتجمَ، ثمَّ قال له: «**خُذْ هذا الدمَ فادفِنْهُ مع الدَّوابِّ والطَّيرِ والنَّاس**»، قال: فتغيَّبْتُ به، فشربتُه؛ ثُمَّ سألني، أوقال: فأخبرتُه فضحك.

وعن عبدِالله بنِ الزبير، رواه البزَّار، والطبرانيُّ، والحاكم، والبيهقيُّ، وأبو نعيمٍ في "الحلية"، مِنْ حديث عامرِ بنِ عبدِالله بنِ الزبير، عن أبيه، قال: احتجمَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

فهذه كلها، وأمثالها كثيرةٌ، تدل على أنَّ حالة الغلبة حالةٌ صحيحةٌ، ويجوز فيها ما **لا** يجوز في حال السُّكون، ويكون السَّاكن فيها بما هو أرفع منه في الحال أَمْكَنَ وأتمَّ حالةً، كما كان أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه(١).

فأعطاني الدَّمَ، فقال: «**اذهبْ فغَيِّبْه**»، فذهبتُ فشربتُه، فأتيتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال لي: «**ما صنعتَ به؟**» قلتُ: غيَّبتُه، قال: «**لعلَّك شربتَه؟**» قلت: شربتُه.

زاد الطبرانيُّ: فقال: «**مَنْ أَمَرَك أنْ تشربَ الدَّمَ، ويلٌ لك مِنَ النَّاس، وويلٌ للنَّاس منك**».

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، وقال الحافظ نورُ الدِّينِ الهيثميُّ: «ولم أرَ في إسناده مَنْ أُجْمِعَ على ضعفه»؛ أنَّ أباه مالِكَ بنَ سنان لما أُصيب رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه يومَ أُحُدٍ، مَصَّ دمَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وازدرده، فقِيلَ له: أتشربُ الدمَ؟ قال: نعم، دمُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خالطَ دمي دمَه لا تمسَّه النَّارُ**».

(١) قوله: كما كان أبو بكرٍ.

يعني في قصة صلح الحُدَيْبِيَة، وقد تقدَّم.

الباب الخامس والخمسون

قولهم في السُّكر

وهو أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء.

وهو أن لا يميز بين مَرَافِقِة وملاذِّه، وبين أضدادها في مرافقة الحقِّ، فإنَّ غَلَبات وجود الحقِّ تُسْقِطه عن التمييز بين ما يُؤلِمه ويُلذِّه.

كما روي في بعض الرِّوايات في حديث حارثة، أنه قال: «استوَى عندي حَجَرُها ومَدَرُها، وذهَبُها وفضتُها»[1].

وكما قال عبدالله بن مسعود: قوله: كما قال عبدُالله بنُ مسعود: «ما أُبالي على أيِّ الحالين وقعتُ، على غِنًى أو فقرٍ، فإنْ كان فقرًا فإنَّ فيه الصَّبرَ، وإنْ كان غِـنًى فإنَّ فيه الشُّكرَ»[2]. ذهب عنه التمييز بين الأرفق وضده، وغلب عليه رؤية ما للحق من الصبر والشكر.

---

(١) قوله: كما روي في حديث حارثة: أنَّه قال: «استوَى عندي حَجَرُها ومَدَرُها، وذهَبُها وفضتُها». لم أقِفْ على هذا اللفظ في شيءٍ مِنْ طُرقِ هذا الحديث، وقد تقدَّم [ص: ٦٥].

(٢) قوله: كما قال عبدُالله بنُ مسعود: ما أُبالي على أيِّ الحالين وقعتُ، على غِنًى أو فقرٍ، فإنْ كان فقرًا فإنَّ فيه الصَّبرَ، وإنْ كان غِـنًى فإنَّ فيه الشُّكرَ.

رواه أحمد في "الزهد": حدثنا وكيعٌ: حدثنا المسعوديُّ، عن عليِّ بنِ بَذِيمَةَ، عن قيسِ بنِ حبتر، قال: قال عبدُالله: «حبَّذا المكروهانِ، الموتُ والفقرُ. وأيمُ الله انْ هو إلَّا الغنىَ أو الفقر، وما أبالي بِأيِّهما ابتُليـتُ؛ انْ كانَ الغنى انْ فيه لَلْعطفُ، وإنْ كان الفقر انْ فيه للصبرُ».

ورواه الطبرانيُّ عنه، قال: «يا حَبَّذَا المكروهات: الموتُ والفقرُ، وما أُبالي بأيِّهما ابتُـلِيتُ، إنْ كان الغنَى إنَّ فيه العَطْفَ، وإنْ كان الفقر فيه الصَّبر». وفيه المسعوديُّ، وقد اختلط.

والصَّحوُ الذي هو عُقَيب السُّكر: هو أن يميز، فيَعرف المُؤلم مِن المُلِذّ، فيختار المُؤلم في موافقة الحقِّ ولا يشهد الألم، بل يجد لذَّةً في المُؤلم.

كما جاء عن بعض الكبار أنه قال: «لو قطَّعني البلاءُ إرْبًا إرْبًا، ما ازددتُ لك إلَّا حُبًّا حُبًّا».

وعن أبي الدرداء أنه قال: « أُحِبُّ الموتَ اشتِيَاقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ المرض تكفيرًا لخطيئتي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضعًا لِربِّي»[1].

وعن بعض الصحابة أنه قال: «يا حبَّذا المكروهان: الموت، والفقر»[2].

---

(١) قوله عن أبي الدرداء، أنَّه قال: « أُحِبُّ الموتَ اشتِيَاقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ المرض تكفيرًا لخطيئتي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضعًا لِربِّي».

أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق الحَربيِّ، عن عليِّ بنِ الجَعد، عن شُعبَة، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن شَيخٍ، عن أبي الدَّرداء، قال: «أُحِبُّ الموتَ اشتياقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضعًا لربِّي، وأُحِبُّ المرضَ تكفيرًا لخطيئتي».

ورواه ابنُ المبارك في "الزهد": أخبرنا يحيى بنُ أيوب، عن عُبيدِ الله بنِ زحر، عن سعدِ بنِ مسعودٍ أو غيره، أنَّ أبا الدرداءِ قال: «أحبُّ الموتَ اشتياقًا إلى ربي، وأحبُّ المرَض تكفيرًا لخطيئتي، وأحبُّ الفقرَ تواضعاً لربِّي».

(٢) قوله: وعن بعض الصحابة: «يا حبَّذا المكروهات: الموتُ والفقرُ».

تقدَّم عن ابنِ مسعودٍ.

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريق إبراهيمَ: ثنا عليُّ بنُ الجَعد: أخبرنا شُعبة، عن معاوية بنِ قُرَّة، قال: قال أبو الدَّرداء: «ثلاثٌ أُحِبُّهُنَّ ويكرهُهُنَّ النَّاسُ: الفقر، والمرض، والموت».

وهذه الحالة أتمُّ؛ لأنَّ صاحبَ السُّكرِ يقع على المكروه من حيث لا يَدري، ويغيبُ عن وجودِ التكرُّه، وهذا يَختار الآلام على الملاذّ، ثُمَّ يَجِدُ اللذَّة فيما يُؤلمه بغَلَبة شُهود فاعله.

والصَّاحي الذي نعتُه قبل نعت السُّكر ربما يَختار الآلامَ على الملاذِّ لرؤية ثوابٍ، أو مُطالعة عِوَضٍ، وهو مُتألِّمٌ في الآلام ومُتلذِّذٌ في الملاذِّ، فهو نعت الصَّحْوِ والسُّكرِ.

وأنشدونا لبعض الكبار:

ورواه من طريق إسماعيلَ بنِ كثيرٍ، عن زيادٍ -مولى ابنِ عباس- قال: حدَّثني مَنْ دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه، فقال: لولا أنِّي أرى أنَّ هذا اليوم آخرُ يومٍ مِنَ الدُّنيا وأوَّل يومٍ من الآخِرَة لم أتكلَّم به، اللهمَّ إنَّك تعلم أنِّي كنت أحبُّ الفقر على الغنى، وأُحبُّ الذِّلَّة على العزِّ، وأُحبُّ الموتَ على الحياة».

ورواه ابنُ المبارك في "الزهد": أخبرنا يحيَى بنُ أيوب بنِ عُبيدِ الله بنِ زحر، عن حِبَّان بنِ أبِي حَـبَلة أنَّ أبا الدرداءِ قال: «تلِدُونَ للموت وتعْمَدون للخراب، وتحْرِصُون على ما يَفنىَ، وتذَرون ما يبقَى؛ ألاَ حبَّذا المكروهات الثلاث: الموتُ، والمرضُ، والفقرُ».

ورواه أحمدُ في "الزهد": حدثنا حجَّاجُ: حدثني شعبةُ ووَهبُ، قال: حدثنا شعبة المعنى واحدٌ، عن أبِي اياسٍ، عن أبي الدرداء قال: «ثلاثٌ يكرههن الناسُ وأحبُّهم: الفقرُ والمرضُ والموتُ».

ورواه مِن طريق مَعمَر بنِ سليمانَ الرَّقِّيِّ: حدثنا فُراتُ بنُ سليمانَ أَنَّ أبا الدرداءِ كان يقولُ: «أحبُّ الموتَ ويكرهونه، وأحبُّ السُّقمَ ويكرهونه، وأحبُّ الفقرَ ويكرهونه».

ورواه مِن طريق محمدِ بنِ جعفر: أنبأنا شعبةُ، عن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، عن شيخٍ، عن أبي الدرداءِ قال: «أحبُّ الفقرَ..» فذكره.

كَفَـــاكَ بـــأنَّ الصَّـــحْوَ أوْجَـــدَ أَنَّتـــي فكيـف بحـالِ السُّـكرِ والسُّـكرُ أجْـدَرُ
فحـــالَاكَ لي حـــالانِ صَـــحْوٌ وسَـــكْرَةٌ فـلا زِلـتُ في حَـاليَّ أصْـحُو وأَسْـكَرُ

معناه: أنَّ حالة التمييز إذا أسقَطَ عنِّي ما لي وأوجد ما لك، فكيف يكون حالةُ السُّكر، وهو سقوط التميز عنِّي، ويكون الله هو الذي يُصرِّفني في وظائفي، ويُراعيني في أحوالي وهاتان حالتان تجريان عليَّ، وهما لله تعالى لا لي، فلا زلتُ في هاتين الحالتين أبدًا.

الباب السَّادس والخمسون

قولهم في الغَيبَةِ والشُّهُود

فمعنى الغَيْبَة: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، وهي -أعنى الحظوظ- قائمةٌ معه موجودةٌ فيه، غير أنه غائبٌ عنها بشهود ما للحقِّ، كما قال أبو سليمان الداراني، وبلغه أنه قيل للأوزاعيِّ: رأينا جاريتك الزرقاء في السُّوق فقال: أَوَ زرقاء هي؟ فقال أبو سليمان: «انفتحت عيون قلوبهم، وانطبقت عيون رؤوسهم». أخبر أنَّ غيبته عن زُرْقتها كانت مع بقاء لذَّة الحَوَر فيه، بقوله: أو زرقاء هي.

والشُّهُودُ: أن يرى حظوظ نفسه بالله لا بنفسه.

ومعنى ذلك أن يأخذ ما يأخذ بحال العبودية وخضوع البشرية، لا للذَّة والشهوة.

وغيبة أخرى وراء هذه، وهي أن يغيب عن الفناء والفاني، بشهود البقاء والباقي لا غير، كما أخبر حارثة عن نفسه [1]، ويكون الشُّهُود شُهود عيان، ويكون غَيْبته عمَّا غاب غَيْبة شهود الضُّرِّ والنفع، لا غيبة استتارٍ واحتجابٍ.

وأنشدونا للنوريِّ:

شَهِدتُ ولم أَشْهدْ لِحاظًا لحَظْتُه ... وحسب لحاظٍ شاهدٍ غير مُشْهَدِ

وغِبتُ مَغِيبًا غاب للغَيْبِ غَيْبهُ ... فلاح ظُهُورُ غَيْبِه غير مُفْقَدِ

وعبَّر عن الشهود بعض مشائخنا فقال: الشُّهود: أن تشهد ما تشهد مُستصغرًا له، معدوم الصفة؛ لما غلب عليك من شاهد الحقِّ، كما جاء: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله

---

(١) قوله: كما أخبر حارثة عن نفسه.

تقدَّم [ص: ٦٥].

باطلٌ[1]. وكما قال موسى عليه السَّلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]؛ رأى السَّامري مَعدُوم الصِّفة في شهود الحقِّ.

وأنشدونا للنوريِّ:

تستَّرتُ عن دَهْري بستْرِ هُمُومِهِ	مُحيَّرةً في قَدْرِ مَنْ جَلَّ عن قَدْرِي
فلا الدَّهرُ يَدْري أنَّني عنه غائبٌ	ولا أنا أَدْري بالخُطُوبِ إذا تَجْري
إذا كان كُلِّي قائمًا بوَفَائِهِ	فلسْتُ أُبالي ما حَيِيتُ يَدَ الدَّهْرِ

---

(١) قوله: كما جاء أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلَا اللهَ باطلٌ.

البخاريُّ، ومسلمٌ، وابنُ ماجه مِنْ طريق سفيانَ، عن عبدِالملِكِ بنِ عُمَيرٍ: حدَّثنا أبو سَلَمَةَ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَصْدَقُ كلمةٍ قالها الشَّاعرُ: كلمةُ لَبيدٍ: أَلا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ**».

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ من طريق شعبة، عن عبدِالملك بنِ عُمير، عن أبي سَلَمة، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أصدق حديثٍ قالته الشعراء: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ**». وهذا لفظ مسلمٍ.

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق شريكٍ، عن عبدِالملِكِ بنِ عُمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أشعَرُ كلمةٍ تكلَّمَتْ بها العرب كلمةُ لَبِيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل**».

ورواه من طريقِ زائدةَ، عن عبدِالملِكِ بنِ عُميرٍ، عن أبي سلمة بنِ عبدِالرحمن، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليهِ وآله وسلَّم قال: «**أصدقُ بيتٍ قاله الشَّاعر: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ**».

ورواه من طريق إسرائيل، عن عبدِالملكِ بنِ عُمَيرٍ، به بلفظ: «**إنَّ أصدَقَ كلمةٍ قالها شاعرٌ كلمةُ لَبِيدٍ: أَلَا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ ما زاد على ذلك**».

الباب السَّابع والخمسون

قولهم في الجَمْعِ والتَّفْرِقَة

أوَّل الجَمْعِ جَمْعُ الهِمَّةِ، وهو أن تكون الهموم كلُّها همًّا واحدًا، وفي الحديث: «**مَنْ جعل الهمومَ همًّا واحدًا -همُّ المَعاد- كفاه الله سائرَ همومه، ومَنْ تشعَّبت به الهمومُ، لم يُبالِ الله في أيِّ أودِيَتِـها هَـلَك**»[1]. وهذه حال المجاهدة والرياضة.

---

(١) حديث: «**مَنْ جعل الهمومَ همًّا واحدًا همُّ المَعاد كفاه الله سائرَ همومه، ومَنْ تشعَّبت به الهمومُ، لم يُبالِ الله في أيِّ أودِيَتِـها هَـلَك**».

ابنُ ماجه في "سننه" مِنْ طريق نَهْشَلٍ، عن الضحَّاك، عن الأسْوَدِ بنِ يزيد، قال: قال عبدُالله: سمعتُ نبيَّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ جعل الهُمومَ همًّا واحدًا: همَّ المعاد، كفاه الله همَّ دنياه، ومَنْ تشعَّبت به الهموم: أحوال الدنيا، لم يُبالِ الله في أيِّ أوديتِه هَـلَك**».

ونهشلٌ كذَّبه الطيالسيُّ، وابنُ راهَويه، وقال ابنُ مَعينٍ: «ضعيفٌ»، وقال مرَّةً: «ليس بشيءٍ»، وقال مرَّةً: «ليس بثقةٍ». وقال أبو داود: «ليس بشيءٍ»، وقال أبو حاتمٍ: «متروكٌ»، وقال الحاكم: «روى عن الضَّحَّاك المعضلات»، وقال أبو سعيدٍ النَّقَّاش: «روى عن الضحاك الموضوعات».

ورواه البيهقي في "الزهد" مِن طريقِ محمدِ بنِ غالبٍ، ثنا غَسَّانُ بنُ الربيع، ثنا أبو عقيلٍ يحيى بنُ المتوكل، عن عُمرَ بنِ محمدِ بنِ زيْدٍ العُمري، عن نافع وعبدِالله بنِ دينار، عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَنْ جعلَ الهمومَ همًّا واحداً كفاه اللهُ دنياهُ وآخرتَه، ومَنْ تشعَّبتْ به الهمومُ لم يبالِ اللهُ في أَيِّ أوديَتِهِ هلك**».

ورواه أحمد في "الزهد" مِن طريق نَهشَل، عن الضَّحّاكِ.

والجمع الذي يَعْنِيه أهله: هو أن يصير ذلك حالًا له، وهو أن لا تتفرَّق همومه فيجمعها تكلُّف العبد، بل تجتمع الهموم فتصير بشهود الجامع لها همًّا واحدًا، ويحصل الجمع إذ كان بالله وحده دون غيره.

والتفرقة التي هي عقيب الجمع: هو أن يفرَّق بين العبد وبين همومه في حظوظه، وبين طلب مرافقه وملاذِّه، فيكون مُفرِّقًا بينه وبين نفسه، فلا تكون حركاته لها.

وقد يكون المجموع ناظرًا إلى حظوظه في بعض الأحوال، غير أنه ممنوعٌ منها قد حِيل بينه وبينها، لا يتأتَّى له منها شيءٌ، وهو غير كارهٍ لذلك، بل مريدٌ له؛ لعلمه بأنه فعل الحقِّ به، واختصاصه له، وجذبه إيَّاه ممَّا دونه.

سُئل بعض الكبار عن الجمع ما هو؟ فقال: «جمع الأسرار بما ليس منه بُدٌّ، وقَهْرها فيه؛ إذ لا شَبَه له ولا ضِدَّ».

وقال غيره: «جَمَعَهم به حين وَصَلَهم بالقُصُورِ عنه، وفرَّقهم عنه حين طلبوه بما منهم، فسَنَح التَّشْتيت لارْتياده بالأسباب، وحصل الجمع حين شاهدوه في كلِّ باب».

ورواه أيضًا مِنْ طريق العمريِّ، عن عبدِالوهابِ بنِ بُخْتٍ، عن سليمانَ بنِ حبيبٍ قال: قال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وآله وسلم: «**مَنْ كان همُّه همًّا واحداً كفاهُ الله همَّهُ، ومَنْ كانَ همُّهُ بكلِّ وادٍ لم يبالِ اللهُ عزَّ وجلَّ بأَيِّها هلك**».

ورواه الحاكمُ، والبيهقيُّ من حديث ابن عمر مرفوعًا: «**من جعل الهمَّ همًّا واحدًا كفاه الله همَّ دنياه، ومن تشعَّبت به الهموم؛ لم يبالِ الله في أيِّ أوديته هَلَك**».

وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».

فالتفرقة التي عبَّر عنها هي التي قبل الجمع. معناه: أنَّ التقرُّب إليه بالأعمال تفرقةٌ، وإذا شاهدوه مقرَّبًا لهم فهو الجمع.

أنشدونا لبعض الكبار:

الجَمْعُ أفْقَدهم مِنْ حيثُ هُم قِدَمًا ... والفَرْقُ أوجَدَهُم حِينًا بلا أثَرِ

فاتتْ نفُوسُهمُ والفَوتُ فَقْدُهم ... في شاهدٍ جُمِعوا فيه عن البَشَرِ

وجَمْعُهُم عن نُعوتِ الرَّسْمِ مَحْوُهُمُ ... عَمَّا يُؤَثِّرهُ التَّلْوين بالغِيَرِ

والحَيْن حالٌ تلاشتْ في قديْمِهِمُ ... عن شاهِدِ الجَمْعِ إضْمارٌ بلا صُوَرِ

حتى تُوافي لهم في الفَرْقِ ما عطَفتْ ... علَيْهِمُ مِنه حينَ الوقتِ في الحَضَرِ

فالجمعُ غَيْبَتُهُم والفَرق حَضْرَتُهم ... والوَجدُ والفَقْدُ في هذَين بالنَّظَرِ

معنى قوله: «الجمع أفقدهم من حيث هم»: أي علمهم بوجودهم للحقِّ في علمه بهم، أفقدهم من الحين الذي صاروا موجودين له، فجعل الجمع حالة العدم حيث لم يكن إلَّا علم الحقِّ بهم، والفَرْق حالة ما أخرجهم من العدم إلى الوجود.

قوله «فاتت نفوسهم»: أي رأوها حين الوجود كما كانوا إذ هم فقود، لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، ولا يتغيَّر علم الله فيهم.

وجمعهم هو أن يمحوهم عن نعوت الرَّسم، وهي أفعالهم وأوصافهم، في أنها لا تؤثِّر أثر تلوينٍ وتغييرٍ، بل تكون على ما علم الله عزَّ وجلَّ وقدَّر وحَكَم، فتلاشت حالهم حين وجودهم في قديم العلم؛ إذ كانوا معدمين لا موجودين مُصوَّرين، وإذا أوجدهم أجرى عليهم ما سبق لهم منه.

فالجمع: أن يغيبوا عن حضورهم وشهودهم إيَّاهم متصرّفين.

والفرق: أن يشهدوا أحوالهم وأفعالهم.

والوجد والفقد: حالتان متغايرتان لهم لا للحقِّ تعالى.

قال أبو سعيدٍ الخرَّاز: «معنى الجمع: أنه أوجدهم نفسَه في أنفسهم، بل أعدمهم وجودَهم لأنفسهم عند وجودِهم له». معناه: قوله: «**كنتُ له سمعًا، وبصرًا، ويدًا؛ فبي يَسمع، وبي يُبصِـرُ**»[1] الخبر. وذلك أنهم كانوا يتصرَّفون بأنفسهم لا لأنفسهم، فصاروا متصرفين للحقِّ بالحقِّ.

---

(١) حديث: «**كنتُ له سمعًا، وبصرًا، ويدًا؛ فبي يَسمع، وبي يُبصِـرُ**».

البخاريُّ في "صحيحه"، مِنْ طريق خالدِ بنِ مَخْلَد، عن سليمانَ بنِ بلالٍ، عن شريك بنِ عبدِالله بنِ أبي نَمِرٍ، عن عطاء بنِ يسارٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّمَ: قال الله عزَّ وجلَّ «**مَنْ عادَى لِي وليًّا فقد آذَنْتُهُ بالحرب، وما تَقَرَّب إليَّ عبدِي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افترضتُه عليه، وما يَزَال عبدي يتقَرَّب إليَّ بالنَّوافلِ حتَّى أُحبَّه، فإذا أَحْببتُه كنتُ سمْعَه الذي يَسمعُ به، وبَصَـرَه الذي يُبصِرُ به، ويده التي يبطِشُ بها، ورِجلَه التي يَمشي بها...**» الحديث.

وهذا ممَّا انتُقِـد على البخاريِّ، وذكره الذهبيُّ في "الميزان" في ترجمة خالدٍ، وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا؛ تفرَّد به خالدُ بنُ مَخلدٍ، ولولا هيبة الجامع الصحيح لعددتُه في منكرات خالدٍ؛ وذلك لغرابة لفظه، ولأنه ممَّا تفرَّد به شريكٌ، وليس بالحافظ».اهـ

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: «له مناكير».

وقال الحافظ رحمه الله ورضي عنه في "مقدمة الفتح": «ومناكيرُ خالدٍ تتبَّعها أبو أحمدَ بنُ عديٍّ مِنْ حديثه، وأورَدَها كاملةً، وليس فيها شيءٌ ممَّا أخرجه له البخاريُّ، بل لم أرَ له عنده مِنْ إفراده سوى حديثٍ واحدٍ، وهو حديث أبي هريرة: «**مَنْ عادَى لي وليًّا...**» الحديث.

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق إبراهيمَ بنِ سويدٍ المدنيِّ، حدَّثني أبو حزرة يعقوبُ بنُ مجاهدٍ، أخبرني عروةُ بنُ الزبير، عن عائشة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يقول: مَنْ أهان لي وليًّا فقد استحلَّ محاربتي، وما تقرَّبَ إليَّ عبدٌ مِنْ عِبادي بِمِثلِ أداء فرائضي، وإنَّ عبدي لَيَتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ عينَه التي يُبصر بها، وأذنه التي يَسمع بها، ويده التي يَبطِش بها ورجلَه التي يمشي بها...**» الحديث.

قال الطبرانيُّ: لم يروِ عن عروة إلَّا أبو حزرة، وعبدُالواحدِ بنُ مَيمون.

قال الحافظ السيوطيُّ رحمه الله في "القول الجَليِّ": «ورجال الإسناد رجال الصَّحيح إلَّا هارون».

ورواه أبو يعلى في "مسنده" من طريق العبَّاسِ بنِ الوليد، عن يوسف بنِ خالدٍ، عن عمرَ بنِ إسحاق، عن عطاء بنِ يسارٍ، عن ميمونة أمِّ المؤمنين، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: مَنْ آذى لي وليًّا فقد استحل محاربتي، وما تقرَّب إليَّ عبدي بِمِثل أداء فرائضي، وإنَّه لَيتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ رِجلَه التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يَعقِـل به...**» الحديث.

ويوسفُ هو السمتيُّ: كذَّابٌ.

ورواه الطبرانيُّ في "الكبير" مِنْ حديث أبي أُمامة مرفوعًا: « **انَّ الله يقول: مَنْ أَهَان لي وليًّا فقد بارَزَني بالعداوة، ابنَ آدم لن تُدرِكَ ما عندي إلَّا بأداء ما افترضتُ عليك، ولا يزال عبدي يتَحَبَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أُحِبَّهُ؛ فأكون سمْعَه الذي يسمع به، وبصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ولسانَهُ الذي يَنطِقُ به، وقَلبَهُ الذي يَعقِلُ به...**» الحديث.

وفيه عليُّ بنُ زيدِ بنِ جدعان: وفيه ضعفٌ، وحديثُه حسنٌ.

الباب الثامن والخمْسُون

قولهم في التَّجَلِّي والاسْتِتَار

قال سهل: «التَّجَلِّي على ثلاثة أحوالٍ: تجلِّي ذات وهي المُكاشفة، وتجلِّي صفات الذات وهي موضع النور، وتجلِّي حكم الذات وهي الآخرة وما فيها». معنى قوله: «تجلِّي ذات وهي المكاشفة»: كشوف القلب في الدنيا، كقولِ عبدِالله بنِ عُمر: «كـنَّا نتراءَى الله في ذلك المكان»[1]. يعني في الطَّواف.

رواه ابنُ أبي الدنيا في "الأولياء" مِنْ طريق الحَسَنِ بنِ يحيَى الخُشَنِيِّ، عن صَدقَة الدِّمَشقِيِّ، عن هشامٍ الكِنانيِّ، عن أنسٍ مرفوعًا: «**وما يزال عبدي المؤمنُ يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ له سمعًا، وبصرًا، ويدًا، ومُؤَيِّدًا...**» الحديث.

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق الحَسَنِ بنِ يحيَى. وقال: «غريبٌ مِنْ حديث أنسٍ، لم يروِه عنه على هذا السياق إلَّا هشام، وعنه صَدَقة، تفرَّد به الحَسَنُ».

قلـتُ: لم يتفرَّد به الحَسنُ بنُ يَحيَى، فقد رواه البغويُّ في سورة الشورى مِنْ "تفسيره"، مِنْ طريق أبِي حفْصٍ عُمرَ بنِ سعيد الدِّمَشقيِّ، ثنا صَدقَةُ بنُ عبدِالله الدِّمَشقيُّ، ثنا هشامُ الكِنانِيُّ، عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه مرفوعًا به (*).

(١) قوله: كقولِ عبدِالله بنِ عُمر: «كـنَّا نتراءَى الله في ذلك المكان».

تقدَّم في الباب الخمسين [ص: ٢٣٧].

(*) وقد حرَّرتُ الكلامَ على سند الحديثِ في جزءٍ سميتُهُ: "إظهار ما كان خفيًّا مِن كلام الذهبي في حديث مَنْ عادى لي وليًّا"، ثُمَّ لخصتُه في آخر سميتُه: "إثباتُ المزية" وهو مطبوعٌ. (المؤلف).

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اعبُدِ اللهَ كأنَّك تراه**»[1]. وكشوف العيان في الآخرة.

ومعنى قوله: «تجلِّي صفات الذات وهي موضع النور»: هو أن تتجلَّى له قدرته عليه فلا يخاف غيره، وكفايته له فلا يرجو سواه، وكذلك جميع الصفات، كما قال حارثة: «كأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا»[2]. كأنه تجلَّى له كلامه في أخباره، فصار الخبر له كالمعاينة. و«تجلِّي حكم الذات» يكون في الآخرة فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السَّعير.

قال بعض الكبار: «علامة تجلِّي الحقِّ للأسرار هو أن لا يشهد السرُّ ما يتسلَّط عليه التَّعبير، أو يحويه الفهم، فمن عبَّر أو فهم فهو خاطر استدلالٍ، لا ناظر إجلالٍ».

معناه: أن يشهد ما لا يمكنه العبارة عنه، أي: التعبير عنه؛ لأنه لا يشهد إلَّا تعظيمًا وهيبةً، فيمنعه ذلك عن تحصيل ما شاهد من الحال.

وأنشدونا لبعضهم:

إذا مـــا بَـــدَتْ لي تَعاظَمتُهـــا ... فأَصْـــدُرُ في حـــالِ مَـــنْ لَمْ يَـــرِدْ

أجِـــدُهُ إذا غِبْـــتُ عَنِّـــي بِـــهِ ... وأشْـــهَدُ وَجْـدِي لَـــهُ قـــد فُقِـــدْ

فـــلا الوصـــلُ يُشـــهدني غـــيره ... ولا أنـــا أشْـــهَدُهُ مُنْفَـــرِدْ

جُمِعْـــتُ وفُرِّقْـــتُ عِنِّـــي بـــه ... فَفَـــرْدُ التَّواصـــلِ مَثْنـــى العَـــدَدْ

---

(١) حديث: «**اعبُدِ اللهَ كأنَّك تراه**».

تقدَّم في البابِ الخمسينَ [ص: ٢٣٧].

(٢) قوله: كما قال حارثة: «كأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا».

تقدَّم [ص: ٦٥].

معناه: إذا بدت الحقيقة غَلَبَ عليَّ التعظيم، فأَغيبُ في شاهد التعظيم عن شُهُود التَّحصيل، فأكون كمن لم يُبْدَ له، وإنما يكون وجودي له إذا غِبتُ عنِّي، وإذا غِبتُ فُقِدَ وجودي، فحالة الوصل الذي هو فنائي عنِّي لا يشهدني غيره، وحالة الانفراد وقيامي بصفتي يُغيِّبني عن شهوده، فكأن جمعي به فرَّقني عنِّي، فيكون حالة الوصل: هو أن يكون الله عزَّ وجلَّ مُصرِّفي، فلا أكون أنا في أفعالي، فهو الله تعالى لا أنا، كما قال الله تعالى لنبيِّه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، وهذا لسان الحال.

ولسان العلم: أنَّ الله مُصرِّفي وأنا به مُتصرِّف، فيكون المعبود والعبد.

وقال بعضهم: التجلِّي: رفع حَجْبة البَشَريَّة، لا أن تَتَلوَّن ذاتُ الحقِّ جلَّ وعزَّ عن ذلك وعَلَا. والاستتار: أن تكون البشريَّة حائلةٌ بينك وبين شهود الغيب.

ومعنى «رفع حَجْبة البشريَّة»: أن يكون الله تعالى يُقيمك تحت موارد ما يبدو لك من الغيب؛ لأنَّ البشريَّة لا تُقاوِم أحوالَ الغيب.

والاستتار الذي يَعقُب التجلِّي: هو أن تَسْتتر الأشياء عنك فلا تُشاهدها، كقول عبدالله بن عمر -للذي سلَّم عليه وهو في الطَّواف فلم يرد عليه فشكاه- فقال: «إنَّا كنَّا نَتَراءَى اللهَ في ذلك المكان»[1]. أخبر عن تجلِّي الحق له بقوله: «كنَّا نتراءى الله». وأخبر عن الاستتار بغيبته عن التَّسليم عليه.

وأنشدونا لبعض الكبار:

سَرائــرُ الحــقِّ لا تبــدو لِمُحتَجِــبٍ ... أخفــاه عنــك فــلا تُعــرِضْ لِمُخْفيــه

لا تُعْــن نفسَــكَ فــيما لســتَ تُدركُــهُ ... حاشــا الحقيقــةِ أن تَبْــدو فتُؤوِيــه

(١) قوله: كقول عبدِالله بنِ عُمر للذي سَلَّم عليه وهو في الطَّواف فلم يَرُد عليه.

تقدَّم: [ص: ٢٣٧].

الباب التَّاسع والخمسون

قولهم في الفَنَاء والبَقَاء

فالفناء: هو أن يَفْنى عنه الحظوظ، فلا يكون له في شيءٍ من ذلك حظٌّ، ويسقط عنه التمييز؛ فناءً عن الأشياء كلِّها شُغلًا بما فَني به، كما كما قال عامرُ بنُ عبدِالله: ما «أُبالي أَمْرأةً رأيتُ، أمْ حائطًا»(١). والحقُّ يتولَّى تصريفه، فيصرِّفه في وظائفه وموافقاته، فيكون

---

(١) قوله: كما قال عامرُ بنُ عبدِالله: «ما أُبالي أَمْرأةً رأيتُ، أمْ حائطًا».

ابنُ أبي الدنيا مِنْ طريق عامرِ بنِ يسار، سمعتُ المعلى بنَ زياد يقولُ: كان عامرُ بنُ عبدِالله دعا ربَّه أنْ يهَوِّنَ عليه الطهورَ، وسأل ربَّه أنْ ينزعَ شهوةَ النساءِ مِنْ قلبه، ففعلَ؛ فكان لا يبالي مَنْ لقيَ أَذكَـر أَمْ أنثى.

ورواه البيهقي في "الزهد":أخبرنا أبو عبدِالله الحافظُ: ثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سليمانَ الفقيهُ، قال: قُرِىء على الحسنِ بنِ مكرمٍ وأنا أسمعُ: ثنا يزيدُ بنُ هارونَ: أنا هشام، عن الحسنِ قال: قالَ عامرُ بنُ عبدِ قَيسٍ: «العيشُ في أربعٍ: اللباسُ، والطعامُ، والنومُ، والنساءُ. فواللهِ لا أبالي أمرأة رأيتُ أو جدار».

ورواه أحمدُ في "الزهد": حدثنا عَمرُو بنُ عاصمٍ الكلابيُّ، قال: الصباحُ بنُ أبي عُبَيدةَ العنبريُّ: حدثني شيخٌ منَّا قال: صحبتُ عامرَ بنَ عبدِ القيسِ قال: «سألتُ اللهَ أَنْ يُذهِبَ حبَّ النساءِ مِنْ قلبي، فوالله ما أبالي أمرأة رأيتُ أو حائطاً».

ورواه مِن طريق روْحِ، عن هشام، عن الحَسَنِ، أَنَّ عامرَ بنَ عبدِ قَيسٍ قال: «إني وجدتُ عيش الناسِ في أربع: في النساء، والطعام، واللباس، والنوم؛ أَمَّا النساء فوالله ما أبالي أمرأة رأيتُ أو جدارًا».

محفوظًا فيما لله عليه، مأخوذًا عمَّا له وعن جميع المُخالفات، فلا يكون له إليها سبيلٌ، وهو العصمة، وذلك معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كنتُ له سمعًا وبصرًا**»[1] الخبر.

والبقاء الذي يعقبه: هو أن يَفْنى عمَّا له ويَبْقى بما لله.

قال بعض الكبار: البقاء مقام النبيين، أُلبسوا السَّكِينة، لا يمنعهم ما حلَّ بهم عن فَرْضِهِ، ولا عن فَضْلِهِ. ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤].

والباقي: هو أن تصير الأشياء كلها له شيئًا واحدًا، فتكون كلُّ حركاته في موافقات الحقِّ دون مُخالفاته، فيكون فانيًا عن المُخالفات، باقيًا في المُوافقات.

وليس معنى «أن تصير الأشياء كلها له شيئًا واحدًا» أن تصير المخالفات له موافقات، فيكون ما نهى عنه كما أمر به! ولكن على معنى أن لا يجري عليه إلَّا ما أمر به، وما يرضاه الله تعالى دون ما يكرهه، ويفعل ما يفعل لله لا لحظٍّ له فيه في عاجل أو آجل.

وهذا معنى قولهم: «يكون فانيًا عن أوصافه باقيًا بأوصاف الحقِّ»؛ لأنَّ الله تعالى إنما يفعل الأشياء لغيره لا له، لأنه لا يَجُرُّ به نفعًا ولا يدفع به ضرًّا - تعالى الله عن ذلك- وإنما يفعل الأشياء لينفع الأغيار أو يضرّهم.

فالباقي بالحقِّ الفاني عن نفسه: يفعل الأشياء لا لِجَرِّ منفعةٍ إلى نفسه، ولا لدفع مضرَّةٍ عنها، بل على معنى: أنه لا يقصد في فعله جَرَّ المنفعة ودفع المضرَّة؛ قد سقطت عنه حظوظ نفسه ومطالبة منافعها، بمعنى: القصد والنية، ولا بمعنى أنه لا يجد حظًّا فيما يعمل ممَّا لله عليه يفعله لله، لا لِطَمَع ثوابٍ، ولا لخوف عقابٍ، وهما -أعني الخوف

---

(١) حديث: «**كنتُ له سمعًا وبصرًا**».

تقدَّم [ص: ٢٦٢].

والطمع- باقيان معه قائمان فيه، غير أنه يرغب في ثواب الله لموافقة الله تعالى؛ لأنه رغَّب فيه، وأمر أن يسأل ذلك منه، ولا يفعله للذَّة نفسه، ويخاف عقابه إجلالًا له، وموافقة له؛ لأنه خَوَّفَ عباده، ويفعل سائر الحركات لحظِّ الغير لا لحظِّ نفسه، كما قيل: «المؤمنُ يَأكُلُ بشهوة عِياله».

أنشدونا لبعضهم:

أفنَاهُ عن حَظِّه فيما ألَمَّ به ... فظَلَّ يُبْقِيْهِ في رَسْمٍ ليُبدِيهِ

ليأخذ الرَّسمَ عن رَسْمٍ يُكاشِفُهُ ... والسِّرُّ يَطْفَحُ عن حقٍّ يُراعِيهِ

فجملة الفناء والبقاء أن يفنى عن حظوظه، ويبقى بحظوظ غيره.

فمن الفناء فناءٌ عن شهود المخالفات والحركات بها قصدًا وعزمًا، وبقاءٌ في شهود الموافقات والحركات بها قصدًا وفعلًا، وفناءٌ عن تعظيم ما سوى الله، وبقاءٌ في تعظيم الله تعالى.

ومن فناء تعظيم ما سوى الله: حديث أَبِي حازِمٍ قال: «ما الدنيا؟ أمَّا ما مضَى فأحلامٌ، وأمَّا ما بَقِيَ فأمانيٌّ وغرورٌ. وما الشَّيطانُ حتى يُهابَ منه؟! ولقد أُطِيعَ فما نفع، وعُصِيَ فما ضَرَّ»[1]، فكان كأنه لا دنيا عنده ولا شيطان.

---

(١) قوله: حديث أَبِي حازِمٍ قال: «ما الدنيا؟ أمَّا ما مضَى فأحلامٌ، وأمَّا ما بَقِيَ فأمانيٌّ وغرورٌ. وما الشَّيطانُ حتى يُهابَ منه؟ ولقد أُطِيعَ فما نفع، وعُصِيَ فما ضَرَّ».

أبو نعيمٍ في "الحلية": حدَّثنا أبو بكر بنُ مالكٍ: ثنا عبدُالله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ: ثنا هارون بنُ معروفٍ: ثنا ضَمرَةُ، عن ثوابةَ بنِ رافعٍ، قال: قال أبو حازمٍ: «ما مَضَى مِنَ الدُّنيا فحلمٌ، وما بَقِيَ فأمانيٌّ».

ومن فناء الحظوظ: حديث عبدالله بنِ مسعودٍ حيث قال: «ما علِمتُ أنَّ في أصحاب محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَنْ يريد الدنيا حتى قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]»[(١)]. فكان فانيًا عن إرادة الدنيا.

ومن ذلك حديث حارثة: قال: «**عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا؛ فكأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا**»[(٢)]. فني عن العاجلة بالآجلة، وعن الأغيار بالجبَّار.

وقال أيضًا: حدَّثنا أحمدُ بنُ جعفر بنِ حمدان: ثنا عبدُالله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ: ثنا هارونُ بنُ معروفٍ، والوليدُ بنُ شجاعٍ، قالا: ثنا ضَمرةُ، عن ثوابة بنَ رافعٍ، قال: قال أبو حازمٍ: وما إبليسُ؟ والله لقد عُصِيَ فما ضَرَّ، ولقد أُطِيعَ فما نَفَعَ.

قلتُ: أبو حازمٍ هذا هو سلمةُ بنُ دينارٍ، وروَى أبو نعيمٍ هذه الأقوالَ في ترجمته مِنَ "الحِلية".

(١) قوله: حديث عبدِالله بنِ مسعود: ما علِمتُ أنَّ في أصحاب محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَنْ يريد الدنيا حتى قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

أحمد، والطبرانيُّ، قال الهيثميُّ: «ورجال الطبرانيِّ ثقاتٌ».

ورواه ابنُ مَرْدَويه في "تفسيره" مِنْ غير وجهٍ عنه، وعن عبدِالرحمن بنِ عوفٍ، وأبي طلحة رضي الله عنهم.

(٢) حديث حارثة: «عَزَفَتْ نفسي عن الدنيا؛ فكأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا».

تقدَّم [ص: ٦٥].

حديث عبدِالله بنِ عُمر: سَلـَّمَ عليه إنسانٌ وهو في الطواف، فسلـَّم، فلم يرد عليه، وشكاه إلى بعضِ أصحابه، فقال عبدُالله: «إنَّا كنَّا نتراءى الله في ذلك المكان»[1].

ومنها: حديثُ عامِرِ بنِ عبدِ القيس: «لَأنْ تَختلفَ الأسِـنَّةُ أحبُّ إليَّ مِنْ أجِدَ ما تذكرون -يعني في الصَّلاة-حتى قال الحسنُ: ما اصطنع الله ذلك عندنا»[2].

وفناء: هو الغيبة عن الأشياء رأسًا، كما كان فناء موسى عليه السَّلام حين تجلَّى ربُّه للجبل، فخرَّ موسى صَعِقًا، فلم يخبر في الثاني من حاله عن حاله، ولا أخبر عنه مغيبه به عنها.

وقال أبو سعيدٍ الخرَّاز: «علامة الفاني: ذهاب حظِّه من الدنيا والآخرة إلَّا من الله تعالى، ثُمَّ يبدو بادٍ من قدرة الله تعالى فيريه ذهاب حظِّه من الله تعالى إجلالًا لله، ثُمَّ يبدو

---

(١) حديث عبدِالله بنِ عُمر: سَلـَّمَ عليه إنسانٌ وهو في الطواف، فسلـَّم، فلم يرد عليه، وشكاه إلى بعضِ أصحابه، فقال عبدُالله: إنَّا كنَّا نتراءى الله في ذلك المكان.

تقدَّم: [ص: ٢٣٨].

(٢) قوله: حديثُ عامِرِ بنِ عبدِ القيس: لَأنْ تَختلفَ الأسِـنَّةُ أحبُّ إليَّ مِنْ أجِدَ ما تذكرون- يعني في الصلاة - حتى قال الحسنُ: ما اصطنع الله ذلك عندنا.

أبو نعيم في "الحلية": حدثنا أحمدُ بنُ جعفر بنِ حمدان: ثنا عبدُالله بنُ أحمدَ: حدثني عبدُالجبار بنُ محمدِ: ثنا عبدُالأعلى، عن هشام، عن الحسن قال: سمعهم عامرُ بنُ عبدِ القيس وما يذكرونه مِن أمرِ الضيعه في الصلاة، قال: أتجدونه؟ قالوا: نعم؛ قال: واللهِ لَأَنْ تختلفَ الأسنَّةُ في جوفي أَحَبُّ إليَّ مِنْ يكونَ هذا مني في صلاتي.

ورواه أحمدُ في "الزهد" مِنْ طريق عبدِالجبارِ ابنِ محمَّدٍ.

له بادٍ من الله تعالى فيريه ذهاب حظِّه من رؤية ذهاب حظِّه ويبقى رؤية ما كان من الله لله، ويتفرَّد الواحد الصَّمد في أحديته فلا يكون لغير الله مع الله فناءٌ ولا بقاءٌ».

معنى ذهاب حظِّه من الدنيا: مطالبة الأعراض، ومن الآخرة: مطالبة الأعواض، فيبقى حظُّه «من الله» وهو: رضاه عنه، وقربه منه، ثُمَّ يرد عليه حالة من إجلال الله تعالى أن يُقرِّب مثله، أو يرضى عن مثله؛ استحقارًا لنفسه وإجلالًا لربِّه، ثُمَّ تُردُّ عليه حالة فيستوفيه حق الله تعالى فيغيبه عن رؤية صفته -التي هي رؤية ذهاب حظِّه- فلا يبقى فيه إلَّا ما مِن الله إليه، ويفنى عنه ما منه إلى الله، فيكون كما كان إذ كان في علم الله تعالى قبل أن يوجده، وسبق له منه ما سبق من غير فعلٍ كان منه.

وعبارةٌ أخرى عن الفناء: أنَّ الفَناء هو الغيبة عن صفات البشرية بالحمل المولَّه من نعوت الإلهية، وهو: أن يفنى عنه أوصاف البشرية التي هي الجهل والظلم، لقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومن أوصافه: الكَنُود، والكَفُور، وكلُّ صفةٍ ذميمةٍ تفنى عنه، بمعنى: أن يغلب علمه جهله، وعدله ظلمه، وشكره كُفرانه، وأمثالها.

قال أبو القاسم فارس: «الفناء: حال من لا يَشْهدُ صِفته، بل يشهدها مغمورةً بمُغيِّبها».

وقال: «فناء البشرية ليس على معنى عدمها، بل على معنى أن تُغمد بلذَّةٍ تُوفِي على رؤية الألم، واللذَّة الجارية على العبد في الحال كَصَوَاحِباتِ يوسفَ عليه السَّلام قطَّعن أيديهنَّ لفناء أوصافهنَّ، ولِمَا وَرَدَ على أسرارهنَّ من لذَّة النَّظر إلى يوسفَ ممَّا غَيَّبهنَّ عن أَلَمِ ما دَخَلَ عليهنَّ من قَطْعِ أيديهنَّ». ولبعض أهل العصر:

غابــتْ صِــفاتُ القاطِعــاتِ أكُفِّهــا ... في شــاهِدٍ هــو في البريَّــة أبْــدَعُ

ففَنــينَ عــن أوصــافهنَّ فلــم يكــنْ ... مِــنْ نَعْــتِهِنَّ تلَــذُّذٌ وتَوَجُّــعُ

وقِيــام إمْــرأةِ العزيــزِ بيُوســفٍ ... يــدَ نفْسِـهِ مــا كــان يوســفُ يقطــعُ

وأنشدونا في الفناء:

ذَكَرْنا وما كنَّا لنَنْسى فنَذْكُرُ ولكن نَسيمَ القُرْبِ يَبدو فيَبهَرُ

فأفْنى به عنِّي وأبقى به له إذا الحَقُّ عنه مُخبرٌ ومُعبِّرُ

ومنهم من جعل هذه الأحوال كلها حالًا واحدةً وإن اختلفت عباراتها، فجعل الفناء بقاء، والجمع تفرقة، وكذلك الغيبة والشهود والسُّكر والصَّحو؛ وذلك أنَّ الفاني عمَّا له باقٍ بما للحقِّ، والباقي بما للحقِّ فانٍ عمَّا له، والمُفارق مجموعٌ لأنه لا يشهد إلَّا الحقَّ، والمجموع مفارقٌ لأنه لا يشهد إيَّاه ولا الخلق، وهو باقٍ لدوامه مع الحقِّ، وهو جامعه به، وهو فانٍ عمَّا سِواه مفارقٌ لهم، وهو غائبٌ سكرانٌ لزوال التمييز عنه.

ومعنى زوال التمييز عنه: هو ما قلناه بين الآلام والملاذِّ، وبمعنى: أنَّ الأشياء تتوحَّد له فلا يشهد مخالفةً؛ إذ لا يصرِّفه الحقُّ إلَّا في موافقاته، وإنما تميز بين الشيء وغيره، فإذا صارت الأشياء شيئًا واحدًا سقط التمييز.

وعبَّر جماعةٌ عن الفناء بأن قالوا: يؤخذ العبد من كلِّ رسمٍ كان له، وعن كلِّ مرسومٍ، فيبقى في وقته بلا بقاءٍ يعلمه، ولا فناءٍ يشعر به، ولا وقتٍ يقف عليه، بل يكون خالقه عالمًا ببقائه وفنائه ووقته، وهو حافظٌ له عن كلِّ مذمومٍ.

واختلفوا في الفاني، هل يُرَدُّ إلى بقاء الأوصاف أم لا؟

قال بعضهم: يردُّ الفاني إلى بقاء الأوصاف، وحالة الفناء لا تكون على الدوام؛ لأنَّ دوامها يوجب تعطيل الجوارح عن أداء المفروضات، وعن حركتها في أمور معاشها ومعادها.

ولأبي العباس بن عطاءٍ في ذلك كتابٌ سمَّاه: "كتاب عودة الصِّفات وبدئها".

وأمَّا الكبار منهم والمحقِّقون: فلم يروا ردَّ الفاني إلى بقاء الأوصاف، منهم: الجنيد، والخرَّاز، والنوريُّ، وغيرهم.

فالفناء فضلٌ من الله عزَّ وجلَّ، وموهبةٌ للعبد، وإكرامٌ منه له، واختصاصٌ له به. وليس هو من الأفعال المكتسبة، وإنما هو شيءٌ يفعله الله عزَّ وجلَّ بمن اختصَّه لنفسه واصطنعه له، فلو ردَّه إلى صفته كان في ذلك سلب ما أعطى، واسترجاع ما وهب وهذا غير لائقٍ بالله عزَّ وجلَّ.

أو يكون من جهة البَدَاءِ، والبداء صفة من استفاد العلم، وهذا من الله عزَّ وجلَّ منفيٌّ.

أو يكون ذلك غرورًا وخداعًا، والله تعالى لا يوصف بالغرور، ولا يُخادع المؤمنين، وإنما يُخادع المنافقين والكافرين.

وليس مقام الفناء يُدرَكُ بالاكتساب فيجوز أن يكتسب ضده؛ فإن عُورض بالإيمان والرجوع عنه، وهو أفضل المراتب، وبه يدرك جميع المقامات، أُجيب عنه:

أنَّ الإيمان الذي يجوز الرجوع عنه: هو الذي اكتسبه العبد من إقرار لسانه والعمل بأركانه ولم يُخامر الإيمان حقيقة سرِّه لا من قبل الشهود، ولا من صحة العقود، لكنه أقرَّ بشيءٍ وهو لا يدري حقيقة ما أقرَّ به، كما جاء في الحديث: «**إنَّ المَلَك يأتي العبدَ إذا وُضِعَ في لَحدِه، فيقول: ما قولُكَ في هذا الرجل؟ فيقول: سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقُـلتُه**»[1]. فهذا شاكٌّ غير مُتقِن.

---

(١) حديث: «**إنَّ المَلَك يأتي العبدَ إذا وُضِعَ في لَحدِه، فيقول: ما قولُكَ في هذا الرجل؟ فيقول: سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقُـلتُه**».

البخاريُّ مِنْ طريقِ سعيـدٍ، ومسلمٌ مِنْ طريق شَيْبانَ بنِ عبدِالرحمن، كِلاهما عن قتادة، عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّه حدَّثهم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ

أو يكون أقرَّ بلسانه وانطوى على تكذيبه، كالمنافق الذي أقرَّ بلسانه وكذَّبه بقلبه واضمر خلافه، ولكنه أقرَّ بلسانه ولم يكذِّبه بقلبه ولا اضمر خلافه، ولكن لم يقع له صحَّة ما أقرَّ به اكتسابًا ولا مشاهدةً، ولم يكتسب تحقيقه من جهة العلم فتقوم له الدلائل على صحَّته، ولا شاهَدَ بقلبه حالًا أزال عنه الشُّكوك، وقد سبق له من الله الشَّقاء، فاعترضتْ له شبهةٌ من خاطرٍ أو ناظرٍ ففتنته، فانتقل عنه إلى ضدِّه.

فأمَّا من سبق له من الله الحسنى فإنَّ الشُّبهات لا تقع له، والعوارض تزول عنه، إمَّا اكتسابًا من علم الكتاب والسُّنَّة ودلائل العقل، فيزيل خواطر السُّوء عنه وتُردُّ شُبهات النَّاظر له؛ إذ لا يجوز أن يكون لما خالف الحقَّ دلائل الحقِّ، فهذا لا تعترضه الشُّكوك.

أو يكون ممَّن قد وقع له صحَّة الإيمان، ويردُّ الله تعالى عنه خواطر السُّوء باعتصامه بالجملة، ويردُّ عنه الله النَّاظر المشكِّك له لُطْفًا به فلا يُقابله، فيسلم له صحة إيمانه وإن لم يكن عنده من البيان ما يحتاج مُناظرة ناظره، ولا ما يُزيل خاطره.

العبدَ إذا وُضِعَ في قبره وتَوَلَّى عنه أصحابُه وإنَّه ليَسمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِم، أتاه مَلَكَان فيُقْعِدَانِهِ، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرَّجل، لِمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فأَمَّا المؤمنُ؛ فيقول: أشهدُ أنَّه عبدُ الله ورسولُه، فيُقال له: انظُرْ إلى مَقعَدِكَ مِنَ النَّار قد أبْدَلكَ الله به مَقعَدًا مِنَ الجنَّة، فيراهما جميعًا».

قال قتادة: وذكر لنا أنَّه يُفسَحُ له في قبره، ثُمَّ رَجَعَ إلى حديث أنسٍ قال: «**وأمَّا المُنافِق، والكافرُ، فيُقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجل؟ فيقول: لا أدرِي كنتُ أقول ما يقول النَّاسُ؛ فيُقال: لا دَرَيْتَ ولا تَليتَ، ويُضرَبُ بمَطَارِقَ مِنْ حديدٍ ضربةً؛ فيَصيحُ صَيحَةً يَسمَعُها مَنْ يَلِيه، غير الثَّقَلَين**». وهذا لفظُ سعيدٍ

أو يكون ممَّن وقع له صحَّة ما أقرَّبه شُهودًا أو كُشوفًا، كما أخبر حارثة عن نفسه[1] من شهوده ما أقرَّ به، حتى حَلَّ ما غاب عنه من ذلك محلَّ ما حضر وأكثر؛ لأنه أخبر أنه عَزَفَ عن الشَّاهد فصار الغيب له شُهُودًا، والشَّاهد غائبًا، كما قال الداراني: «انفتحت عيون قلوبهم فانطبقت عيون رؤوسهم».

فمن وقع له صحَّة ما أقرَّ به من هذه الجهة لم يرجع عن الآخرة إلى الدنيا، ولا ترك الأولى للأدنى، وهذا كلُّه أسباب العصمة من الله له، وتصديق ما وعد بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فقد صحَّ أنَّ المؤمن الحقيقي لا ينتقل عن الإيمان؛ لأنه موهبةٌ له من الله عزَّ وجلَّ وعطاءٌ وفضلٌ واختصاصٌ، وحاشا الحق عزَّ وجلَّ أن يرجع فيما وهب، أو يستردَّ ما أعطى.

وصورة الإيمان الحقيقي والرسمي في الظاهر صورةٌ واحدةٌ، وحقائقها مختلفةٌ، فأمَّا الفناء وغيره من مقامات الاختصاص فإنَّ صُورها مختلفةٌ وحقائقها واحدةٌ؛ لأنها ليست من جهة الاكتساب، لكن من جهة الفضل.

وقول من قال: إنَّ الفاني يردُّ إلى أوصافه مُحالٌ؛ لأنَّ القائل إذ أقَرَّ بأن الله تعالى اختصَّ عبدًا واصطنعه لنفسه، ثُمَّ قال إنَّه يرده، فكأنه قال: يختصُّ ما لا يختصُّ، ويصطنع ما لا يصطنع، وهذا محالٌ.

---

(١) حديث حارثة.

تقدَّم [ص: ٦٥].

وجوازه من جهة التربية والحفظ عن الفتنة لا يصح أيضا؛ لأنَّ الله تعالى لا يحفظ على العبد ما آتاه من جهة السَّلب، ولا بأن يرده إلى الأوضع عن الأرفع؛ ولو جاز هذا جاز أن لا يحفظ مواضع الفتن من الأنبياء، بأن يردهم من رتبة النبوة إلى رتبة الولاية، أو ما دونها، وهذا غير جائزٍ.

ولطائف الله تعالى في عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه من الفتنة أكثر من أن تقع تحت الإحصاء والعدِّ، وقدرته أتمُّ من أن تحصر على فعلٍ دون غيره.

فإن عُورض بالذي آتاه آياته ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] لم يعترض؛ لأنَّ الذي انسلخ لم يكن قطُّ شاهدَ حالًا، ولا وجد مقامًا، ولا كان مُختصًّا قطُّ، ولا مُصطنعًا، بل كان مُستدرَجًا مخدوعًا مَمكورًا به، وإنما أجرى على ظاهره من أعلام المختصِّين، وهو في الحقيقة من المردودين، وإنما حَلَّى ظاهره بالوظائف الحسنة والأوراد الزكية، وهو أعمى القلب محجوب السرِّ، لم يجد قطُّ طعم الخصوص، ولا ذاق لذَّة الإيمان، ولا عرف الله قطُّ من جهة الشُّهود، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥]، وكما أخبر عن إبليس بقوله: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

قال الجنيد: «إنَّ إبليس لم ينل مُشاهدَتَه في طاعته، وآدم لم يَفْقد مُشاهدَتَه في معصيته».

وقال أبو سليمان: «والله ما رجع من رجع إلَّا من الطريق، ولو وصلوا إليه ما رجعوا عنه».

والفاني يكون محفوظًا في وظائف الحقِّ، كما قال الجنيد وقيل له: إنَّ أبا الحسين النوريَّ قائمٌ في مسجد الشونيزي منذ أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، وهو يقول: الله الله، ويُصلِّي الصلوات لأوقاتها؟! فقال بعض من حضره: إنه صاح، فقال الجنيد : «لا، ولكنَّ

أرباب المواجيد محفوظون بين يدي الله في مواجيدهم، فإن رُدَّ الفاني إلى الأوصاف لم يُردّ إلى أوصاف نفسه، ولكن يُقام مقام البقاء بأوصاف الحقِّ».

وليس الفاني بالصَّعِقِ ولا المَعْتُوه ولا الزَّائل عنه أوصاف البشرية فيصير مَلَكًا أو رُوحانيًّا، ولكنه ممن فَنِي عن شهود حظوظه كما أخبرنا قبل.

والفاني أحد عينين: إمَّا عين لم ينصب إمامًا ولا قدوةً، فيجوز أن يكون فناؤه غيبةً عن أوصافه، فيُرى بعين العَتاهة وزوال العقل؛ لزوال تمييزه في مرافق نفسه وطلب حظوظه، وهو على ذلك محفوظٌ في وظائف الحقِّ عليه.

وقد كان في الأمَّة منهم كثيرٌ: منهم هلالٌ الحَبَشيُّ، عبدٌ كان للمغيرةِ بنِ شُعبة في حياة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، نبَّه عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[1].

---

(١) قوله: منهم هلالٌ الحَبَشيُّ، عبدٌ كان للمغيرةِ بنِ شُعبة في حياة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، نبَّه عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق يوسف بنِ الخَشَّابِ، عن عطاءٍ الخُرَاسَانيِّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَيَدخُلَنَّ مِنْ هذا الباب رجلٌ يَـنظرُ اللهُ إليه**»، قال: فدخل يعني هِلالًا فقال له: «**صَلِّ عليَّ يا هِلَالُ** »، فقال: ما أحبَّك على الله وما أكرمك عليه. قال الحافظ رحمه الله ورضي الله عنه في "الإصابة": «وسنده ضعيفٌ، ومنقطعٌ».

ورواه مِنْ طريق الضَّحَّاكِ بنِ مُزاحِمٍ، عن أبي هريرة، لكن لم يُسمِّ هلالًا، قال: بينَا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حلقةٍ مِنْ أصحابه إذ قال: «**لَيُصَلِّيَنَّ معكم غدًا رجلٌ مِنْ أهلِ الجنَّة**» قال أبو هريرة: فطمِعْتُ أنْ أكون أنا ذلك الرَّجُل. فغَدَوتُ فصَلَّيتُ خَلْفَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأقمتُ في المسجد حتَّى انصرفَ النَّاسُ وبقيتُ أنا وهو، فبينا

وأُوَيْسُ القَرَنِيُّ في أيام عمرَ بنِ الخطَّاب، نبَّه عليه عمرُ وعلِيٌّ رضي الله عنهما[1]، وخلقٌ كثيرٌ... إلى أن كان عَلْيان المجنون، وسَعْدُون، وغيرهما.

نحن عنده إذ أقبلَ رجلٌ أسود مُتَّزِرٌ بخِرقَةٍ، مُرْتَدٍ بِرُقعَةٍ، فجاء حتَّى وضَعَ يده في يَدِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ قال: يا نبيَّ الله، ادعُ اللهَ لي. فدعا النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له بالشَّهادة، وإنَّا لنَجِدُ منه رِيحَ المسك الأذْفَر. فقلتُ: يا رسول الله أهو هو؟ قال: «**نعم، إنَّه لَمَمْلُوكٌ لِبَنِي فُلانٍ**» قلتُ: أفلا تَشتَرِيهِ فتُعتِقُهُ يا نَبيَّ الله؟ قال: «**وأَنَّى لي ذلك، إنْ كان الله تعالى يُرِيدُ أنْ يَجعَلَهُ مِنْ مُلُوكِ الجنَّة، يا أبا هريرة: إنَّ لأهْلِ الجنَّة مُلُوكًا وَسَادةً، وإنَّ هذا الأسوَدَ أصبح مِنْ مُلُوكِ الجَنَّةِ وسَادَتِهم...**» الحديث.

ورواه الحكيمُ الترمذيُّ في "نوادر الأصول" في الأصل الخامس والعشرين بعد المائة مِنْ طريق يحيَى بنِ أبِي طلحة، عن أبي الدرداء، قال: كنتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد، فقال: يدخل مِنْ هذا الباب رجلٌ مِنْ أهل الجنَّة، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصَّلاة، فخرجتُ مِنْ ذلك الباب فلم أرَ أحدًا، فعُدتُ ودخلتُ وقعدتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**أمَا إنَّكَ لستَ بِه يا أبا الدرداء**»، ثُمَّ جاء رجلٌ حبشيٌّ، فدخل مِنْ ذلك الباب وعليه جُـبَّةٌ مِنْ صوفٍ فيها رقاعٌ مِنْ أُدْمٍ، رامقاً بطرفه إلى السماء، حتى قام على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسلَّمَ عليه، فقال له: «**كيف أنت يا هلال؟**». قال: بخيرٍ يا رسول الله، قال: «**ادعُ لنا يا هلال واستغفِـرْ لنا**». قال: رضيَ الله عنك وغفَـرَ لك يا رسولَ الله...» الحديث.

(١) قوله: وأُوَيْسُ القَرَنِيُّ في أيام عمرَ بنِ الخطَّاب، نبَّه عليه عمرُ وعلِيٌّ رضي الله عنهما.

مسلمٌ في "صحيحه" مِنْ طريق هاشِمِ بنِ القاسم: نا سليمانُ بنُ المغيرة: ثني سعيدٌ الجريريُّ، عن أبي نضرة، عن أُسَيْرِ بنِ جابرٍ: أنَّ أهل الكوفة وفَـدوا على عُمرَ وفيهم رجلٌ مِمَّن

كان يَسخرُ بأويْسٍ. فقال عمر: هل ههنا أحدٌ مِنَ القَرَنيِّين؟ فجاء ذلك الرجل، فقال عمرُ: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قال: «**إنَّ رجلاً يأتيكم مِنَ اليمن يُقال له أُوَيسٌ، لا يَدَعُ باليمن غيرَ أمٍّ له، قد كان به بياضٌ فدعا الله فأذهبه عنه، إلَّا مَوضِع الدينار أو الدرهم، فمَنْ لقِـيَهُ منكم فليَستَغْـفِرْ لكم**».

ورواه مِنْ طريق حمَّادَ بنِ سلمة، عن سعيدٍ الجريريِّ بهذا الإسناد، عن عمر بن الخطَّاب قال: إنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ خير التابعين رجلٌ يُقال له أوَيْسٌ، وله والدةٌ، وكان به بياضٌ. فـمُرُوه فليَستغْـفِرْ لكم**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريق أَبِي النَّضْرِ: ثنا سليمانُ بنُ المغيرة، عن سعيدٍ الجُرَيرِيِّ، عن أَبِي نَضْرَةَ، عن أُسَيْرِ بنِ جابرٍ، قال: كان مُحَدِّثٌ بالكوفة يُحَدِّثُنا، فإذا فَرَغَ من حديثه يقول: تفرَّقوا ويَـبقى رهطٌ فيهم رجلٌ يتكلَّم بكلامٍ لا أسمع أحدًا يتكلَّم بكلامه؛ فأحببتُـه، ففقـدتُه، فقلتُ لأصحابي: هل تعرفون رجلًا كان يُجالسنا كذا وكذا؟ فقال رجلٌ من القوم: نعم أنا أعرفه، ذاك أويسٌ القَرَنيُّ. قلتُ: أفـتعرفُ منزلَه؟ قال: نعم، فانطلقتُ معه حتَّى جئتُ حُجرتَه فخرج إليَّ، فقلتُ: يا أخي ما حبَسَك عنَّا؟ قال: العُرْيُ، قال: وكان أصحابه يسخرون به ويؤذونه، قال: قلتُ: خُذ هذا البُرْدَ فالبَـسْهُ. قال: لا تفعلْ فإنَّهم إذًا يؤذونَنِي إذا رأوه، قال: فلم أزل به حتَّى لَبِسَهُ فخرج عليهم، فقال: ومَنْ ترون خُدِعَ عن بُردِهِ هذا. فجاء فوضعه، فقال: أترَى؟ قال: فأتيتُ المجلس فقلت: ما تريدون مِنْ هذا الرَّجل؟ قد آذيتموه، الرجل يُعْرَى مرَّةً ويُكتسَى مرَّةً. قال: فأخذتُهم بلساني أخذًا شديدًا، قال: فقضى أنَّ أهل الكوفة وفدوا إلى عمرَ بنِ الخطَّاب فوفَـدَ رجلٌ ممَّن كان يَسخر به، فقال عُمر: هل ها هنا أحدٌ من القَرَنيِّين؟ قال: فجاء ذاك الرجل فقال: أنا. قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم قد قال: «**إنَّ رجلًا يأتيكم مِنَ اليمن يُقال له أويْسٌ، لا يَدَعُ باليمن غيرَ أمٍّ له، وقد كان به بياضٌ فدعا اللهَ تعالى فأذهبه عنه إلَّا مثل موضع الدِّينار أو الدِّرهم. فمَنْ لقِيَه منكم فمُرُوه فليَستَغفِرْ لكم**» قال: فقـدِمَ علينا، قال: فقلت: مِنْ أين؟ قال: من اليمن، قلت: ما اسمك؟ قال: أويسٌ، قال: فمَنْ تركتَ باليمن؟ قال: أمًّا لي، قال: أكان بك بياضٌ فدعوتَ اللهَ فأذهبَه عنك؟ قال: نعم، قال: فاستغفِرْ لي، قال: أَوَ يَستغفرُ مثلي لِمثلك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: فاستغفرَ له، قال: قلت: أنت أخِي لا تُفارقُني. قال: فانملس مِنِّي وأُنبِئتُ أنَّه قدِمَ عليكم الكوفة. قال: فجعل ذلك الرجلُ الذي كان يَسخر منه يَحقِرُه قال: يقول: ما هذا فينا ولا نعرفه؟ قال عُمر: بلى إنَّه رجلٌ كذا كأنَّه يضع مِنْ شأنه، قال: فينا رجلٌ يا أمير المؤمنين يقال له أويسٌ قال: أدْرِكْ ولا أراك تُدرك، فأقْبَلَ ذلك الرجل حتَّى دخل عليه قبل أن يأتي أهلَه، فقال له أويسٌ: ما هذه بعادتك فما بدا لك؟ قال: سمعتُ عمرَ يقول كذا وكذا، فاستغفرْ لي يا أويْسُ، قال: لا أفعل حتَّى تجعل لي عليك أنْ لا تسخرَ بي فيما بعد، وأنْ لا تذكـر الذي سمعتَه مِنْ عُمرَ إلى أحدٍ، فاستغفر له. قال أُسيرٌ: فما لبثنا أنْ فَشَا أمرُه بالكوفة، قال: فدخلتُ عليه فقلت: يا أخي ألا أراك العجب ونحن لا نشعر، فقال: ما كان في هذا ما أتبلَّغُ به في النَّاس، وما يُجزَى كلُّ عبدٍ إلَّا بعمله، قال: ثُمَّ انملس منهم فذهب.

ورواه مسلمٌ، وأبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق معاذ بنِ هشامٍ: حدَّثني أبي، عن قتادة، عن زُرَارةَ بنِ أوْفَى، عن أسيرِ بنِ جابرٍ، قال: كان عمرُ بنُ الخطَّاب إذا أتى عليه أمدادُ أهل اليمن سألهم: أفِيكُم أوَيْسُ بنُ عامرٍ؟ حتَّى أتى على أوَيْسٍ، فقال: أنت أويسُ بنُ عامرٍ؟ قال: نعم، قال: مِنْ مرادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: فكان بك بَرصٌ فبرأتَ منه إلَّا موضعَ درهمٍ؟ قال: نعم، قال: لك والدةٌ؟ قال: نعم، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

يقول: «**يأتي عليكم أُوَيْسُ بنُ عامِرٍ مع أمداد أهلِ اليمن، مِنْ مرادٍ ثُمَّ من قَرَنٍ، كان به برصٌ فبَرَأَ منه إلَّا موضع درهمٍ، له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أقسَمَ على الله لأبرَّه، فانْ استطعتَ أنْ يَستغـفِرَ لكَ فافعـلْ**»؛ فاستغفِـرْ لي، فاستغفـرَ له، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتبُ لك إلى عامِلها؟ قال: أكون في غبراء النَّاس أَحبُّ إليَّ. قال: فلمَّا كان مِنَ العام المقبل حجَّ رجلٌ مِنْ أشرافهم فوافق عمر، فسأله عن أويسٍ فقال: تركته رَثَّ البيت قليلَ المتاع، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: يأتي عليكم أويسُ بنُ عامرٍ مع أمداد أهل اليمن، مِنْ مرادٍ ثُمَّ من قَرَنٍ، كان به بَرصٌ فبَرَأَ منه إلَّا موضع درهمٍ، له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أقسَمَ على الله لأبرَّه، فإن استطعتَ أنْ يستغفرَ لك فافعلْ. فأتَى أويسًا، فقال: استغفرْ لي، فقال: أنت أحدثُ عهدًا بسَفَرٍ صالحٍ، فاستغفرْ لي، قال: لقيتَ عمر؟ قال: نعم، فاستغفرَ له. ففَطَـنَ له النَّاسُ، فانطلق على وجهه. قال أسيرُ: وكسوتُه بردةً، فكان كلما رآه إنسانٌ قال: مِنْ أين لأويْسٍ هذه البردة؟

ورواه أحمد في "مسنده" مِنْ طريق شَرِيكٍ، عن يَزِيدَ بن أبي زِيَادٍ، عن عبدِالرَّحمن بنِ أَبِي ليلى، قال نادى رجلٌ مِنْ أهل الشَّام يوم صِفِّين: أفيكُم أويْسٌ القَرَنيُّ؟ قالوا: نعم، قال سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: « **إنَّ مِنْ خيرِ التَّابعين أوَيْسًا القَرَنيَّ**».

ورواه جماعةٌ عن شريكٍ.

وأمَّا وصية الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمرَ وعليًّا، وتنبيههما عليه.

فرواه أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق مُجالِد بن يَزِيد، عن نوفل بن عبدِالله، عن الضَّحَّاك بن مُزَاحِمٍ، عن أبي هريرة في حديثٍ طويلٍ:

«**يا عُمر ويا عليُّ، إذا أنتما لقيتُماه فاطـلُبا إليه أنْ يستغـفرَ لكما، يغـفِر الله لكما**»، قال: فمكـثا يَطْلُبَانِه عَشرَ سنين، لا يَقدِرَان عليه. فلمَّا كان في آخر السَّنة التي هلك فيها عُمرُ في ذلك العام، قام على أبِي قُبَيْسٍ فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحَجيج مِنْ أهل اليمن، أفيكم أويسٌ مِنْ مُرَادٍ؟ فقام شيخٌ كبيرٌ طويل اللِّحية فقال: إنَّا لا ندري ما أويسٌ، ولكن ابنُ أخٍ لي يُقال له أويسٌ وهو أخملُ ذِكْرًا، وأقلُّ مالًا وأهون أمرًا مِنْ أنْ نرفعه إليك، وإنَّه ليَرعَى إبلـنا، حقيرٌ بين أظهُرِنا. فعمَّى عليه عُمرُ كأنَّه لا يريده قال: أين ابنُ أخيك هذا أبحرمنا هو؟ قال: نعم، قال: وأين يُصَابُ؟ قال: بأَرَاك عرفاتٍ. قال: فركب عُمر وعليٌّ سِرَاعًا إلى عرفاتٍ، فإذا هو قائمٌ يُصَلِّي إلى شجرةٍ والإبلُ حوله تَرعَى فَشَـدَّا حماريْهما ثُمَّ أقبلا إليه، فقالا: السَّلام عليك ورحمة الله؛ فخَفَّفَ أويسٌ الصَّلاة، ثُمَّ قال: السَّلام عليكما ورحمة الله وبركاته. قالا: مَنِ الرجل؟ قال: راعي إبلٍ وأَجِيرُ قومٍ. قالا: لسْنا نسألك عن الرِّعاية ولا عن الإجارة، ما اسمُك؟ قال: عبدُالله، قالا: قد علمنا أنَّ أهل السَّماوات والأرض كُلُّهم عبيدُ الله، فما اسمكَ الذي سَمَّتك أُمُّكَ؟ قال: يا هذان ما تُرِيدَان إليَّ؟ قالا: وصف لنا محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوَيْسًا القَرَنِيَّ فقـد عرفنا الصُّهُوبة والشُّهُولة، وأخبرَنا أنَّ تحت مَنكِبِكَ الأيسر لُمْعَةً بيضاء، فأوضِحْها لنا، فإنْ كان بك فأنت هو؛ فأوضح مَنكِبَهُ فإذا اللُّمعَةُ فابتدراه يُقَـبِّلانه قالا: نشهدُ أنَّك أويسٌ القَرَنِيُّ، فاستغفرْ لنا يَغفِرِ اللهُ لك. قال: ما أَخُصُّ باستغفاري نفسي ولا أحدًا مِنْ ولد آدم، ولكنَّه في البرِّ والبحر، في المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، يا هذان قد أشهر الله لكما حالي وعَرَّفكما أمري فمن أنتما؟ قال عليٌّ رضي الله عنه: أمَّا هذا فعُمرُ أمير المؤمنين، وأمَّا أنا فعليُّ بنُ أبي طالبٍ. فاستوى أويسٌ قائمًا وقال: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وأنت يا ابنَ أبي طالبٍ فجزاكما الله عن هذه الأمَّة خيرًا. قالا: وأنت جزاك الله عن

نفسك خيرًا، فقال له عُمرُ: مكانك - يرحمك الله - حتَّى أدخلَ مكَّة فآتيك بنفقةٍ مِنْ عطائي وفضْلِ كِسوَةٍ مِنْ ثيابي، هذا المكان مِيعَادٌ بيني وبينك. قال: يا أمير المؤمنين لا مِيعَادَ بيني وبينك، لا أَرَاك بعد اليوم تَعرِفُني، ما أصنعُ بالنَّفقة؟ ما أصنعُ بالكِسوة؟ أما ترى عليَّ ازَارًا من صُوفٍ ورداءً من صُوفٍ، متى تَرَاني أخرقُهما؟ أما ترى أنَّ نعليَّ مخصوفتان، متى تراني أبليهما؟ أما تراني أَنِّي قد أخذتُ مِنْ رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكُلُها..» الحديث.

قال أبو نعيمٍ: «تفرَّد به مجالد بن يزيد، عن نوفل، عن الضَّحَّاك».

ورواه ابنُ حبان في "الضعفاء" من طريق محمَّد بن أيوب، عن مالكٍ، عن نافع، عن ابنِ عُمر قال: بينما النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بفناء الكعبة إذ نزل عليه جبريل، فقال: «**يا محمَّد إنَّه سيخرج مِنْ أمَّتك رجلٌ يشفع فيشفَّعه الله في عدد ربيعة ومضر، فإنْ أدركتَه فاسأله الشفاعة لأمَّتك، فقال: يا جبريل ما اسمُه؟ وما صفتُه؟ فقال: أمَّا اسمُه فأوَيسٌ، وأمَّا صفته، وقبيلته فمِنَ اليمن مِنْ مرادٍ، وهو رجلٌ أصهبُ مقرونُ الحاجِبَين، أدعجُ العينين، بكفِّه اليسرى وضحٌ أبيضُ**»، فلم يزل النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يطلبه فلم يقدر عليه، فلمَّا احتضرَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوصى أبا بكر، وأخبره بما قال له جبريل في أويسٍ القَرَنيِّ، فإن أنت أدركته، فاسأله الشفاعة لك ولأمَّتي؛ فلم يزل أبو بكرٍ يطلبه فلم يقدر عليه، فلمَّا احتضر أبو بكرٍ الصدِّيق أوصى به عمرَ بنَ الخطَّاب، وأخبره بما قال له رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال: يا عمرُ إنْ أنت أدركـتَه، فاسأله الشفاعة لي ولأمَّة رسولِ الله. فلم يزل عمرُ يطلبه حتى كان آخر حَجَّة حجَّها عمر، وعليُّ بنُ أبي طالبٍ، فأتيا رفاق اليمن، فنادى عمرُ بأعلى صوته: يا معشرَ النَّاس هل فيكم أويسٌ القَرَنيُّ؟..» الحديث.

قال ابنُ حبان: «باطلٌ؛ محمَّدُ بنُ أيوب كان يضع على مالكٍ، والذي يصحُّ في أويسٍ كلماتٌ يسيرةٌ».

وذكره ابنُ الجوزيِّ في "الموضوعات" مِنْ هذا الطريق، ونقل كلام ابنِ حبان المذكور.

وقال الحافظ جلالُ الدِّين السيوطيُّ رحمه الله في "اللآلي المصنوعة": «وعندي وقفة في الحكم عليه بالوضع؛ فإنَّ له طرقًا عديدةً، فورد هكذا مُطوَّلًا مِنْ حديث أبي هريرة: أخرجه الرويانيُّ في "مسنده"، وأبو نعيمٍ في "الحلية"، وابنُ عساكر، وسنده لا بأس به. وقد سُقتُه في "جمع الجوامع" في مسند أبي هريرة، ومِنْ حديث ابن عبَّاسٍ بأخصرَ منه أخرجه ابنُ عساكر. وفي سنده نَهْشَلُ بنُ سعيد: واهٍ.

ومِنْ طريق علقمةَ بنِ مَرثد، وغيره مُطوَّلًا ومُختصرًا، وقد سُقتُ جميعَها في مسند عمر مِنْ "جمع الجوامع" ». اهـ

قلتُ: حديث محمَّد بنِ أيوب هذا عن مالكٍ في نحو ورقتين، وهو بعيدٌ عن مرويَّات مالكٍ بلا شكٍّ، لا يُتحمل عنه، ومحمَّدُ بنُ أيوب لا يقبل عنه مثل هذا عن مالكٍ؛ فمرويَّاتُ مالكٍ وأمثاله عليها مِنْ رونق المكانة التي كانوا عليها في الضبط، والتثبُّت ما يُوقِعُ الاطمئنان في نفوس أهل الحديث على أنَّها مِنْ مرويَّاتهم.

وهذا شيءٌ لا يُعرف إلَّا بعد مخالطةٍ ومثابرةٍ لهذا العلم، ولا تجده مسطورًا في الكتب بل إلهامٌ يُقدح في القلوب، ونورٌ نبويٌّ ألهمه الله لهذه الطائفة ليميزوا به هذه الدقائق التي تخفى على سائر النَّاس.

وقد يقع أنْ يَحكمَ المحدِّث على حديثٍ بحكم مِنَ الصحَّة أوالضعف، فإذا سألتَـه عن دليله في ذلك توقَّف عن الجواب؛ لأنَّه قاله عن إلهامٍ وتَـوقُّـدِ قريحةٍ؛ بسبب طول المثابرة والنظر في كتب الفنِّ، ولهذا قال الأئمَّة في هذا الشأن: معرفة الحديث إلهامٌ.

والحاصل أنَّ حديث محمَّد بنِ أيوب، عن مالكٍ في قصة أويسٍ ممَّا تركن النفس إلى وضعه على مالكٍ.

ومع أنَّهم قرَّروا أنَّ الكذَّاب قد يَصْدُق، وأنَّ خبره محتملُ الصدق والكذب، لكن في مثل هذا تقوم القرائن التي تجعل الحكم يقينًا على كذبه. لكن لو قلتَ لي أفصِحْ عن تلك القرائن، لما استطعت؛ لأنَّه شيءٌ كامنٌ في النَّفس لا يستطيع اللسانُ الإعرابَ عنه.

ولهذا قال عبدُالرحمن بنُ مهدي رضي الله عنه: «معرفة الحديث إلهامٌ، فلو قلتَ للعالم بعلل الحديث مِنْ أين قلتَ هذا؟ لم يكن له حجَّةٌ».

وقال الحاكم رحمه الله في معرفة العلل مِنْ كتابه "معرفة علوم الحديث": «أخبرني أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمَّدِ بنِ عَـبدويه الورَّاق بالرَّيِّ، ثنا محمَّدُ بنُ صالحٍ الكيلينيُّ، قال سمعتُ أبا زُرعة، وقال له رجلٌ: ما الحُجَّةُ في تعليلكم الحديث؟ قال: الحُجَّة أنْ تسألني عن حديثٍ له علَّةٌ فأذكر علَّته، ثُمَّ تقصِدُ ابنَ وارة - يعني محمَّد بنَ مسلم بنِ وارة - وتسأله عنه، ولا تخبره بأنَّك قد سألتني عنه، فيذكر عـلته، ثُمَّ تقصد أبا حاتمٍ فيُعللَه، ثُمَّ تميِّزُ كلامَ كلٍّ منَّا على ذلك الحديث. فإنْ وجدتَ بيننا خلافًا في علته، فاعلمْ أنَّ كُلًّا مِنَّا تكلَّم على مراده، وإنْ وجدتَ الكلمةَ متفقـةً فاعلمْ حقيقة هذا العلم، قال: ففعل الرجل فاتفقَتْ كلمتُهم عليه فقال: أشهد أنَّ هذا العلم إلهامٌ». والله أعلم.

أو يكون إمامًا يُقتدي به ويُربط به غيره ممن يَسُوسُه، فأُقيم مقام السياسة والتأديب، فهذا ينقل إلى حالة البقاء، فيكون تصرُّفه بأوصاف الحقِّ لا بأوصاف نفسه، والمتصرِّف بأوصاف الحقِّ هو ما ذكرناه قبل.

وسُئل الجنيد عن الفِراسة، فقال: «هي مُصادفة الإصابة». فقيل له: هي للمُتفرِّس في وقت المصادفة أو على الأوقات؟ قال: «لا، بل على الأوقات لأنها موهبةٌ، فهي معه كائنةٌ دائمةٌ». فأخبر أنَّ المواهب تكون دائمةً.

ومن تتبَّع كتب القوم وفهم إشاراتهم علم أنَّ قولهم ما حكيناه عنهم؛ فإنَّ هذه المسألة وأمثالها ليست بمنصوصات لهم ولا مفردات، بل يعرف ذلك من قولهم بفهم رموزهم ودَرْك إشاراتهم. والله أعلم.

الباب السّتُّون

قولهم في حَقائق المَعرِفَة

قال بعض الشيوخ: «المعرفة معرفتان: معرفة حقٍّ، ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحقِّ: إثْبَات وحدانية الله تعالى على ما أبرز من الصِّفَات، والحقيقة: على أنَّ لا سبيل إليها؛ لامتناع الصَّمدية، وتحقق الربوبية عن الإحاطة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، لأنَّ الصَّمد هو الذي لا تُدْرَكُ حقائق نعوته وصفاته».

وقال بعض الكبراء: «المعرفة: إحضار السرِّ بصنوف الفكر في مراعاة مواجيد الأذكار على حسب توالي أعلام الكشوف». ومعناه: أن يشاهد السِّرَّ من عَظَمَةِ الله، وتعظيم حقِّه، وإجلال قَدْره ما تعجز عنه العبارة.

سُئل الجنيد عن المعرفة، فقال: «هي تردُّد السرِّ بين تعظيم الحقِّ عن الإحاطة، وإجلاله عن الدَّرْك».

وقد سُئل عن المعرفة فقال: «أن تعلم أنَّ ما تَصوَّر في قلبك فالحقُّ بخلافه، فيا لها حَيْرة! لا له حظٌّ من أحدٍ، ولا لأحدٍ منه حظٌّ، وإنما وجودٌ يتردَّد في العدم، لا تتهيَّأ العبارة عنه؛ لأنَّ المخلوق مسبوقٌ، والمسبوق غير مُحيطٍ بالسَّابق». معنى هو «وجودٌ يتردَّد في العدم»: يعني صاحب الحال يقول: هو موجودٌ عيانًا وشخصًا، وكأنه معدومٌ صفةً ونعتًا.

وعن الجنيد أيضًا قال: «المعرفة: هي شهود الخاطر بعواقب المصير، وأن لا يتصرَّف العارف بسَرَفٍ ولا تَقْصيرٍ». ومعناه: أن لا يشهد حاله، وأن يشهد سابق علم الحقِّ فيه، وأنَّ مصيره إلى ما سبق له منه، ويكون مُصرَّفًا في الخدمة والتقصير.

وقال بعضهم: «المعرفة إذا وردت على السرِّ ضاق السرُّ عن حملها، كالشمس يمنع شعاعها عن إدراك نهايتها وجوهرها».

قال ابن الفرغانيُّ: «من عرف الرَّسم تجبَّر، ومن عرف الوَسْم تحيَّر، ومن عرف السَّبق تعطَّل، ومن عرف الحقَّ تمكَّن، ومن عرف المُتَوَلِّي تذلَّل».

معناه: من شاهد نفسه قائمًا بوظائف الحقِّ أُعجب، ومن شاهد ما سبق له من الله تحيَّر؛ لأنه لا يدري ما علم الحقِّ فيه، وبماذا جرى القلم به، ومن عرف أنَّ ما سبق له من القسمة لا يتقدَّم ولا يتأخَّر تعطَّل عن الطلب، ومن عرف الله بالقدرة عليه والكفاية له تمكَّن فلا يضطرب عند المخوفات ولا عند الحاجات، ومن عرف أنَّ الله مُتولِّي أموره تذَلَّل له في أحكامه وأقضيته.

وقال بعض الكبار: «إذا عرَّفَه الحقُّ إيَّاه أوقف المعرفة حيث لا يشهد محبَّةً، ولا خوفًا ولا رجاءً، ولا فقرًا ولا غنًى؛ لأنها دون الغايات، والحقُّ وراء النهايات».

معناه: أنه لا يشهد هذه الأحوال؛ لأنها أوصافه، وأوصافه أقصر من أن تبلغ ما يستحقُّه الحق من ذلك.

أنشدونا لبعض الكبار:

راعَيْتنــــــي بالحِفَــــاظ حتّـــــى ... حُمِيْـــــتُ عــــن مَرْتَـــعٍ وَبِيِّ

فأنـــت عنـــد الخِصـــامِ عُـــذْرِي ... وفي ظَمَـــأي فأنـــت رِيِّـــي

إذا امْتَطَـــى العــــارفُ المُعـــلَّى ... سِرًّا إلى مَنْظَـــرٍ عَـــلِيِّ

وغـــاصَ في أبحُـــرٍ غِـــزارٍ ... تَفـــيضُ بالخـــاطر الـــوَحِيِّ

فَـــضَّ ختـــام الغُيُـــوب عـــمَّا ... يُحْيِـــي فـــؤادَ الشَّـــجِيِّ الـــوليِّ

مَـــنْ حـــار في دَهْشـــةِ التَّلاقـــي ... أبصـــرْتَهُ مَيِّتـــاً كَحَـــيِّ

يعني: من حيَّرَته دهشة ما يبدو له مِن الله من شاهد تعظيم الله وإجلاله، أبصرتَه حيًّا كميت، يفنى عن رؤية ما منه ولا يجد له متقدمًا ولا متأخرًا.

الباب الحادي والستون

قولهم في التَّوحيد

أركان التوحيد سبعةٌ: إفراد القِدَم عن الحَدَث، وتنزيه القديم عن إدراك المُحْدَثِ له، وترك التساوي بين النعوت، وإزالة العلة عن الربوبية، وإجلال الحقِّ عن أن تجري قدرة الحَدَث عليه فتلوِّنه، وتنزيهه عن التمييز والتأمُّل، وتبرئته عن القياس.

قال محمَّد بن موسى الواسطيُّ: «جملة التوحيد أنَّ كلَّ ما يَتَّسعُ به اللسان، أو يُشير إليه البيان -من تعظيمٍ أو تجريدٍ أو تفريدٍ- فهو معلولٌ، والحقيقة وراء ذلك».

معناه: أنَّ كل ذلك من أوصافك، وصفاتك مُحْدَثةٌ معلولةٌ مثلك، وحقيقة الحقِّ هو وَصْفُه له.

وقال بعض الكبراء: «التوحيد: إفرادك مُتوحِّدًا، وهو أن لا يُشهِدُك الحقُّ إيَّاكَ».

قال فارس: «لا يصحُّ التوحيد ما بقيت عليك عُلْقةٌ من التجريد، والموحِّد بالقول لا يشهد السِّرَّ منفردًا به، والموحِّد بالحال غائبٌ بحاله عن الأقوال، ورؤية الحقِّ حالٌ لا يَشهدُه إلَّا كلُّ ما له، ولا سبيل إلى توحيده بلا قالٍ ولا حالٍ».

وقال بعضهم: «التوحيد: هو الخروج عن جميعك بشرط استيفاء ما عليك، وأن لا يعود عليك ما يقطعك عنه».

معناه: تبذل مجهودك في أداء حقِّ الله، ثُمَّ تتبرَّأ من رؤية أداء حقِّه، ويستوفيك التوحيد عن أوصافك فلا يعود عليك منها شيءٌ فإنه قاطعٌ لك عنه.

قال الشبليُّ: «لا يتحقَّق العبد بالتوحيد حتى يستوحش من سرِّه وحْشَةً لظهور الحقِّ عليه».

وقال بعضهم: «المُوَحِّد من حَال الله بينه وبين الدارين جميعًا؛ لأنَّ الحقَّ يحمى حريمه، قال عزَّ وجلَّ: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١]، فلا نردُّكم إلى معنًى سِوانا في الدنيا والآخرة.

وعلامة الموحِّد أن لا يجري عليه ذكر إخطار ما لا حقيقة له عند الحقِّ، فالشواهد عن سرِّه مصروفةٌ، والأعواض عن قلبه مطرودةٌ، فلا شاهد يشهده، ولا عِوَض يعبده، ولا سرَّ يُطالعه، ولا بِرَّ يُلاحظه، هو في حقِّه عن حقِّه محجوبٌ، وفي حظِّه عن حظِّه مسلوبٌ، فلا نصيب له في نصيبٍ، وهو مأسورٌ في أوفر النَّصيب، والحقُّ أَوْفَرُ نصيبٍ؛ من فاته الحقُّ فليس له شيءٌ وإن مَلَكَ الكون، ومَنْ وَجَدَ الحقَّ فله كلُّ شيءٍ وإن لم يَمْلِك ذرَّةً».

معناه: هو قائمٌ بحقِّه، محجوبٌ عن رؤية قيامه بحقِّه، وهو مسلوبٌ عن حظوظه، وهو يرى نفسه قائمةً بحظوظها، ونصيبه من الحقِّ وجود الحقِّ، وهو فيه مأسورٌ، وليس له متقدَّم ولا متأخَّر.

وأنشدونا لبعضهم:

مَوَاجيــدُ حــقٍّ أَوْجَــدَ الحــقُّ كلَّهــا   وإن عَجَــزَتْ عنهــا فُهُــومُ الأَكَــابِرِ

الباب الثاني والستون

قولهم في صِفَة العَارفِ

سُئل الحسن بن عليٍّ بن يزدانيار: متى يكون العارف بمشهد الحقِّ؟ قال: «إذا بدا الشَّاهدُ، وفَنِي الشَّواهدُ، وذهب الحواسُّ، واضمحلَّ الإخلاصُ».

معنى «بدا الشَّاهد»: يعني شاهد الحقِّ، وهو أفعاله بك ممَّا سبق منه إليك: من بِرِّه لك، وإكرامه إيَّاك بمعرفته وتوحيده والإيمان به، تُفنى رؤية ذلك منك رؤية أفعالك وبرِّك وطاعتك، فترى كثيرَ ما منك مُستغرِقًا في قليل ما منه، وإن كان ما منه ليس بقليلٍ، وما منك ليس بكثيرٍ.

و«فناء الشَّواهد»: بسقوط رؤية الخلق عنك، بمعنى: الضر والنفع، والذم والمدح.

و«ذهاب الحواس»: هو معنى قوله: «فبي يَنطقُ، وبي يُبصِرُ»[1] الحديث.

ومعنى «اضمحل الإخلاص»: أن لا يراك مُخلصًا، وما خلص من أفعالك إن خلص ولن يخلص أبدًا إذا رأيت صفتك؛ فإنَّ أوصافك معلولةٌ مثلك.

سُئل ذو النون عن نهاية العارف؟ فقال: «إذا كان كما كان حيث كان قبل أن يكون». معناه: أن يُشاهد الله وأفعاله، دون شاهده وأفعاله.

قال بعضهم: «أَعْرُفُ الخلقِ بالله أشدُّهم تَحيُّرًا فيه».

---

(١) حديث: «فبِي يَنطِق، وبي يُبصر».

تقدَّم [ص: ٢٦٢].

قيل لذي النون: ما أول درجةٍ يرقاها العارف؟ فقال: «التحيُّر، ثُمَّ الافتقار، ثُمَّ الاتصال، ثُمَّ التحيُّر».

الحيرة الأولى: في أفعاله به، ونعمه عنده، فلا يرى شكره يوازي نِعَمَهُ -وهو يعلم: أنه مطالبٌ بشكرها، وإن شَكَرَ كان شُكْره نعمةً يجب عليه شكرها-، ولا يرى أفعاله أهلًا أن يقابله بها؛ استحقارًا لها، ويراها واجبةً عليه لا يجوز له التخلُّف عنها.

وقيل: قام الشبليُّ يومًا يُصلِّي، فبقي طويلًا ثُمَّ صلَّى، فلما انفتل عن صلاته قال: «يا ويلاه! إن صلَّيتُ جَحَدتُ، وإن لم أُصلِّ كَفرتُ»، أي: جحدتُ عِظَمَ النِّعمة، وكمال الفضل؛ حيث قابلت ذلك بفعلي شكرًا له مع حقارته، ثُمَّ أنشد:

الحَمْـــــدُ لله عـــــلى أنّنـــــي ... كضُــــفْدعٍ يَسْـــكنُ في الـــيَمِّ
إن هــــي فاهـــتْ مـــلأتْ فمَّهـــا ... أو سَـــكَتتْ ماتـــتْ مِـــنَ الغَـــمِّ

والحيرة الأخيرة: أن يتحيَّر في متاهات التوحيد، فيضلُّ فهمه، ويَخْنُس عقله في عِظم قدرة الله تعالى وهيبته وجلاله؛ وقد قيل: «دون التوحيد متاهاتٌ تَضِلُّ فيها الأفكار».

سأل أبو السَّوداء بعض الكبار فقال: هل للعارف وقتٌ؟ قال: «لا»، فقال لِمَ؟ قال: «لأنَّ الوقت فُرْجةٌ تُنَفِّسُ عن الكُرْبة، والمعرفة أمواجٌ تَغُطُّ، وتَرْفع وتَحطُّ، فالعارف: وقته أسودٌ مُظلمٌ»، ثُمَّ قال:

شَرْطُ العـــارفِ مَحْـــوُ الكـــلِّ منـــك إذا ... بـــدَ المُريْـــدُ بلَحْـــظٍ غـــير مُطَّلِـــعِ

قال فارس: «العارف: من كان علمه حالةً، وكانت حركاته غَلَبَةً عليه».

سُئل الجنيد عن العارف، فقال: «لون الماء لون الإناء».

يعني: أنه يكون في كلِّ حالٍ بما هو أَوْلَى، فيختلف أحواله؛ ولذلك قيل: هو ابن وقته.

سُئل ذو النون عن العارف؟ فقال: «كان هاهنا فذهب»، يعني: أنك لا تراه في وقتين بحالةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ مُصرِّفه غيره.

وأنشدونا لابن عطاء:

ولــو نَطَقَــتْ فِيَّ أَلْسُــنِ الــدَّهْرِ خَــبَّرَتْ	بـــأنّي في ثـــوبِ الصَّـــبابَة أَرْفُـــلُ
ومــا إنْ لهــا عِلــمٌ بقَــدْري ومَوْضــعي	ومـــا ذاك مَوْهـــومٌ لأنّيَ أُنقَّـــلُ

وقال سهل بن عبدالله: «أول مقامٍ في المعرفة: أن يُعطى العبد يقينًا في سرِّه تَسْكُن به جوارحه، وتوكُّلًا في جوارحه يَسْلَم به في دنياه، وحياةً في قلبه يفوز بها في عُقْباه».

قلنا: العارف: هو الذي بذل مجهوده فيما لله، وتحقَّق معرفته بما من الله، وصحَّ رجوعه من الأشياء إلى الله؛ قال الله تعالى: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] يجوز أن يكون ما عرفوا من الله من برِّه وإحسانه بقصده إليهم، وإقباله عليهم، واختصاصه إيَّاهم من بين ذويهم، كما قال أُبَيٍّ بن كعبٍ حين قال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك**»، فقال: يا رسول الله أوذُكِرْتُ هناك؟ **قال**: «**نعم**»؛ فبكَى أُبَيٌّ (١).

---

(١) حديث: أُبَيِّ بنِ كعبٍ قال له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك**»، فقال: يا رسول الله أوذُكِرْتُ هناك؟ **قال**: «**نعم**»؛ فبكَى أُبَيٌّ.

أحمد في "المسند"، والترمذيُّ في "السنن" مِنْ طريق شعبة، عن عاصمِ بنِ بَهْدلة، عن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ قال: إنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لي: «**إنَّ اللهَ أمرني أنْ أقرأَ عليك القرآن**». قال فقرأ: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١]. قال: فقرأ فيها: «**ولو أنَّ ابنَ آدمَ سأل واديًا مِنْ مالٍ فأُعْطِيَهُ لَسَأَلَ ثانيًا، ولو سأل ثانياً فأُعْطِيَهُ لسأل**

لم يَرَ حالًا يُقابله بها، ولا شكرًا يوازي نِعَمه، ولا ذكرًا كما يستحقّه، فانقطع فبكى.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لحارثة: «**عَرَفْتَ فالزَمْ**»[1]، نسبه إلى المعرفة، وألزَمَه إيَّاها، ولم يدله على عملٍ.

ثالِثًا، ولا يَملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلَّا التُّراب، ويَتوبُ اللهُ على مَنْ تاب، وإنَّ ذاتَ الدِّينِ القيِّم عندَ الله الحَنيفِيَّة، غير المشركة ولا اليهوديَّة ولا النَّصرانيَّة، ومَنْ يفعلْ خيرًا فلنْ يُكفَرَهُ».

قال الترمذي: «حسنٌ صحيحٌ».

ورواه الطبرانيُّ مِنْ طريق مُعَاذِ بنِ محمَّد بنِ معاذ بنِ أُبَيِّ بنِ كعْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا المنذر، انِّي أُمِرْتُ أنْ أعرِضَ عليك القرآن**»، فقال: بالله آمَنتُ، وعلى يدكَ أسلمتُ، ومنك تعلَّمتُ، قال: فرَدَّ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القولَ، قال: فقال: يا رسولَ الله وذُكِرْتُ هناك؟ قال: «**نعم، بِاسْمِكَ ونَسَبِك في الملا الأعلى**»، قال: فاقرأ إذاً يا رسولَ الله. قال الحافظ ابنُ كثيرٍ: «غريبٌ من هذا الوجه».

ورواه أحمد، والبخاريُّ، ومسلم، وأبو داود، والنَّسائيُّ، مِنْ طريق شُعبة: سمعْتُ قَتادة يُحدِّث عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأُبَيِّ بنِ كعْبٍ: «إنَّ اللهَ أمرَنِي أنْ أقرأَ عليك: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال: وسَمَّاني لك؟ قال: «**نعم**»، قال: فبَكَى.

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ مِنْ طريق هَمَّام، عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأُبَيٍّ: «**إنَّ اللهَ أمرَنِي أنْ أقرأ عليك القرآن**» قال أُبَيٌّ: آللهُ سَمَّاني لك؟ قال: «**الله سَمَّاك**»، فجعل أُبَيٌّ يَبكي.

(١) حديث حارثة: «**عرفتَ فالزَمْ**».

تقدَّم [ص: ٦٥].

سُئل ذو النون عن العارف، فقال: «هو رجلٌ معهم، بايَنَ عنهم».

قال سهل: «أهل المعرفة بالله كأصحاب الأعراف، يعرفون كلًّا بسيماهم؛ أقامهم مقامًا أشرف بهم على الدَّارين، وعرَّفهم المُلْكين».

أنشدونا لبعضهم:

يا لَهفَ نفسي على قومٍ مَضَوا فَقَضَوا ... لم أقضِ منهم وإن طاولتُهُم وَطَرِي

هُمُ المَخَافِيتُ في كِبْرِ المُلوكِ إذا ... أبْصَرتَهم قلتُ ذاإضْمارٌ بلا صُوَر

الباب الثالث والستون
حالهم في المُرِيد والمُرَاد

المُريد مُرادٌ في الحقيقة، والمُرادُ مُريد؛ لأنَّ المريد لله تعالى لا يُريد إلَّا بإرادةٍ من الله عزَّ وجلَّ تقدَّمت له، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٨]، فكانت إرادته لهم سبب إرادتهم له؛ إذ علَّة كل شيءٍ صُنعه، ولا علَّة لصُنعه، ومن أراده الحقُّ فمحالٌ أن لا يريده العبد، فجعل المريد مُرادًا، والمراد مُريدًا، غير أنَّ المريد: هو الذي سبق اجتهاده كُشوفه، والمُراد: هو الذي سبق كُشوفُه اجتهادَه.

فالمريد: هو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وهو الذي يريده الله تعالى فيقبل بقلبه، ويحدث فيه لُطفًا يثير منه الاجتهاد فيه، والإقبال عليه، والإرادة له، ثُمَّ يكاشفه الأحوال، كما قال حارثة: «عَزَفتْ نفسي عن الدنيا، فأظمأتُ نهاري، وأسهرتُ ليلي»، ثُمَّ قال: «وكأنِّي أنظر إلى عرش ربِّي بارزًا»(١)، فأخبر أنَّ كشوف أحوال الغيب له كان عُقيب عزوفه عن الدنيا.

والمراد: هو الذي يجذبه الحقُّ جذبة القدرة، ويكاشفه بالأحوال، فيثير قوة الشُّهود منه اجتهادًا فيه، وإقبالًا عليه، وتحمُّلًا لأثقاله، كسحرة فرعون لمَّا كوشفوا بالحال في

---

(١) حديث حارثة: «عزَفَتْ نفسي في الدنيا».

تقدَّم [ص: ٦٥].

الوقت، سهل عليهم تحمُّل ما توعَّدهم به فرعون فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

وكما فُعل بعمر بن الخطاب: أقبل يريد قتل رسول الله، فأسره الحقُّ في سبيله[1].

وكقصة إبراهيم بن أدهم: خرج يطلب الصيد متلهِّيًا، فنُودي: ما لهذا خُلقتَ، ولا بهذا أمرتَ، مرَّتين، ونُودي في الثالثة: من قَرَبُوس سَرْجِهِ، فقال: «والله لا عصيتُ الله بعد

---

(١) قوله: «كما فعل عُمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، أقْبلَ يريد قتْلَ رسولِ الله، فأسَرَهُ الحقُّ في سبيلِه».

أحمد في "المسند"، والطبرانيُّ في "الأوسط" مِنْ طريق صَفوَانَ بنِ عَمْرٍو، عن شُرَيح بنِ عُـبَيدٍ قال: قال عُمرُ خرجتُ أَتَعَرَّضُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوجدتُه سبقني إلى المسجد، فقمتُ خَلفَهُ فاستفتح سورةَ الحاقَّة، فجعلتُ أتعجَّبُ مِنْ تأليف القرآن. فقلتُ: هذا والله شاعرٌ كما قالت قريشٌ، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾. فقلتُ: كاهنٌ، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ...﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢] حتى ختم السُّورة. قال: فوقع الإسلامُ في قلبي كلَّ موقِعٍ.

قال الحافظ نورُ الدِّينِ الهيثميُّ: «ورجالُه ثِـقاتٌ إلَّا أنَّ شريحَ بنَ عُـبيدٍ لم يُدرِكْ عُمر».

ورواه البزَّار مِنْ حديثِه قال: أَتُحِبُّون أنْ أُعْلِمَكم أوَّلَ إسلامي، قال: قلنا: نعم، قال: كنتُ أشدَّ النَّاس على رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم.. فـذَكَرَ حديثاً طويلًا بالمعنَى المتقـدِّم.

وفيه: أسامةُ بنُ زيْدِ بنِ أسلَـم: ضعيفٌ.

يومي هذا ما عصمني ربِّي» هذه جَذْبة القدرة، كوشفوا بالأحوال، فأُسْقِطُوا عن النفوس والأموال.

أنشدني الفقيه أبو عبدالله البرقيُّ لنفسه:

مُريـــدٌ صَـــفا مِنـــه سِرُّ الفــؤادِ فَهـــامَ بـــه السّـــرُّ في كـــلِّ وادْ

ففـــي أيِّ وادٍ سَـــعَى لم يَجِـــدْ لـــه مَلْجـــأً غـــير مَـــولى العِبـــادْ

صَـــفا بالوفـــاء وَفَى بالصَّـــفا ونـــور الصَّـــفاء سِراجُ الفُـــؤادْ

أرادَ ومـــا كـــان حتَّـــى أُرِيـــدُ فطُـــوبى لـــه مِـــنْ مريـــدٍ مُـــرَادْ

الباب الرابع والستون

قوْلهم في المُجاهَدات والمُعَاملات

قال بعض الكبراء: «التعبُّد: إتيان ما وظَّفَ اللهُ على شرط الواجب».

وشرط الواجب الإتيان به على غير مُطالبة عِوضٍ، وإن شهدته فضلًا، بل يستوفيك عن رؤية الفضل.

والعِوَض: ما لله عليك في العمل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ [التوبة: ١١١]. قال: ليعبدوه بالرِّقِّ لا بالطَّمع.

قيل لأبي بكر الواسطيِّ: بأي شاهدٍ ينبغي أن يكون العبد في حركات ما يسعى؟ قال: «بشاهد الفناء عن حركاته التي هي كائنةٌ بغيره».

قال أبو عبدالله النباجيُّ: «استحلاء الطاعة ثمرة الوحشة عن الحقِّ عزَّ وجلَّ؛ إذ لا يواصل الحقُّ بها ولا يُفاصل، ولا يعتمد عليها اعتماد مُعَوِّلٍ، ولا يتركها ترك مُعانِدٍ، بل يقيم وظائف الحق رِقًّا وعُبوديةً، ويكون الاعتماد على ما في الأزل».

يريد «باستحلاء الطاعة»: رؤيتها من نفسك، دون مشاهدة فضل الله عليك في التوفيق في قول الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قال: أكبر من أن تبلغه أفهامُكم، وتحويه عقولُكم، ويجري على ألسنتكم.

وحقيقة الذِّكر هو نسيان ما سِواه فيه، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]. وفي قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، أي: الخالية عن ذكر الله، لتعلموا أنكم بفضله نِلْتم لا بأعمالكم.

قال أبو بكر القحطبيُّ: «نفوس الموحِّدين نفوسٌ سَئِمتْ من جميع ما ظهر من نُعوتها وصفاتها، واستقبحتْ كلَّ بادٍ بدا منها، وانقطعتْ عن الشَّواهد والعوائد والفوائد، وعجزتْ عن إظهار الدَّعوى بين يديه، لَمَّا سمعتْ قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الشَّواهد: الخلق، والعوائد: الأعواض، والفوائد: الأعراض.

قال أبو بكر الواسطيُّ: «معنى التكبير في الصَّلاة كأنك تقول: جَلَلْتَ عن أن تُواصل بها، أو تُفاصل بتركها؛ إذ الفَصْل والوَصْل ليس بحركاتٍ، بل هو بما سَبَقَ في الأزل».

قال الجنيد: «لا يكوننَّ همُّك في صلاتك إقامتها دون الفَرَحِ والسُّرور بالاتِّصال بمن لا وسيلة إليه إلَّا به».

قال ابن عطاءٍ: «لا يكوننَّ همُّك في صلاتك إقامتها دون الهَيْبةِ والإجلال لمن رآك فيها».

وقال غيره: «معنى الصَّلاة: التَّجريد عن العلائق، والتَّفريد بالحقائق».

والعلائق: ما سوى الله، والحقائق: ما لله ومن الله.

وقال آخر: «الصَّلاة وَصْلٌ».

قال: سمعت فارسًا يقول: «معنى الصَّوم: الغيبة عن رؤية الخَلْقِ برؤية الحقِّ عزَّ وجلَّ، لقوله تعالى في قصة مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]. قال: لغيبتي عنهم برؤية الحقِّ فلا أستجيز في صومي أن يشغلني

عنه شاغلٌ، أو يقطعني عنه قاطعٌ، ويدل على قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الصَّوم جُنَّةٌ»[1].

---

(١) حديث: «**الصَّومُ جُـنَّة**».

أحمد، والترمذيُّ، والنَّسائي، وابنُ ماجه، مِنْ طريقِ أبِي وائِلٍ، عن معاذ بنِ جَبلٍ: قال كنتُ مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سفرٍ، فأصبحتُ يوماً قريبًا منه ونحن نسيرُ، فقلتُ: يا رسولَ الله أخبرني بِعملٍ يُدخلني الجنَّة ويُباعدني مِنَ النَّار. قال: «**لقد سألتني عن عظيمٍ وإنَّه لَيَسيرٌ على مَنْ يَسَّره اللهُ عليه، تَعْـبد اللهَ ولا تُشرك به شيئًا، وتُـقيم الصَّلاة، وتُؤتي الزكاة، وتُصوم رمضان، وتَحجُّ البيتَ**»، ثُمَّ قال: «**ألا أدُلُّك على أبوابِ الخير؟**»، **قلتُ**: بلى يا رسولَ الله، **قال**: «**الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقة تُطفِئُ الخطيئةَ كما يُطـفِئُ الماءُ النَّارَ...**» الحديث.

قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ».

قال الحافظ المنذريُّ رحمه الله: «وأبو وائلٍ أدركَ مُعاذًا بالسِّن، وفي سماعه منه عندي نظرٌ؛ وكان أبو وائل بالكوفة، ومعاذٌ بالشام، والله أعلم».

قال الدارقطنيُّ: «هذا الحديث معروفٌ مِنْ روايةِ شَهْـر، عن معاذٍ وهو أشبه بالصواب، على اختلاف عِلمه فيه، كذا قال: وشهْرُ مع ما قيل فيه لم يَسمع مُعاذًا».

ورواه البيهقيُّ، وغيرُه عن ميمون بنِ أبِي شَيبةَ، عن مُعاذٍ. وميمونٌ هذا: كوفيٌّ ثِـقَةٌ.

قال المُنذريُّ: «ما أراه سمِعَ مِنْ مُعاذ، بل ولا أدرَكَـه؛ فإنَّ أبا داود قال: لم يُدرِكْ ميمونُ بنُ أبِي شيبة عائشةَ، وعائشةُ تأخَّرتْ بعدَ معاذٍ نحوًا مِنْ ثلاثين سنة».

وقال عمرُو بنُ عليٍّ: «كان يُحدِّثُ عن أصحاب النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وليس عندنا شيءٌ منه يقول: سمعتُ، ولم أخبر أنَّ أحَدًا يَـزعُم أنَّه سمع مِنْ أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم». اهـ

أي: حجابٌ عمَّا دون الله في قوله تعالى: «**الصَّومُ لِي وأنا أجْـزِي به**»[1].

ورواه البخاريُّ، ومسلمٌ مِنْ طريق أَبِي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصِّيامُ جُنَّةٌ**». وهذا لفظ مسلمٍ.

ورواه أحمدُ، وإسناده حسنٌ، والبيهقيُّ مِنْ حديث جابرٍ مرفوعًا: «**الصِّيام جُنَّةٌ يَسْـتجِنُّ بها العـبدُ مِنَ الـنَّار**».

ورواه ابنُ خزيمة في "صحيحِه" مِنْ حديثِ عثمانَ بنِ أَبِي العاصِي مرفوعًا: «**الصِّيام جُنَّة مِنَ النَّار، كجُنَّةِ أحدِكُـم مِنَ القِـتال..**» الحديث.

(١) حديث: قال الله تعالى: «**الصَّومُ لِي وأنا أجْـزِي به**».

البخاريُّ، ومسلمٌ في "صحيحيهما" مِنْ طريق ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ، عن أَبِي صالِحٍ الزَّيَّات، أنَّه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قال الله تعالى: كُلُّ عملِ ابنِ آدم له إلَّا الصِّيام، فإنَّه لي وأنا أَجزِي به، والصِّيام جُنَّةٌ، وإذا كان يوم صوم أحدِكم فلا يَرفُث، ولا يَصخَب...**» الحديث.

ورواه مالكٌ في "الموطَّأ"، ومِنْ طريقه البخاريُّ في "صحيحه" عن أَبِي الزِّنَاد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**والذي نفسي بيده لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائم أطيبُ عند الله تعالى مِنْ رِيحِ المِسْكِ، إنَّما يَذَرُ شهوتَه وطعامَه، وشرابَه مِنْ أجِلِي، فَالصِّيامُ لي وأنا أجزي به..**» الحديث.

ورواه أحمدُ من طريق إسحاقَ بن الطَّبَّاع، عن مالكٍ، فقال قبل قولِه «**إنَّما يَذرُ شهوتَه...**»: «**يقول الله عزَّ وجلَّ**».

قال بعض الكبار: أي أنا الجزاء به، وقال أبو الحسن بن أبي ذرٍّ: أي معرفتي هي الجزاء له به، قال: وحسبه ذلك جزاءً؛ فما يبلغها شيءٌ ولا يدانيه.

سمعت أبا الحسن الحسنيَّ الهمدانيَّ يقول: معنى قوله: «**الصَّوم لي**»: كي ينقطع الأطماع عنه: طَمَعَ العدوِّ أن يُفسده؛ لأنَّ ما لله فلا يطمع فيه العدوُّ، وطمع النفس أن تُعجب به؛ فإنها إنما تعجب بما لها، وطمع الخصوم في الآخرة؛ فإنهم يأخذون ما للعبد دون ما لله. هذا معنى ما فهمت من قوله.

قال بعضهم: «جَهْدُ البلاء: النظر إلى النفوس، والاعتماد على الأفعال، فإن وُكِلَ إليها فهو دَرَكُ الشَّقاء، وفي دَرْكِ الشَّقاء شَماتة الأعداء».

أنشدونا للنوريِّ:

أقـــول أكـــاد اليـــوم أن أَبلُـــغَ المـــدَى فَيَبْعُـــدُ عنِّـــي مـــا أقـــولُ أكـــادُ

ورواه البخاريُّ مِنْ طريق أبي نعيمٍ، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: الصَّومُ لي وأنا أجـزِي به...**» الحديث.

ورواه مسلمٌ، وابنُ ماجه مِنْ طريق أَبِي معاوية، وَوَكيعٍ، عن الأعمش، عن أَبِي صالِحٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُـلُّ عملِ ابنِ آدَمَ يُضاعَف، الحسنة عَشرُ أمثالِها إلى سبعمائة ضِعفٍ...** » زاد ابنُ ماجه: «**إلى ما شاءَ الله تعالى**». هذا لفظ مسلمٍ.

وفي رواية ابنِ ماجه: « **يقول اللهُ تعالى: إلَّا الصَّوم فإنَّه لي وأنا أجزي به، يَدَعُ شهوتَه وطعامَه مِنْ أجلي...**» الحديث.

ورواه مسلمٌ مِنْ طريق ابنِ شهابٍ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّب، عن أبي هريرة مرفوعًا يقول الله عزَّ وجلَّ: «**كلُّ عَمَلِ ابنِ آدم له إلَّا الصِّيام، هو لي وأنا أجزي به...**» الحديث.

فـمـا لي جهـادٌ غـيـر أنّي مُقَصِّـرٌ وعجـزي عـن طُـولِ الجِهـادِ جِهـادُ
وإنَّ رجـائي عـودةٌ منـك بالرِّضـا وإلّا فحَظِّـي في المعـادِ بِعَـادُ

أنشدونا لغيره:

هَبْني أُراعيـك بالأذكـار مُلتمِسًـا مـا يَبتغيـه ذَوو التَّلـوين بـالغِيَرِ
فكيـف لي بشـهودٍ مِنـك يَحملُنـي عن فِتنة الوقت بـل عـن حَجْبَـةِ الأَثَـرِ

يقول: إن طالعتُ في أفعالي ومجاهداتي ثوابك عليها -وهو الذي يطلبه أرباب المجاهدات وأصحاب المعاملات- فيكف أُطالع شهود ما يحملني عن خوف العاقبة من تغيير الأحوال والأوقات، وعن النظر إلى حركاتي ومجاهداتي وهي التي تحجبني عنك؟

الباب الخامس والستون

حالهم في الكلام على الناس

قيل للنوريِّ: متى يستحق الإنسان الكلام على الناس؟ قال: «إذا فهم عن الله جلَّ جلاله صَلُحَ أن يفهم عباد الله، وإذا لم يفهم عن الله كان بلاؤه عامًّا في بلاده وعلى عباده».

قال السريُّ السقطيُّ: «إنِّي أذكر مجيء النَّاس إليَّ فأقول: اللهمَّ هب لهم من العلم ما يشغلهم عنِّي، فإنِّي لا أُحبُّ مجيئهم إليَّ».

قال سهل بن عبدالله: «أنا منذ ثلاثين سنة أُكلِّم الله، والناس يتوهَّمون أنِّي أكلِّمهم».

قال الجنيد للشبليِّ: نحن حبَّرنا هذا العلم تحبيرًا، ثُمَّ خبَّأناه في السراديب، فجئتَ أنتَ فأظهرته على رؤوس الملأ. فقال: أنا أقول، وأنا أسمع، فهل في الدارين غيري؟

وقال بعض الكبار للجنيد وهو يتكلَّم على الناس: «يا أبا القاسم، إنَّ الله لا يرضى عن العَالِم بالعلم حتى يجده في العِلْم، فإن كنت في العلم فالزم مكانك وإلَّا فانزل؟ فقام الجنيد ولم يتكلَّم على الناس شهرين، ثُمَّ خرج فقال: لولا أنه بلغني عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال:«**في آخر الزَّمانِ يكونُ زَعِيمُ القوم أَرْذَلَهم**»[1]، ما خرجتُ إليكم».

---

(١) حديث: «**في آخر الزمان يكون زعيمُ القوم أرذَلُهم**».

الطبرانيُّ مِنْ حديث عَوْفِ بنِ مالِكٍ الأشجَعِيِّ، وفيه ضعفٌ.

وقال الجنيد: «ما تكلَّمتُ على الناس حتى أشار إليَّ وعليَّ ثلاثون من البُدَلَاء: إنك تصلح أن تدعو إلى الله عزَّ وجلَّ».

وقيل لبعض الكبار: لِمَ لا تتكلَّم؟! فقال: «هذا علمٌ قد أَدْبر وتولَّى، والمُقْبِل على المُدبر أَدْبَرُ من المُدبِرِ».

قال أبو منصور البنجخيني لأبي القاسم الحكيم: بأيِّ نيَّةٍ أتكلَّمُ على الناس؟ فقال: لا أعلم للمعصية نيَّةً غير التَّرك.

واستأذن أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الرَّازيُّ أبا حفصٍ الحدَّاد - وكان تلميذه - في الكلام على الناس؟ فقال له أبو حفصٍ: وما يدعوك إليه؟ فقال أبو عثمان: الشَّفقة عليهم، والنصيحة لهم. فقال: وما بلغ من شفقتك عليهم؟ فقال: لو علمتُ أنَّ الله يعذِّبني بدل جميع من آمن به ويدخلنهم الجنَّة، وجدتُ من قلبي الرِّضا به. فأذن له، وشهد أبو حفصٍ مجلسه، فلما قضى أبو عثمان كلامه قام سائلٌ فسبق أبو عثمان فأعطاه ثوبًا كان عليه، فقال أبو حفصٍ: يا كذَّاب، إيَّاك أن تتكلَّم على الناس وفيك هذا الشيء، فقال أبو عثمان: وما ذاك يا أستاذ؟ قال: أما كان فيك من النَّصيحة لهم والشَّفقة عليهم أن تؤثرهم على نفسك بثواب السَّبق ثُمَّ تتلوهم».

سمعتُ فارسًا يقول: سمعت أبا عمرٍو الأنماطيَّ يقول: كنَّا عند الجنيد إذ مرَّ به النوريُّ فسلَّم، فقال له الجنيد: وعليك السَّلام يا أمير القلوب، تكلَّم؟ فقال النوريُّ: يا أبا القاسم غششتهم فأجلسوك على المنابر، ونصحتهم فرموني في المزابل!! فقال الجنيد: ما رأيتُ قلبي أحزن منه في ذلك الوقت. ثُمَّ خرج علينا في الجمعة الأخرى فقال: إذا رأيتم الصوفي يتكلَّم على الناس فاعلموا أنه فارغٌ.

وقال ابن عطاءٍ في قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣] قال: على مقدار فهومهم، ومبلغ عقولهم.

وقال غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤، ٤٥]، أي لو نطق بالمواجيد على أهل الرُّسوم، يدل عليه قوله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ولم يقل: بلِّغ ما تعرَّفْنَا به إليك.

رأى الحسين المغازليُّ رويم بن محمَّدٍ وهو يتكلَّم على الناس في الفقر، فوقف عليه وقال:

وما تَصْنعُ بالسَّيْفِ إذا لم تكُ قتَّالا
ألا ابتعتَ بما حَلَّيْتَ هذا السَّيفَ خُلْخَالَا

عبَّر بعبارته عن حالٍ ليس هو فيها.

قال بعض الكبار: من تكلَّم عن غير معناه، فقد تحمَّر في دعواه، قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥].

الباب السَّادس والستون

في توَقِّي القَوم ومُجاهداتهم

ورث حارث المُحاسبيُّ من أبيه أكثر من ثلاثين ألف دينارٍ، فلم يأخذ منه شيئًا، وقال: إنه كان يَرى القَدَر.

قال أبو عثمان: كنَّا في دار أبي بكر بن أبي حنيفة مع أبي حفصٍ، فجرى ذكر صديقٍ غائبٍ عنَّا، فقال أبو حفصٍ: لو كان عندنا كاغدٌ كتبنا أليه. فقلتُ: هاهنا كاغدٌ -وكان أبو بكر قد خرج إلى السُّوق- فقال أبو حفصٍ: لعلَّ أبا بكرٍ قد مات ولم نعلم، وصار الكاغد للورثة، فترك الكتاب.

وقال أبو عثمان: كنت عند أبي حفصٍ وبين يديه زبيبٌ، فأخذت زبيبةً ووضعتها في فمي، فأخذ بحلقي وقال: يا خائن، تأكل زبيبتي؟ فقلتُ: لثقتي بزهادتك في الدنيا، وعلمي بإيثارك أخذتُ الزَّبيبة. فقال: يا جاهل، تثق بقلبٍ لا يملكه صاحبه؟!

سمعتُ كثيرًا من مشائخنا يقولون: كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاثٍ: إذا حجَّ عن غيره بمالٍ، وإذا أتى خراسان، وإذا دخل اليمن.

فقالوا: من أتى خراسان لم يأته إلَّا للرفق وليس بها مباحٌ، فيطيب مَطعمه.

وأمَّا اليمن: ففيه طرقٌ إلى الفسق كثيرةٌ.

وكان أبو المغيث لا يستند، ولا ينام على جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته عينه قعد ووضع جبينه على ركبتيه فيغفو غفوةً. فقيل له: أرفق بنفسك، فقال: والله ما رفق الرفيق

بي رفقًا فرحت به، أما سمعت سيد المرسلين يقول: «**أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياء، ثُمَّ الصِّـدِّيقُون، ثُمَّ الأمثَلُ فالأمثـلُ**»[1].

قالوا: إنَّ أبا عمرٍو الزَّجَّاجيُّ أقام بمكَّة سنين كثيرةً لم يُحْدِث في الحرم، وكان يخرج من الحرم للحَدَث ثُمَّ يعود إليه وهو على طهارةٍ.

قال سمعت.فارسًا يقول: «كان أبو عبدالله -المعروف بشكثل- لا يُكلِّم الناس، وكان يأوي إلى الخرابات في سواد الكوفة، وكان لا يأكل إلَّا المباح والقمامات، فلقيته يومًا، فتعلَّقتُ به وقلتُ: سألتك بالله ألا أخبرتني ما الذي منعك عن الكلام؟ فقال: يا هذا الكون توَهُّمٌ في الحقيقة، ولا تصحُّ العبارة عمَّا لا حقيقة له، والحقُّ تقصر عنه الأقوال دونه، فما وجه الكلام؟ وتَرَكَني ومرَّ».

---

(١) حديث: «**أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياء، ثُمَّ الصِّـدِّيقُون، ثُمَّ الأمثَـلُ فالأمثـلُ**».

البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والترمذيُّ في "السنن"، وابنُ ماجه مِنْ طريق هِشام بنِ سعدٍ، عن زيدِ بنِ أسلَم، عن عطاء بنِ يَسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّه دخل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو موعوكٌ عليه قطيفةٌ، فوضع يده عليه فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيدٍ: ما أشدُّ حُمَّاك يا رسول الله! قال: «**إنَّا كذلك يَشتدُّ علينا البلاءُ، ويُضاعَـف لنا الأجرُ**»، فقال: يا رسول الله أيُّ النَّاس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياءُ ثُمَّ الصَّالحون**».

ورواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ أبِي الدنيا مِنْ طريق مصعب بنِ سعدٍ، عن أبيه سعدِ بنِ أبِي وَقَّاصٍ قال: قلتُ: يا رسولَ الله أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثُمَّ الأمثلُ فالأمثلُ**» الحديث.

وفي الباب عن جماعةٍ.

قال وسمعته يقول: سمعت الحسين المغازلي يقول: رأيت عبدالله القشاع ليلةً قائمًا على شطِّ دجلة وهو يقول: يا سيدي أنا عطشان، يا سيدي أنا عطشان! حتى أصبح، فلمَّا أصبح قال: يا ويلتي، تُبيح لي شيئًا وتحول بيني وبينه، وتَخطر عليَّ شيئًا وتُخلِّي بيني وبينه، فأيش أصنع؟! ورجع ولم يشرب منه.

وسمعته يقول: سمعت بعض الفقراء قال: كنت سنة الهَبِير مع الناس، فانفلتُّ ثُمَّ رجعت، فكنت أطوف بين الجَرْحى، قال: فرأيت أبا محمَّدٍ الجريريَّ - وكان قد نيَّف على المائة- فقلتُ: يا شيخ، ألا تدعو فيُكشف ما ترى؟ قال: قد فعلتُ، قال: إني أفعل ما أشاء، فأعدتُ عليه، فقال: يا أخي، ليس هذا وقت الدعاء، هذا وقت الرِّضا والتَّسليم. فقلت: ألك حاجةٌ؟ فقال: أنا عطشان، فجئته بماءٍ، فأخذه وأراد أن يشرب، فنظر إليَّ فقال: هؤلاء عِطاشٌ وأنا أشرب! هذا شَرَهٌ، فردَّه عليَّ ومات من ساعته.

قال: وسمعته يقول: سمعتُ بعض أصحاب الجُريريِّ يقول: «مكثت عشرين سنةً لا يخطر لي ذكر الطعام حتى يحضر، ومكثت عشرين سنة أُصلِّي الفجر على طهور العِشاء الآخرة، ومكثت عشرين سنة لا أعقد مع الله عقدًا؛ مخافة أن يكذِّبني على لساني، ومكثت عشرين سنة لا يسمع لساني إلَّا من قلبي، ثُمَّ حالتْ الحال، فمكثت عشرين سنة لا يسمع قلبي إلَّا من لساني».

معنى قوله: «لا يسمع لساني إلَّا من قلبي»: أي لا أقول إلَّا من حقيقة ما أنا عليه، وقوله: «لا يسمع قلبي إلَّا من لساني»: أي حُفِظَ عليَّ لساني؛ لما قال: «فبِي يَسمعُ، وبِي يُبصِر، وبِي يَنطق»[1].

قال: وسمعتُ بعض مشائخنا يقول: سمعت محمَّد بن سعدان يقول: خدمتُ أبا المغيث عشرين سنةً، فما رأيته أَسِف على شيءٍ فاته، أو طلب شيئًا فقده.

وقيل: إنَّ أبا السَّوداء وقف ستين وقفةً، وجعفر بن محمَّد الخلديَّ وقف خمسين وقفةً، وكان بعض المشايخ -وأكثر ظنِّي: أنه أبو حمزة الخراساني- حَجَّ عشر حجج عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحجَّ عن العشرة من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عشر حججٍ، وحجَّ عن نفسه حجَّة؛ يتوسل بتلك الحجج إلى الله في قبول حجَّته.

---

(١) حديث: «فبِي يَسمعُ، وبِي يُبصِر، وبِي ينطق».
تقدَّم [ص: ٢٦٢].

الباب السابع والستون

في لطائفِ الله للقوم وتَنبيهه إيَّاهم بالهاتِفِ

قال أبو سعيد الخرَّاز: «بينا أنا عَشيَّة عرفة، قطعني قُرْبُ الله عزَّ وجلَّ عن سؤال الله، ثُمَّ نازعتني نفسي بأن أسأل الله تعالى، فسمعت هاتفًا يقول: أبَعْد وجود الله تسأل الله غير الله».

قال أبو حمزة الخراسانيُّ: «حَجَجْتُ سنةً من السنين، فكنتُ أمشي فوقعتُ في بئرٍ، فنازعتني نفسي بأن أستغيث، فقلت: لا والله، لا أستغيث، فما استتممت هذا الخاطر حتى مرَّ برأس بالبئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نَطُمَّ رأس هذا البئر مِنَ الطريق، فأتوا بقصبٍ وباريةٍ، وهممتُ أن أصيح، ثُمَّ قلتُ: يا مَنْ هو أقرب إليَّ منهما، وسكتُّ حتى طَمُّوا ومضوا، فإذا أنا بشيءٍ قد دلَّى برجليه في البئر وهو يقول: تعلَّق بي، فتعلقتُ به، فإذا هو سَبُعٌ، وإذا هاتفٌ يهتف بي ويقول لي: يا أبا حمزة، هذا حسن، نجَّيناك من التَّلَفِ في البئر بالسَّبُع».

قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: قال أبو الوليد السَّقَّاء: قدَّمَ إليَّ أصحابنا يومًا لبنًا، فقلت: هذا يضرُّني، فلما كان يوم من الأيام دعوتُ الله تعالى فقلتُ: اللهمَّ اغفر لي فإنك تعلم أني ما أشركت بك طرفة عينٍ، فسمعت هاتفا يهتف بي ويقول: ولا ليلة اللبن؟!

قال أبو سعيدٍ الخرَّاز: كنت في البادية فنالني جوعٌ شديدٌ، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعامًا، فقلتُ: ليس هذا من فعل المتوكِّلين، فطالبتني نفسي بأن أسأل الله صبرًا، فلمَّا هممتُ بذلك سمعت هاتفًا يقول:

ويـــــزعمُ أنـــــه مِنَّـــــا قَريـــــبٌ ... وأنَّـــــا لا نُضَـــــيِّع مَـــــنْ أتانـــــا

ويســـألنا القُـــوَى عَجْـــزًا وضَـــعْفًا ... كأنَّـــــا لا نَـــــراهُ ولا يَرانـــــا

ويشهد لصحَّة حال الهاتف: ما حدَّثنا محمَّد بن محمَّد بن محمودٍ، قال: حا نصر بن زكريَّا: حا عمَّار بن الحسن: حا سَلَمة بن الفضل: حا محمَّد بن إسحاقٍ، عن يحيى بن عبَّادٍ بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: «لمَّا أرادوا غسل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اختلفوا فيه: فقالوا: والله ما ندري، أنجرِّد رسول الله من ثيابه كما نُجرِّد موتانا، أو نُغسِّله وعليه ثيابه؟ قالت: فلما اختلفوا ألقى الله عليهم السِّنَة حتى ما بقي منهم أحدٌ إلَّا وذقنه في صدره، ثُمَّ كلَّمهم مُتكلِّمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن اغسلوا النبيِّ وعليه ثيابه»[1].

---

(١)حديث عائشة رضي الله عنها في اختلاف الصَّحابة رضي الله عنهم عند موت الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هل يُغَسِّلونه بثيابه، أم يُجرِّدونه كما يُجَرِّدون موتاهم؟ فألقَى اللهُ عليهم السِّنَةَ حتَّى ما بقِيَ منهم أحدٌ إلَّا وذِقْنُه في صدره، ثُمَّ كلَّمَهم مُتكلِّمٌ مِنْ ناحية البيت لا يدْرُونَ مَنْ هو: أنْ غَسِّلوا النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليه ثيابُه.

رواه المؤلِّفُ مِنْ طريق محمَّد بنِ إسحاق، عن يحيَى بنِ عبَّاد بنِ عبدِالله بنِ الزُّبير، عن أبيه، عن عائشة. ورواه... (*)

(*) أحمدُ بنُ حنبل في "مسنده": ثنا يعقوبُ: ثنا أبي، عن ابنِ إسحاقَ به مثله.

وقال أبو داود: ثنا النُّفيلي: ثنا محمدُ بنُ سلمةَ، عن محمد بنِ إسحاقَ به.

وقال ابنُ سعدٍ في "الطبقات": أخبرنا محمدُ بنُ عمرَ: حدثني مصعبُ بنُ ثابتٍ بنِ عبدِالله بنِ الزبير، عن عيسى بنِ مَعمرٍ، عن عباد بن عبدالله، عن عائشةَ به مثله أو نحوه. (أحمد بن الصديق).

ـ ورواه من طريقه الدِّينَّوري في "المجالسة". (المؤلف).

الباب الثامن والستون

تنبيهه إيَّاهم بالفِرَاسَات

قال أبو العباس بن المهتدي: كنت في البادية، فرأيت رجلًا يمشي بين يدي حافي القدَم، حاسر الرأس، ليس معه رَكْوةٌ، فقلت في نفسي: كيف يُصلِّي هذا الرجل؟ ما لهذا طهارةٌ ولا صلاةٌ! قال: فالتفتَ إليَّ فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. قال: فسقطتُ مَغشيًّا عليَّ، قال: فلمَّا أفقتُ استغفرتُ الله من تلك الرؤية التي نظرت بها إليه، فبينا أنا أمشي في بعض الطريق فإذا هو بين يدي، فلما رأيته هِبته وتوقَّفتُ، فالتفتَ إليَّ ثُمَّ قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]. قال: ثُمَّ غاب فما رأيته بعد ذلك، أو كما قال.

سمعت أبا الحسن الفارسيَّ يقول: قال لي أبو الحسن المزين: دخلتُ البادية وحدي على التجريد، فلما بلغت العمق قعدتُ على شفير البِرْكة، فحدَّثتني نفسي بقطعها البادية على التجريد، ودخلها شيءٌ من العُجْبِ، فإذا أنا بالكتَّاني -أو غيره؛ الشكُّ مِنِّي- مِن وراء البِرْكة، فناداني: يا حَجَّام، إلى كم تُحدِّث نفسك بالأباطيل؟

ويروى أنه قال له: «يا حجَّام، احفظ قلبك، ولا تُحدِّث نفسك بالأباطيل».

وقال ذو النون: رأيت فتى عليه أطمارٌ رَثَّةٌ، فتقذَّرته نفسي وشهد له قلبي بالولاية، فبقيت بين نفسي وقلبي أتفكَّر، فاطَّلع الفتى على سرِّي، فنظر إليَّ فقال: يا ذا النون، لا تبصرنيَ لكي ترى خلقي، وإنما الدّرُّ داخل الصَّدَفِ، ثُمَّ ولَّى وهو يقول:

تِهْتُ على أهل ذا الزَّمانِ فما ... أرفعُ منهم لواحدٍ رَاسَا

ذاك لأنِّي فتًى أخو فَطِنٍ ... أعرفُ نفسي وأعرفُ النَّاسَا

فصِرتُ حُرًّا مُملَّكًا مَالِكًا ... مُدَرَّعًا بالقُنُوعِ لِباسَا

ويشهد لصحَّة الفِراسة: ما حدَّثنا أحمد بن عليٍّ قال: حا ثواب بن يزيد الموصليُّ: حا إبراهيم بن الهيثم البلديُّ: حا أبو صالح كاتب الليث: حا معاوية بن صالح، عن راشد بن سعيدٍ، عن أبي أُمامة الباهليُّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله»**[1].

(١) حديث: **«اتَّقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور الله»**.

تقدَّم في الباب الأول [ص: ٦٦].

الباب التاسع والستون

تنبيهه إيَّاهم بالخَواطِر

قال أبو بكر بن مجاهدٍ المقريء: قُدِّم أبو عمرو بن العلاء يومًا ليصلِّي بالناس – وما كان يؤمُّ فيُقدَّم اضطرارًا–، فلمَّا تقدَّم قال للناس: استووا، فغشي عليه فلم يفِق إلَّا بالغد، فقيل له في ذلك، فقال: وقت ما قلتُ لكم استووا وقع في قلبي خاطرٌ من الله تعالى كأنه يقول لي: يا عبدي، هل استويت لي قطُّ طَرْفة عين حتى تقول لخلقي استووا؟

قال الجنيد: «مرضتُ مَرْضَةً، فسألتُ الله أن يعافيني، فقال لي في سِرِّي: لا تدخل بيني وبين نفسك».

قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت محمَّد بن سعدان يقول: سمعت بعض الكبراء يقول: «ربما أَغْفو غَفْوةً، فأُنادَى: أتنام عنِّي؟! إن نِمْتَ عنِّي لأضرِبَنَّك بالسِّياط».

الباب السبعون

تنبيهه إياهم في الرّؤيا ولطائفها

قال: سمعت أبا بكرٍ محمَّد بن غالبٍ يقول: سمعت محمَّد بن خفيف يقول: سمعت أبا بكر محمَّد بن علي الكتَّاني يقول: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عادتي -فكانت العادة قد جرت له أنه كان يرى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلَّ ليلة اثنين وخميس، فيسأله مسائل، فيجيبه عنها-، قال: فرأيته قد أقبل علي ومعه أربعة نفرٍ، فقال لي: «**يا أبا بكرٍ، أتعرف مَنْ هذا؟**» قلت: نعم، هو أبو بكرٍ. ثُمَّ قال لي: «**أتعرف هذا؟**» قلت: نعم، هو عمر. ثُمَّ قال: «**أتعرف هذا؟**» قلت نعم، هو عثمان. ثُمَّ قال لي: «**أتعرف هذا الرابع؟**». فتوقَّفت ولم أجب، فأعاد عليَّ ثانيًا فتوقَّفت، فأعاد عليَّ ثالثًا فتوقَّفت؛ وكان في قلبي منه غِيرة، قال: فجمع كفَّه وأشار بها إليَّ، ثُمَّ بسطها وضرب بها صدري، وقال لي: «**يا أبا بكرٍ، قل: هذا عليُّ بن أبي طالبٍ**». فقلت يا رسول الله، هذا عليُّ بن أبي طالبٍ، قال: فآخى عليه السَّلام بيني وبين عليٍّ رضي الله عنه، قال: ثُمَّ أخذ عليٌّ -رضي الله عنه- بيدي وقال لي: يا أبا بكرٍ، قُم حتى تخرج إلى الصَّفا، فخرجت معه إلى الصَّفا، وكنت نائمًا في حجرتي فاستيقظت فإذا أنا على الصَّفا!!

قال: سمعت منصور بن عبدالله قال: سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول: دخلت مدينة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبي شيءٌ من الفاقة، فتقدَّمتُ إلى القبر، وسلَّمت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى ضَجِيعيه أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، ثُمَّ قلت: يا رسول الله، بي فاقةٌ، وأنا ضيفك الليلة؟ ثُمَّ تنحَّيت ونمت بين القبر والمنبر، فإذا أنا بالنبيِّ عليه السَّلام جاءني ودفع إلي رغيفًا، فأكلت نصفه، فانتبهت فإذا في يدي نصف الرَّغيف!

قال يوسف بن الحسين: كان عندنا شابٌّ من أهل الإرادة أقبل على الحديث وقصَّر في قراءة القرآن، فأُتي في منامه فقيل له: إن لم تكن بي جافيًا، فلِمَ هجرتَ كتابي؟ أما تدبَّرت ما فيه من لَطيفِ خِطابي؟

يشهد لصحَّة الرُّؤيا: ما حدَّثنا علي بن الحسن بن أحمد السرخسيُّ -إمام جامعها-: حا أبو الوليد محمَّد بن إدريس السلميُّ: حا سويدٌ: حا محمَّد بن عمرو بن صالح بن مسعودٍ الكَلَاعيُّ، عن الحسن البصريُّ قال: دخلت مسجد البصرة، فإذا رهطٌ من أصحابنا جلوسٌ فجلستُ إليهم، فإذا هم يذكرون رجلًا يغتابونه، فنهيتهم عن ذكره، وحدَّثتهم بأحاديث في الغيبة بلغتني عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعن عيسى بن مريم عليه السَّلام، فأمسك القوم وأخذوا في حديثٍ آخر، ثُمَّ عَرَضَ ذكر ذلك الرجل فتناولوه وتناولته معهم، فانصرفوا إلى رحالهم وانصرفتُ إلى رحلي، فنمت، فأتاني آتٍ في منامي أسود في يده طبقٌ من خلاف، وعليه قطعة من لحم خنزير، فقال لي: كُلْ! قلت: لا آكل؛ هذا لحم خنزيرٍ! قال: كُلْ! قلتُ: لا آكل؛ هذا لحم خنزيرٍ! قال: كُلْ! قلت: لا آكل؛ هذا لحم خنزيرٍ، هذا حرامٌ. قال: لتأكلنَّه! فأبيت عليه، ففكَّ لَحْيِي ووضعها في فمي، فجعلت ألوكها وهو قائمٌ بين يدي، فجعلتُ أخاف أن ألقيها وأكره أن أستَرِطَها، فاستيقظتُ على تلك الحال، فوالله لقد لبثت ثلاثين يومًا وثلاثين ليلةً ما ينفعني طعامٌ أطعمه ولا شراب أشربه، إلَّا وجدت طعمها في فمي وريحها في منخري!

الباب الحادي والسبعون

لطائف الحقّ بهم في غِيرَتِه عليهم

دخل جماعةٌ على رابعة يعودونها من شَكْوَى، فقالوا: ما حالك؟ قالت: «والله ما أعرف لِعلَّتي سببًا غير أني عُرِضَتْ عليَّ الجنَّة، فملت بقلبي إليها، فأحسب أنَّ مولاي غار عليَّ فعاتبني، فله العُتْبَى».

قال الجنيد: «دخلت على سريٍّ السَّقطيِّ، فرأيت عنده خَزَفَ كُوزٍ مكسورٍ، فقلت: ما هذا؟ قال: جاءتني الصبيَّة البارحة بكوزٍ فيه ماءٌ، فقالت لي: يا أبت، هذا الكوز معلَّقٌ ههنا فإذا برد فاشربه فإنها ليلة غمة، فغلبتني عيني، فرأيت جاريةً من أحسن الجواري دخلتْ عليَّ، فقلتُ: لمن أنت؟ قالت: لمن لا يشرب الماء المُبرَّد في الكيزان، وضربتْ بيدها إلى الكوز فانكسر، وهو الذي ترى. فما زال الخزف مكانه لم يحركه حتى ستره الغبار!!

قال المزين: أقمت في بعض المنازل بالبادية سبعة أيامٍ لم أطعم شيئًا، فأضافني رجلٌ في منزله، فقدم إليَّ تمرًا وخبزًا، فلم أقدر على أكله، فلما كان الليل اشتهيته، فأخذتُ نواةً أعالج بها فتح فمي، فضربت النواة سنِّي، فقالت صبية من البيت: يا أبي، كم يأكل ضيفنا الليلة؟ فقلت: يا سيدي، جوع سبعة أيامٍ ثُمَّ تنغِّص عليَّ وعزَّتك لا ذُقته!!

قال أحمد بن السمين: كنت أمشي في طريق مكَّة، فإذا أنا برجلٍ يصيح: أغثني يا رجل، الله الله، قلت: مالك؟ مالك؟ قال: خذ منِّي هذه الدراهم؛ فإني ما أقدر أن أذكر الله وهي معي، فأخذتها منه، فصاح لبيك اللهمَّ لبيك، وكانت أربعة عشر درهما.

قيل لأبي الخير الأقطع: ما كان سبب قطع يدك؟ قال: كنت في جبل لكام أو لبنان، ومعي رفيقٌ لي، فجاء رجلٌ من بعض السلاطين ومعه دنانير يفرِّقها، فناولني منها دينارًا، فمددت إليه ظهر كفي فوضع عليها دينارًا، فقلبته يدي في حجر رفيقي وقمت، فلمّا كان بعد ساعة إذا أنا بأصحاب السلطان يطلبون لصوصًا، فأخذوني فقطعوا يدي!

يشهد لهذا المعنى: ما حدَّثنا به أحمد بن حيان التميميُّ، قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: حا قتيبة بن سعيدٍ: حا يعقوب بن عبدالرحمن الاسكندرانيُّ، عن عمرو بن أبي عمرٍو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بنِ لبيدٍ: «**إنَّ الله تعالى لَيحمي عبدَه الدنيا وهو يُحبُّه كما تحمون مَرضاكم**»[1].

---

(١) حديث محمود بنِ لبيدٍ: «**إنَّ الله تعالى لَيحمي عبدَه الدنيا وهو يُحبُّه كما تحمون مَرضاكم**».

رواه المؤلف مِنْ طريق يعقوبَ بنِ عبدِالرَّحمن الإسكندرانيِّ، عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو، عن عاصِمِ بنِ عُمرَ بنِ قَتادة، عن محمود بنِ لبيدٍ.

ورواه أحمد في "المسند" و"الزهد" معًا مِنْ طريق سليمانَ بنِ بلال، عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو، عن عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ قتادة، عن محمود بنِ لبيدٍ، به مرفوعًا.

ورواه الترمذيُّ مِنْ طريق عليِّ بنِ حجر، عن إسماعيل بنِ جعفرٍ، عن عَمرِو بنِ أبي عَمرٍو، به. وقال: «إنَّه حديثٌ مرسلٌ».اهـ

واختلف في إسناده على محمود بنِ لبيدٍ، فرواه الترمذيُّ في "السنن". مِنْ طريق إسحاق بنِ محمَّد الفروي، ثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن عمارة بنِ غزيَّة، عن عاصمِ بنِ عُمرَ بنِ قتادة، عن محمود بنِ لبيدٍ، عن قتادةَ بنِ النعمان: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا حماه الدنيا كما يظلُّ أحدُكم يحمي سقيمَه الماء**».

ورواه عبدُالله بنُ أحمدَ في "زوائد الزهد" لأبيه مِنْ طريق محمد بنِ جَهضَم: ثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن عمارة بنِ غزيَّة، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادة، عن محمودِ بنِ لبيدٍ، عن قتادةَ بنِ النعمان، به مرفوعًا.

ورواه الحاكمُ مِنْ طريق محمد بنِ جهضم به، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

ورواه القضاعيُّ في "مسند الشهاب" مِنْ طريق إسماعيلَ بنِ عيَّاشٍ، عن عمارة بنِ غزيَّة، عن عاصم بنِ عُمرَ بنِ قتادة، عن محمودِ بنِ لبيدٍ، عن رافِع بنِ خديجٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أحبَّ الله عبدًا حماه الدنيا كما يَظلُّ أحدُكم يحمي سقيمَه الماء**».

ورواه الحاكمُ مِنْ طريقِ يحيَى بنِ يحيَى، عن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو، عن عاصم بنِ قتادة، عن محمودِ بنِ لبيدٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، به مرفوعًا.

قال الحاكم: «كذا قال عن أبي سعيدٍ، وفي حديث عمارة بنِ غزيَّة، عن قتادة بنِ النعمان، والإسنادان عندي صحيحان».

فتلخَّص مِنْ هذه الطرق أربعة أقوالٍ:

الأول: أنَّه مِنْ رواية محمودِ بنِ لبيدٍ، وهو الذي وقع في طريق يعقوب بنِ عبدِالرحمن الإسكندرانيِّ، عن عَمرِو بنِ أبي عَمرٍو عند الكَلاباذيِّ في "التعرُّف".

وفي رواية سليمانَ بنِ بلال، عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو عند أحمد في "المسند" و"الزهد".

وفي رواية عليِّ بنِ حجرٍ، عن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، عن عَمرِو بنِ أَبِي عَمرٍو عند الترمذيِّ في "السنن"، وقال عنه: إنَّه مرسلٌ.

ومحمودُ بنُ لبيدٍ قد أدرك النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورآه وهو غلامٌ صغير.

الثاني: أنَّه مِنْ رواية محمود بنِ لبيدٍ، عن قتادة، وهو الذي وقع في طريق إسحاقَ بنِ محمَّد الفرويِّ، عن إسماعيل بن جعفرٍ، عن عمارة بن غزيَّة، عند الترمذيِّ في "السنن".

وفي رواية محمَّد بنِ جهضم، عن إسماعيل بن جعفرٍ، عن عمارة بنِ غزيَّة عند عبدِالله في "زوائد الزهد"، والحاكم في "المستدرك" وقال: «صحيح الإسناد ولم يُخرجاه».

الثالث: أنَّه من رواية محمود بن لبيدٍ، عن رافع بن خديجٍ، وهو الذي وقع في رواية إسماعيل بن غزيَّة، عند القضاعيِّ في "مسند الشهاب".

الرابع: أنَّه مِنْ رواية محمود بنِ لبيدٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، وهو الذي وقع في رواية يحيَى بنِ يحيَى، عن إسماعيل بنِ جعفرٍ، عن عَمرِو بنِ أبِي عَمرٍو، عند الحاكم فى "المستدرك" وصحَّحه.

وهذا كما يظهر اضطرابٌ يقدح في صحَّة طريقٍ مِنْ هذه الطرق.

لكن قال ابنُ أبِي حاتمٍ في "العلل": «سألتُ أبِي عن حديث رواه محمَّدُ بنُ جهضم، وعبدُالله بنُ جعفر المدينيُّ، عن عمارة بنِ غزيَّة، عن عاصم بنِ عُمرَ بنِ قتادة، عن محمودِ بنِ لبيدٍ، عن قتادةَ بنِ النعمان الظفريِّ، عن النَّبيِّ صلَّي الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَيَحمي عبدَه الدنيا وهو يُحبُّه**» وذكر الحديث، فقال أبي: حدَّثنا محمَّدُ بنُ المثنَّى، عن محمَّد بنِ جهضم هكذا، وحدَّثنا عليٌّ عن أبيه هكذا.

ولكن حدَّثني داود الحفريُّ، عن الدارَوَرْديِّ، عن عَمرِو بنِ أبِي عَمرٍو، عن عاصم بنِ عُمرَ بنِ قتادة، عن محمود بنِ لبيدٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قلتُ لأبِي: أيُّهما أصحُّ، قال: حديثُ الدارَوَرديِّ».

وفي الباب عن أنسٍ، وحذيفةَ.

فحديث أنسٍ: رواه ابنُ السِّنِّيِّ في "الطبِّ النبويِّ" مِنْ طريق محمد بنِ خالدٍ الرازيِّ: ثنا عمرانُ بنُ وهبٍ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**إنَّ الله لَيحمي المؤمن مِنَ الدنيا نظـرًا وشفقةً عليه، كما يحمي المريض أهله الطعام**».

الباب الثاني والسبعون
لطائفه بهم فيما يُحَمِّلُهم

سمعت فارسًا يقول: سمعت أبا الحسن العلويَّ تلميذ إبراهيم الخوَّاص يقول: رأيت الخواص بالدينور في جامعها، وهو جالسٌ في وسطه والثلج يقع عليه، فأدركني الإشفاق عليه، فقلت له: لو تحوَّلتَ إلى الكِنِّ؟ فقال: لا، ثُمَّ أنشأ يقول:

لقد وَضَحَ الطَّريقُ إليك قَصْدًا — فما أَحَدٌ أرادَكَ يَستَدِلُّ

فإن وَرَدَ الشِّتاءُ ففيك صَيْفٌ — وإن وَرَدَ المَصيفُ ففيك ظِلُّ

ثُمَّ قال لي: هاتِ يدك، فناولته يدي، فأدخلتها تحت خرقته، فإذا هو يتصبَّبُ عَرَقًا!! قال: سمعت أبا الحسن الفارسيَّ يقول: كنت في بعض الوادي فأصابني عطشٌ شديدٌ حتى تعبتُ عن المشي من الضَّعف، وكنت سمعت أنَّ العطشان تقطر عيناه قبل أن يموت، قال: فقعدت وأنا أنتظر تقطر عيني، إذ سمعت حِسًّا، فنظرتُ فإذا هي حيَّةٌ بيضاء كأنها الفضَّة الصَّافية تبرق، وقد قصدتني مُسرعةً، فهالتني، فقمت فزعًا، ودخلتني قوةٌ من الفزع، فجعلت أمشي على ضعفٍ، وهي خلفي تَنْفُثُ، فلم أزل أمشي وهي خلفي حتى بلغتُ ماءً، وسكن الحسُّ، فالتفت فلم أرها، وشربتُ الماء فنجوتُ! قال: وربما يكون بي غمٌّ أو علَّةٌ، فأراها في النوم فتكون بشارةً لي بفرج غمِّي وزوال عِلَّتي.

وحديث حذيفة: رواه الديلميُّ مِنْ طريق أبَان، عن أميَّةَ بنِ قسيم، عن حذيفةَ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **إنَّ الله لَيَحمي عبدَه المؤمنَ كما يحمي الراعي الشفيقُ غنمَه مِنْ مراتِع الهلكة**». والله أعلم.

الباب الثالث والسبعون
لَطَائفُه بهم في الموت وبَعْدَه

قال أبو الحسن المعروف بالقزَّاز: كنَّا في الفجِّ، فأتانا شابٌّ حسن الوجه عليه طِمْران، فسلَّم علينا وقال: هاهنا موضعٌ أموت فيه نظيفٌ؟ قال: فعجبنا، وقلنا له: نعم، فدللناه على عينٍ بالقرب منَّا، فذهب فتوضَّأ وصلَّى ما شاء الله، ثُمَّ انتظرنا ساعةً فلم يجئنا، فأتيناه فإذا هو ميتٌ!

قال أصحاب سهل بن عبدالله: كان سهلٌ على التخت يُغسَّل، وسبَّابته من يده اليمنى منتصبة؛ يُشير بها!

قال أبو عمرو الإصطخريُّ: رأيت أبا ترابٍ النَّخشبيَّ في البادية قائمًا، ميتًا لا يمسكه شيءٌ!

قال إبراهيم بن شيبان: وافاني بعض المريدين فاعتلَّ عندي أيَّامًا فمات، فلمَّا أن أُدخل في قبره، أردتُ أن أكشف خدَّه وأضعه على التُّراب تذلُّلًا لعلَّ الله يرحمه، فتبسَّم في وجهي، وقال لي: تُذلِّلُني بين يَدَيْ من يُدلِّلُني؟ قال: قلت: لا يا حبيبي، أحياة بعد الموت؟! فأجاب: أما علمتَ أنَّ أحِبَّاءه لا يموتون، ولكن يُنقلون من دارٍ إلى دارٍ.

وقال إبراهيم بن شيبان أيضًا: كان عندي في القرية شابٌّ من أهلها متنسِّكًا ملازمًا للمسجد، وكنت مشغوفًا به، فاعتلَّ، فأتيت في بعض الجمعات البلد للصَّلاة، وكنت إذا جئت البلد أقيم عند إخواني بقيَّة يومي وليلتي، فوقع عليَّ الانزعاج بعد العصر، فأتيت القرية بعد العتمة، فسألت عن الفتى؟ قالوا: نظنُّه مُتوجِّعًا، فأتيته وسلَّمتُ عليه وصافحته، فخرجتْ روحه مع المصافحة، فتولَّيت غسله، فغلطت في صبِّ الماء؛ أردت أن أصبَّ على يمينه صببت على يساره، ويده في يدي، فانتزع يده من يدي حتى ذهب ما

كان عليه من السِّدر! فغشي على من كان معي، ثُمَّ فتح عينيه فيَّ، ففزعتُ، وصلَّيت عليه، ودخلت القبر أواريه، وكشفت عن وجهه، ففتح عينيه، وتبسَّم حتى بدت نواجذه وثناياه، فسوَّينا عليه، وحثَيْنا عليه التُّراب.

يشهد لصحَّة ذلك: ما حدَّثنا أبو الحسن علي بن إسماعيل الفارسيُّ: حا نصر ابن أحمد البغداديُّ: حا الوليد بن شجاع السَّكونيُّ، عن خالدٍ، عن نافعٍ الأشعريِّ، عن حفص بن يزيد بن مسعود بن خِرَاشٍ: أنَّ الرَّبيع بن خِرَاشٍ كان حلف أن لا يضحك حتى يعلمَ أفي الجنَّة هو أم في النَّار؟ فمكث لا يراه أحدٌ يضحك حتى مات- فيما يرون- فأغمضوه وسجُّوه، وبعثوا إلى قبره ليُحفر، وبعثوا إلى كفنه فأتى به، فقال ربعيُّ بن خِراشٍ: رحم الله أخي، كان أقومنا في الليل الطويل، وأصومنا في اليوم الحار، قال: فإنهم لجلوس حوله، إذ طرح الثوب عن وجهه، فاستقبلهم وهو يضحك! فقال له أخوه ربعيٌّ: يا أخي، أبعد الموت حياة؟! قال: نعم؛ إني لقيت ربِّي، وإنه تلقَّاني بروح وريحان، وربٍّ غير غضبان، وإنه قد كساني سُندسًا وحريرًا، ألا وإنِّي وجدت الأمر أيسر ممَّا ترون، فلا تَغْترُّوا؛ فإنَّ خليلي محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينتظرني ليصلِّي عليَّ، الوَحَى الوَحَى، ثُمَّ خرجتْ نفسه في آخر ذلك كأنها حصاةٌ قُذفتْ في ماءٍ، فبلغ ذلك عائشة أمَّ المؤمنين، فقالت: أخو بني عبسٍ -رحمه الله-، سمعت رسول الله يقول: «**يتكلَّم رجلٌ مِنْ أمَّتي بعد الموت مِنْ خير التابعين**»[1].

---

(١) حديث: «**يتكلَّم رجلٌ مِنْ أمَّتي بعد الموت مِنْ خير التابعين**».

رواه المؤلِّف مِنْ طريق الوليدِ بنِ شُجاعٍ الكوفيِّ، عن خالدٍ، عن نافعٍ الأشعريِّ، عن حفصِ بنِ يزيد بنِ مسعودٍ بنِ حِراشٍ، أنَّ رِبْعِيَّ بنَ حِراشٍ كان حلفَ أنْ لا يضحك حتى يعلَمَ أفي الجنَّة هو أمْ في النَّار؟ فذكر القصة، قال: فبلغ ذلك عائشة أمَّ المؤمنين فقالت: سمعتُ

رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يَتكلَّمُ رجلٌ مِنْ أمَّتي بعد الموت من خيرِ التابعين**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحِلية" مِنْ طريقِ عليِّ بنِ العباسِ البجَلِيِّ، عن جعفر بنِ محمد بنِ رباح الأشجعيِّ، حدثني أبي، عن عُبيدةَ، عن عبدِالملكِ بنِ عُميرٍ، عن رِبعيِّ بن حِراشٍ، قال: كنَّا أربعَ إخوة، وكان الربيعُ أخونا أكثرَنا صلاةً وأكثرَنا صيامًا في الهواجر، وأنَّه تُوفِّيَ، فبينا نحن حولَه وقد بَعثنا مَنْ يبتاع لنا كفنًا إذْ كشف الثوب عن وجهه فقال: السَّلام عليكم. فقال القوم: وعليكم السَّلام يا أخا بني عَبْسٍ أبَعْدَ الموتِ؟ قال: نعم، إنِّي لقيتُ ربِّي عزَّ وجلَّ بَعْدكُم، فلقِيتُ ربًّا غيرَ غضبان، واستقبلني برَوْحٍ وريحانٍ واستبرقٍ، ألَا وإنَّ أبا القاسم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينتظر الصَّلاة عليَّ، فعجِّلوني ولا تؤخِّروني، ثُمَّ كان بمنزلة حصاةٍ رُمِيَ بها في طِستٍ» فنَمى الحديث إلى عائشة رضي الله عنها فقالت: أمَا إنِّي سمعتُ رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يتكلَّم رجلٌ مِنْ أمَّتي بعـدَ الموت**».

قال عليٌّ: وكان محمَّدُ بنُ عُمرَ بنِ عليٍّ الأنصاريُّ حدَّثنا به عن جعفرٍ، ثُمَّ سمعناه مِنْ جعفرٍ هذا.

قال أبو نعيمٍ: «حديث مشهورٌ رواه عن عبدِالمِلكِ جماعةٌ منهم إسماعيلُ بنُ أبِي خالدٍ، وزَيدُ بنُ أبِي أنيسة، والثوريُّ، وابنُ عُيينة، وحفصُ بنُ عَمرٍو، والمسعوديُّ، ولم يرفعه أحدٌ إلَّا عُبيدة بن حميد، عن عبدِالملك. ورواه المسعوديُّ بنحوه في الرفع».

ورواه ابنُ أبي الدنيا في "كتاب مَنْ عاش بعد الموت"، وأبو نعيمٍ في "الحلية" مِنْ طريق المسعوديِّ، عن عبدِالملك بنِ عميرٍ، عن رِبعيِّ بنِ حِراشٍ قال: مات أخٌ لي فسجَّيناه، فذهبتُ في التِماسِ كَـفَنِه فرجعتُ وقد كشف الثوب عن وجهه وهو يقول: ألَا إنِّي لقيتُ ربِّي بَعدَكم فـتلقَّاني بِرَوْحٍ ورَيْحانٍ، وربٌّ غيرغضبان. وإنَّه كساني ثيابًا خُضرًا مِنْ سندسٍ واستبرَقٍ، وإنَّ

الباب الرابع والسبعون
من لَطَائفِ ما جَرَى عليهم

قال أبو بكر القحطبيُّ: كنت في مجلس سمنون، فوقف عليه رجلٌ، فسأله عن المحبَّة، فقال: لا أعرف اليوم من أتكلَّم عليه يعلم هذه المسألة. فسقط على رأسه طائرٌ، فوقع على ركبته، فقال: إن كان فهذا، ثُمَّ جعل يقول -ويشير إلى الطير-: بلغ من أحوال

الأمرَ أيسرُ ممَّا في أنفسكم فلا تغترُّوا، ووعدني رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ لايَذهبَ حتى أُدْرِكَه، قال: فما شبهتُ خروجَ نفسه إلَّا كحصاةٍ أُلقِيَتْ في ماءٍ فرَسَبَتْ؛ فذكر ذلك لعائشة فصدَّقتْ بذلك وقالت: قد كنَّا نتحدَّث أنَّ رجلًا مِنْ هذه الأمَّة يتكلَّم بعد موتِه، قال: وكان أقومَنا في الليلة الباردة وأصوَمَنا في اليوم الحارِّ.

ورواه أبونعيمٍ مِنْ طريق حفصِ بنِ عُمرَ، عن عبدِالملِكِ بنِ عُميرٍ، عن رِبعِيٍّ بنِ حِراشٍ قال: كنَّا إخوةً ثلاثةً، وكان أعبَدَنا وأصْوَمَنا وأفضلنا الأوسطُ مِنَّا. فغِبتُ عنه إلى السواد، ثم قدِمتُ فقالوا: أدْرِكْ أخاك فإنَّه في الموت، فذكر نحوه.

ورواه ابن أبي الدنيا في "كتاب مَنْ عاش بعد الموت" مِنْ طريق خالد بنِ نافعٍ، نا عليُّ بنُ عُبيدِ الله الغطفانيُّ، وحفصُ بنُ يزيد قالا: بلغنا أنَّ ابنَ حِراشٍ كان حلف أنْ لا يضحك أبدًا حتى يعلم هو في الجنَّة أو النَّار. فمكث كذلك لايُضحِكه أحدٌ، فضحك حين مات، فذكر نحو حديث عبدِالملك بنِ عُمير غير أنَّه قال: فبلغ ذلك عائشة فقالت: صدق أخو بني عبْسٍ رحمه الله، سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يتكلَّم رجلٌ مِنْ أمَّتي بعد الموت مِنْ خير التابعين**».

القوم كذا وكذا، فشاهدوا كذا وكذا، وكانوا في حال كذا وكذا، فلم يزل يتكلَّم عليه حتى سقط الطير عن ركبته ميتًا.

قال أبو بكر بن مجاهدٍ: سمعت أحمد بن سنان العطَّار يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول: خرجتُ يوما إلى نيل واسطٍ، فإذا أنا بطيرٍ أبيض في وسط الماء، وهو يقول: سبحان الله على غفلة النَّاس.

قال جعفر: سمعت الجنيد يقول: لقيت شابًّا من المريدين في البادية، جالسًا عند شجرةٍ، فقلت: يا غلام، ما الذي أجلسك هاهنا؟ فقال: ضالٌّ افتقدته، فمضيتُ وتركته، فلمَّا انصرف، إذا أنا به قد انتقل إلى موضعٍ قريبٍ منِّي! فقلت له: فما جلوسك الساعة هاهنا؟ قال: وجدتُ ما كنت أطلبه في هذا الموضع، فلزمته، فقال الجنيد: فلا أدري أي حاليه أشرف: لزومه لافتقاد حاله، أو لزومه الموضع الذي نال فيه مراده؟

قال أبو عبدالله محمَّد بن سعدان: سمعت بعض الكبراء يقول: كنت يومًا جالسًا بحذاء البيت، فسمعت أنينًا من البيت: يا جُدُر تَنَحَّ عن طريق أوليائي وأحبَّائي؛ فمن زارك بك طاف حولك، ومن زارك بي طاف عندي.

الباب الخامس والسبعون

في السَّمَاع

السَّماع: استجمامٌ من تعب الوقت، وتنفُّسٌ لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال.

وإنما اختير على غيره ممَّا تستروح إليه الطِّباع؛ لبعد النفوس عن التشبُّث به والسُّكون إليه، فإنه من القضاء يبدو، وإلى القضاء يعود.

وأرباب الكُشُوف والمشاهدات استغنوا عنها بالأسباب الحاملة لهم تنزه أسرارهم في ميادين الكشوف.

سمعت فارسًا يقول: كنت عند قوطة الموصليِّ، وكان لزم سارية في جامع بغداد أربعين سنةً، قلنا له: هاهنا قوَّالٌ طيب، ندعوه لك؟ قال: أنا أجلُّ من أن يستقطعني شخصٌ، أو ينفذ فيَّ قولٌ، أنا ردمٌ كلُّه.

فالسماع إذا قَرَعَ الأسماع أثار كَوَامِن أسرارها، فمن بين مضطربٍ لعجز الصفة عن حَمْل الوارد، ومن بين متمكِّنٍ بقوة الحال.

قال أبو محمَّدٍ رويمٌ: إنَّ القوم سمعوا الذكر الأول: حين خاطبهم بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣] فكَمُن ذلك في أسرارهم كما كَمُن كون ذلك في عقولهم، فلمَّا سمعوا الذِّكر ظهرت كَوَامن أسرارهم فانزعجوا، كما ظهرت كوامن عقولهم عند إخبار الحق لهم عن ذلك فصدقوا.

سمعت أبا القاسم البغداديَّ يقول: السَّماع على ضربين: فطائفةٌ سمعت الكلام فاستخرجت منه عبرةً، وهذا لا يسمع إلَّا بالتمييز، وحضور القلب.

وطائفةٌ سمعت النغمة، وهي: قوت الرُّوح، فإذا ظفر الرُّوح بقوته أشرف على مقامه وأعرض عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة.

قال أبو عبدالله النباجيُّ: السماع: ما أَثَار فكرةً، واكتسب عبرةً. وما سِواه فتنة.

قال الجنيد: «الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل فإنه لا يأكل إلَّا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلَّا للضَّرورة، وعند السَّماع فإنه لا يسمع إلَّا عند الوجد».

تمَّ كتاب التعرُّف بحمد الله

[خاتمة كتاب التَّعطُّف]

يقول عبدُالعزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيق، الغُماريُّ - أصلح الله حاله ورحمه -: بهذا تمَّ تخريجُ أحاديث «**التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف**»، وقد جاء رغم العوائق والموانع شافيًا، كافيًا، مُفيدًا لأهل الرواية، ولستُ أُبرئُه مِنَ العيوب، فهذا لا يُمكن حصوله للمؤلِّف مع وجود الأسباب وفراغ البال، فكيف مع قِلَّة الكتب وتَبلبلِ الأفكار؟! وقد كتبتُ هذه البقيَّة مِنْ هذا التخريج وأنا خاوِي أو الوفاضِ مِنْ كُتب السنَّة والحديث، ليس عندي ما يُعِين على تخريج أحاديث ما هو أقل مِنْ هذا، حتَّى إنَّ الكتب الستة ليست عندي بتمامها؛ ولذلك أَعُدُّ هذا مع ما فيه مِنْ تقصيرٍ وقُصورٍ مِنْ أعظم الأعمال وأحسن الأمور؛ فغيري- ولله الحمدُ - لا يستطيع الإتيان بأقلَّ منه ولو كان لديه مِنْ كُتب الحديث ما يملأ مدينةً؛ لأنَّ التخريخ فنٌّ لا يُتقنُه إلَّا مَنْ أُعْطِيَ فهمًا ثاقبًا في علم الحديث. ولهذا أوْصَوْا طالبَ الحديث أن يكونَ عمله بعد إتقان الفنِّ الاشتغال بالتخريج؛ لأنَّه يرتقي بصاحبه إلى درجة معرفة العلل التي هي أصعبُ فنٍّ مِنْ فنون الحديث.

وكان الفراغ مِنْ هذا التخريج ضُحى يوم الخميس الحادي والعشرين مِنْ محرَّم الحرام فاتح سنة سبعٍ وستين وثلاثمائةٍ وألفٍ.

والحمدُ لله أولًا وآخرًا، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً إلي يوم الدين.

الفهارس

فهرس كتاب التَّعطُّف

فهرس موضوعات كتاب التعرُّف